موسوعة

الإعجاز العلمى

فى الحديث النبوى

أ.د.أحمد شوقى إبراهيم

الجزء الثالث

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

موسوعة

الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى

الجزء الثالث

الزمن

أ.د. أحمد شوقى إبراهيم
زميل كلية الأطباء الملكية بلندن
رئيس مجلس إدارة المجمع العلمى لبحوث القرآن والسنة
رئيس مجلس إدارة جمعية الإعجاز العلمى للقرآن والسنة
عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
عضو اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو»



للطباعة والنشر والتوزيع

اســم الكتــاب: موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي ـ الجزء الثالث «الزمن».

المؤلــــــف: أ. د. أحمــد شــوقــي إبراهيـــم.

إشـراف عــام: داليـــا مـــحـمــد إبراهيـــم.

تاريــخ النشـر: الـطـبـعـــة الـثـالـثـة ـ إبـريـل 2005م.

رقـــم الإيــداع: 2004 / 11048

الترقيم الــدولي: ISBN 977-14-2850-0

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي ـ المهندسين ـ الجيزة
ت: 3466434(02)-3472864(02) فاكس: 3462576(02) ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: Publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة ـ مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) - 8330289 (02) ـ فـــاكــــس: 8330296 (02)
البريد الإلكتروني للمطابع: Press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسي: 18 ش كامل صدقي ـ الفجالة ـ القاهرة ـ ص. ب : 96 الفجالة ـ القاهرة.
ت: 5909827 (02) - 5908895 (02) ـ فـــاكــــس: 5903395 (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجاني: 08002226222
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: Sales@nahdetmisr.com

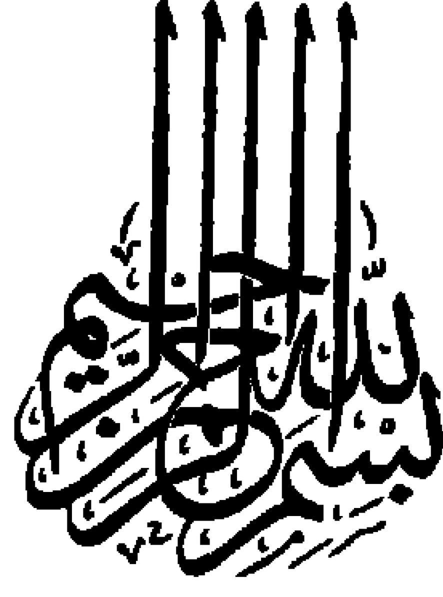
مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدي)
ت: 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام عارف
ت: 2259675 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

مقدمة



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد،

فهذا هو الجزء الثالث من موسوعة الإعجاز العلمي فى الحديث النبوى، رأينا أن نجمع فيه ما نعلمه من الأحاديث النبوية الصحيحة التى تتحدث عن أهم سر من أسرار هذا الوجود.. ألا وهو «الزمن». وهو سر عجيب لا يحيط بعلمه إلا الذى خلقه وهو الله عز وجل.. ولم يستطع الفلاسفة والعلماء تعريف الزمن، ولم يتفقوا فى مفهوم الزمن.. بل إن بعضهم أنكر وجود الزمن.. إلا أن أنشتاين فى عصر العلم الحديث أثبت وجود الزمن، بل وجعله البعد الرابع فى هذا الكون.

وكان اختلاف العلماء والفلاسفة قديما فى معرفتهم لمفهوم الزمن، أنهم ظنوا أن الزمن زمن واحد.. وما علموا أنه أزمان مختلفة، فهناك الزمن الجيولوجى، الذى يجرى فى الجمادات، وهناك الزمن الجغرافى، الذى هو مترتب على حركة الأرض حول نفسها وحول الشمس، وهناك الزمن الكونى المتعلق بحركة الكواكب والنجوم، وهناك الزمن البيولوجى الذى يجرى فى الكائنات الحية، فى كل جسد حى، بل وفى كل خلية من خلاياه.

لقد خلط العلماء والفلاسفة قديما بين كل هذه الأزمان؛ لذلك اختلط عليهم الأمر؛ وصعب عليهم الفهم، وزاد الخلاف بينهم فى هذا الموضوع.. ودخلوا فى حلقات مفرغة من المناقشات، لم يخرجوا منها بشىء صحيح.. إلا أن الذى يتدبر القرآن والحديث النبوى يجد هذه الفروق فى الزمن واضحة كل الوضوح، الأمر الذى يدل على أن الوحى الإلهى فى القرآن والحديث النبوى قد سبق بالحق أبدًا، وبغير حدود، ويدل أيضا على أن رسول الله ﷺ كان موصولا بالوحى الإلهى دائما، وأنه كان مقصورًا على الوحى، وما كان ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى من الله إليه يوحى، وإلا فمن أين له أن يعلم سر الزمن والآجال، الذى لم يتوصل إلى فهمه إلا العلماء الذين ظهروا بعد نزول الرسالة على رسول الله ﷺ بأكثر من ثلاثة عشر قرنا من الزمان.

.. وقد قسمنا هذا الجزء من الموسوعة إلى ثمانية أبواب، يجمع كل باب منها المواضيع التى تتحدث عن حقائق لها أهداف واحدة فى موضوع الزمن.

وذكرنا فى الباب الأول: أربعة مواضيع هى: ماهية الدهر، وبدء خلق الكون، وبدء خلق السماوات والأرض والإجابة عن السؤال : متى بدأ الزمن ومتى ينتهى؟ ثم كان الحديث عن ظاهرة الليل والنهار على كوكب الأرض.

والباب الثانى: يشمل الأجل والآجال لكل الكائنات فى هذا الوجود.

والباب الثالث : خمسة مواضيع عن النوم وكيف أنه ظاهرة زمنية، وضربنا أمثلة على ذلك؛ نوم أهل الكهف ونوم عزير.

وانتهى هذا الباب بالحديث عن الرؤى والأحلام وعلاقات الزمن بها.

أما الباب الرابع : فيشمل أربعة مواضيع عن الشمس، وكيف يجرى الزمن فيها، وكيف يأكل بعضها بعضا؟ ثم كان الحديث عن حركات الشمس وجريها فى السماء، وأين تذهب، ومتى تطلع من مغربها؟ وما يحدث لها فى حالة الكسوف؟

وكان الباب الخامس: عن القمر، والأحاديث النبوية المشرفة عنه، وهو مكون من ثلاثة مواضيع : الأهلة مواقيت للناس والحج، وكيف انشق القمر قديما، أو كيف سينشق مستقبلا؟ وعلاقة كل من الشمس والقمر بالزمن.

أما الباب السادس: فيجمع الأحاديث النبوية المشرفة التى تتحدث عن الزمن فى كوكب الأرض، والزمن قبيل قيام الساعة، والزمن فى العالم الآخر.. وانتهى هذا الباب بالحديث عن عالم الغيب والشهادة، وأوضح أن عالم الشهادة له صلات وثيقة بالزمن، لا يعلمها كثير من الناس.

والباب السابع : جمع الأحاديث النبوية المشرفة التى تتحدث عن الإنسان، والإجابة عن كثير من الأسئلة فى هذا الموضوع، مثل: ما هذا العالم الذى يعيش فيه الإنسان؟ وكيف ظهر الإنسان فى هذا العالم؟ وما معنى حياة الإنسان فى الدنيا؟ ومن هو الإنسان؟

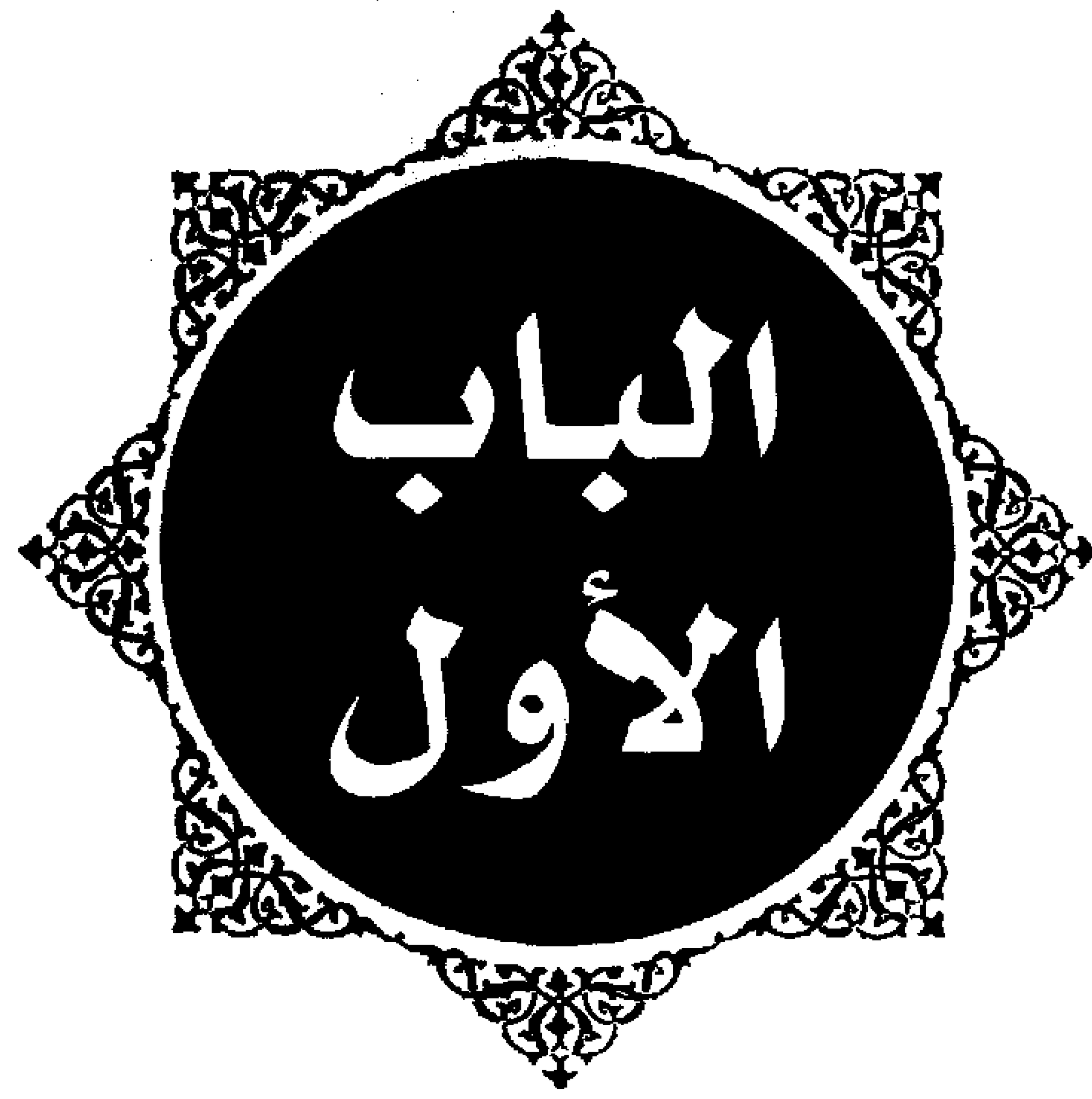
أما الباب الثامن والأخير: فيتحدث فى كثير من المواضع التى تدور حول بداية الحياة الإنسانية، ونهاية الحياة البشرية.

وقد ناقش الكتاب تلك المواضيع عن أسرار الزمن، فى أسلوب يسهل فهمه للناس بكل مستوياتهم العلمية والثقافية؛ لأن الهدف هو نشر الدعوة الإسلامية التى تحدث عنها الحديث النبوى، وبيان الهداية الدينية وكيف أن النبى ﷺ كان بحق شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا. وإذا أراد الله عز وجل لنا أن نواصل كتابة الأجزاء الباقية فى هذه الموسوعة، فسنفعل..

سائلين الله تعالى أن يزيدنا علمًا وفهمًا، وأن يأذن لنا بالإحاطة بشىء من علمه فى القرآن والسنة، وأن يمنحنا السداد والتوفيق.

المؤلف

أ.د. أحمد شوقى إبراهيم



بدايـــة الزمـــن

١- الدهــر.

٢- بـدء خلـق الكـون.

٣- بدء خلق السماوات والأرض.

٤- متى بدأ الزمن ومتى ينتهى؟

٥- الليـل والنهـار.

١ ـ الدهـــــــــر

أخرج الأئمة أحمد والبخارى ومسلم ومالك، عن الزهرى، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «**لا تقولوا خيبة الدهر. إن الله هو الدهر**».

وأخرج الإمام أحمد فى المسند عن أيوب، عن ابن سيرين، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «**لا يسب أحدكم الدهر. فإن الله هو الدهر**».

أخرج الإمام مسلم عن يونس بن أبى شهاب، عن أبى سلمة، أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله عز وجل: يسب ابن آدم الدهر، وأنا الدهر. بيدى الليل والنهار**».

أخرج الأئمة مسلم والبخارى وأحمد، عن الزهرى عن ابن المسيب، عن أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله عز وجل : يؤذينى ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلِّب الليل والنهار**».

وفى رواية أخرى قال ﷺ : «**يؤذينى ابن آدم يقول : يا خيبة الدهر، فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر، فإنى أنا الدهر. أقلِّب ليله ونهاره. فإذا شئت قبضتهما**».

وأخرج الإمام مسلم عن أبى الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «**لا يقولن أحدكم : يا خيبة الدهر، فإن الله هو الدهر**».

— — — — — — — —

فى الحديث القدسى الشريف يقول النبى ﷺ يحكى عن الله عز وجل: «**يؤذينى ابن آدم، يسب الدهر. وأنا الدهر**»، والمعنى أن الله تعالى يقول: يعاملنى ابن آدم معاملة توجب الأذى فى حقه. وقال العلماء قوله ﷺ يحكى عن ربه تعالى: «**أنا الدهر**» مجاز، وسببه أن العرب كانوا من شأنهم أن يسبوا الدهر عند النوازل والحوادث والمصائب من موت، أو عدم، أو تلف مال، أو غير ذلك، فيقولون: يا خيبة الدهر، ونحو هذا من ألفاظ سب الدهر. فذلك قول رسول الله ﷺ: «**لا يسب أحدكم الدهر، فإن الله هو الدهر**»؛ لأنه هو فاعلها ومنزلها. أما (الدهر) فهو الزمن، ولا إرادة له، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى، وكان العرب ينسبون النوازل والمصائب إلى الدهر.

واحتج بعض الزنادقة والدهريين، بفهمهم السقيم لهذا الحديث الشريف، قالوا : «**ألا ترونه يقول إن الله هو الدهر...**».

وكان العرب ينسبون الموت والهلاك إلى الدهر، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية ٢٤).

وفى اللغة: الدهر هو الزمن، كما قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ (الإنسان ١)

وأنكر الكفار البعث بعد الموت ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ أى يموت بعضنا، ويحيا بعضنا، أى بسبب حركات الكواكب والنجوم المهيمنة على مقدرات البشر فقالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ إنه قول يدل على إنكارهم لوجود الله عز وجل وإنكارهم للبعث بعد

الموت وهم مخطئون فى ظنهم هذا ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية ٢٤).

فقولهم: «الدهر».. أى الزمن وحركات الأفلاك، والسنون والأيام.

وقال الشاعر العربى القديم:

أمِنَ المَنُون وريبها تتوجع   والدهر ليس بمُعْتِبٍ من يجزع

وكان أهل الجاهلية يقولون : ما يهلكنا إلا الليل والنهار، وهو الذى يهلكنا ويميتنا ويحيينا ويسبون الدهر. فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ أى يكذبون.

فذلك الحديث القدسى الشريف: «يؤذينى ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر بيدى الأمر، أقلِّب الليل والنهار».

ولقد أحسن الشاعر أبو على الثقفى :

يا عاتب الدهر إذا نابَــهُ   لا تلم الدهــر علــى غــدره

الدهر مأمور، له آمـــــرٌ   وينتهى الدهـر إلـــى أمـــره

كم كافرٍ أموالـهُ جمـــَّــةٌ   تزداد أضعافا علــى كفره

ومؤمن ليس لـه درهـــم   يـزداد إيمـانًـا علـــى فقــره

وقال أبو عبيد : ناظرت بعض الملاحدة فقال : ألا تراه يقول: «فإن الله هو الدهر».

فقلت : وهل كان أحد يسب الله فى آباد الدهر؟.. وهو اعتراض يقنع الرجل؛ لأنه إذا كان أحد لا يسب الله، ويسب الدهر، فوجب أن يكون الله تعالى غير الدهر.

فزعمهم أن الله هو الدهر غير صحيح، وكان يجب أن يفسروا الحديث النبوى على المجاز، وليس على ظاهر اللفظ.

ومــا الـزمـــن؟

إنه سر من أسرار الكون، هو فى علم الله عز وجل، إلا أن له آثارًا ومظاهر تجرى فى الكون وما فيه ومن فيه، ويجرى الكون فيها.

الكون ملىء بالأسرار.. وهى أسرار يعلمها الله تعالى؛ لأنه هو الذى خلقها، ولا يعلم الإنسان منها إلا القليل.. فإن الله تعالى قال: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة ٢٥٥)، والعلم هنا بمعنى المعلوم لله.. فلا يحيط أحد من الناس بالمعلوم لله، إلا بشىء منه.. شاء الله تعالى لهم أن يعلموه.

وعلم البشر إذا قارناه بعلم الله لا يكون شيئا مذكورًا.. ونفهم هذه الحقيقة من المعادلة الرياضية التى تقول : إن أى شىء إذا قورن باللانهائية يساوى صفرًا.. وبناء على هذه الحقيقة الرياضية لا يكون علم الإنسان بجانب علم الله تعالى شيئا مذكورًا.

وفى (سورة الكهف ١٠٩) يقول الله عز وجل : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾.

وفى (سورة لقمان ٢٧) يقول الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

فأسرار الكون هى فى علم الله تعالى جملة وتفصيلا.. ولا يعلم أىُّ إنسان شيئا من أسرار الكون إلا بما شاء الله تعالى له أن يعلمه.. والزمن سر من أسرار الكون الذى لا يعلم الإنسان عنه إلا القليل، مع أنَّ الإنسان يعيش فى الزمن.. والزمن يجرى به.. بل ويجرى فى كلِّ الكائنات فى الوجود.. ولقد ارتبط مفهوم الزمن فى فكر الفلاسفة منذ آلاف السنين بعالم المتغيرات التى يعايشها الإنسان فى هذه الحياة.. فقد لاحظ الإنسان من قديم أن كلَّ ما حوله فى تغير مستمر.. فالشمس تشرق ثم تغرب.. وكذلك القمر.. وأن مواقع النجوم فى تغير أيضا.. وكذلك الرياح والسحب والمطر والليل والنهار.. وكلُّ شىء يتغير ولا يتوقف أبدًا.

ونمو الإنسان من الطفولة إلى الشيخوخة مثلٌ واضح للتغير الذى يعترى كلَّ خلق فى هذا الوجود.. وبذلك أدرك الإنسان من قديم أن العالم الذى يعيش فيه يتصف بصفتين أساسيتين هما : التغير والمكان.. والزمن يشملهما معًا.

ولم يستطع أحد من المفكرين والفلاسفة أن يدرك ماهية الزمن إدراكا صحيحا.. وكان معظم ما وصلوا إليه تصورات وافتراضات وظنونا.. وكان الفكر الإغريقى عن الزمن يعتمد على التغير والثبات أو هما معًا.. فأفلاطون الذى عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد قال: إن الزمن صورة العالم المتحرك، وأنه جوهرٌ متعلقٌ بالحركة.. ولا وجودَ للزمنِ بدون العالم المتحرك، وقال أيضًا: إن الزمن ابتدأ مع خلق هذا الكون، وسيبقى معه، وسينتهى معه، ونتفق مع أفلاطون فى بعض آرائه عن الزمن؛ لأن العلم فى عصرنا هذا قد أثبت صحتها.. وجاء أرسطو سنة ٣٨٤ ق.م وقال: إن الزمن جوهر متعلق بالحركة بين الماضى والمستقبل.. وإن الزمن لا أول له ولا آخر.. وكان أرسطو فى ذلك متناقضًا مع نفسه.. فما دام الزمن ـ كما قال ـ متعلقا بالحركة فلابد أن يكون له أول وله آخر؛ لأن أىَّ حركة لها نقطة بداية تتحرك منها، ولها نقطة نهاية تتوقف عندها.. وذلك بناء على قانون رياضى يسمى «قانون الطاقة المتاحة»، ونقرأ فى القرآن الكريم مثلا على ذلك فى قول الله عز وجل : ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾(يس ٣٨)، فلكل حركة نهاية ومستقر.

ودخل الفلاسفة المسلمون فى محاولة دراسة الزمن وفهمه.. وأدلى كل منهم برأيه، فقال الطبرى: إن الزمن هو ساعات الليل والنهار.. ووافقه فى ذلك الفارابى والزركشى، أما البلخى فقد اتجه فكره فى دراسته للزمن إلى الفلك، فقال: إن الزمن هو حركة الأفلاك.. ومدى ما بين الأفعال.

ولقد تأثر أبوبكر الرازى بفكر أفلاطون عن الزمن، أما ابن سينا فقد تأثر بفكر أرسطو فى ماهية الزمن.. إلا أن ابن رشد تأثر بفكر أرسطو عن الزمن أكثر مما تأثر به ابن سينا، فقد قال ابن رشد: «إن الزمن أزلى».

وهذا فى رأينا قول غير صحيح؛ لأن أزلية الزمن تعنى أن الزمن ليس مخلوقا، وهذا رأى خاطئ. إن تأثر بعض المفكرين الإسلاميين بالفلسفة اليونانية، جعلهم يخطئون فى بعض أفكارهم العلمية، ويتجهون إلى طرق فى البحث العلمى خرجوا منها بنتائج غير صحيحة.. وكان أولى بهم أن يضعوا أساس بحثهم الحقائق العلمية الثابتة التى ذكرها القرآن والحديث النبوى، دون التأثر بفلسفات الإغريق، ولو فعلوا ذلك لكان خيرًا لهم.. فلقد أخطأ فلاسفة الإغريق فى كثير من أفكارهم؛ ذلك لأنَّ أساس تفكيرهم كان إلحاديا، وما بنى على خطأ فلا يمكن أن يكون صحيحا.

ولقد دخل كثير من الفلاسفة على مر العصور فى بحثهم عن ماهية الزمن فى متاهات من الفكر،

لم يخرجوا منها بشيء صحيح .. فقد تساءلوا : هل الزمن موجود أم غير موجود؟.. وإذا كان موجودًا، فهل هو كم أم كيف؟ وهل هو جوهر أم عرض؟.. وهل الزمن متصل أم منفصل؟.. وهل لـه بدايـة أو نهاية أم أنه أزلى لا أول له ولا آخر؟.. وهكذا دارت معظم أفكارهم عن الزمن فى حلقة مفرغة، لم يخرجوا منها بفكر صحيح.. فقالوا: إن الزمن مرتبط بمفهوم الحياة، وإن مفهوم الحياة مرتبط بمفهوم الوجود، ومفهوم الوجود مرتبط بمفهوم الأفعال، ومفهوم الأفعال مرتبط بمفهوم الحركة، ومفهوم الحركة مرتبط بمفهوم الحياة، ومفهوم الحياة مرتبط بمفهوم الوجود.. وهكذا ما إن وصلوا إلى آخر نقطة فى البحث عن ماهية الزمن حتى وجدوا أنفسهم يتحدثون من جديد عن نقطة البداية فيه.

ولما كان مفهوم الزمن غامضا وغير محدد فى فكر الفلاسفة؛ فقد أدخلوا فى اللغة كلمات كثيرة تساعد على فهم الإنسان للزمن مثل : دهر، ومدة، وحين، وبرهة، وأزلى، وأبدى... إلخ، وحتى هذه الكلمات لم يتفق الفلاسفة على فهم معانيها.

وفى رأينا أن من الأسباب الأخرى التى أعجزت الفلاسفة القدامى عن الفهم الصحيح للزمن أنهم خلطوا بين أنواع من الزمن مع بعضها البعض، واعتقدوا أن الزمن جوهر واحد.. وحقيقة واحدة تشمل المتغيرات جميعا فى الكون كله.. والأهم من ذلك أنهم تركوا المرجع الصحيح الوحيد عن حقائق الوجود وأسراره وهو القرآن والحديث النبوى.. فالله عز وجل هو الذى خلق الكون وهو الذى خلق الزمن.. والوجود بكل ما فيه كتاب الله المنظور.. والوحى الإلهى فى القرآن والسنة كتاب الله المسطور.. ولو تدبر العلماء القرآن والسنة لعلموا أن الزمن فى حقيقته ليس زمنًا واحدًا،ولكنه أزمان يختلف أحدها عن الآخر.. ويدخل بعضها فى بعض.. ولكل زمن فيها أبعاد تختلف عن أبعاد الأزمان الأخرى.. ولكل زمن منها حسابات وقياسات.

وبعد أن تقدم الفكر الإنسانى فى عصر العلم.. وبعد أن تعددت الاكتشافات العلمية استطاع الإنسان أن يتعرف على الملامح الصحيحة للزمن، والفهم الصحيح لبعض أسراره مما لم يكن معروفا من قبل، وكلما تقدم علم الإنسان وجد أن ما اكتشفه من حقائق العلم مُبيَّنٌ فى القرآن والحديث النبوى.. ولو عكف العلماء على دراسة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على أسرار الزمن؛ لتوصلوا إلى الفهم الصحيح له، ولكنهم بدلا من ذلك تنكبوا الطريق الصحيح وساروا فى طريق الآراء الفلسفية الإغريقية، التى أدخلتهم فى متاهات فكرية فى موضوع الزمن.. ولم يخرجوا منها بفكر صحيح.

٢ ـ بدء خلق الكون

أخرج الإمام أحمد فى المسند، والترمذى فى سننه، وابن ماجه فى سننه، عن يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حدس عن أبى رزين قال:

قلت يا رسول اللَّه أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق خلقه؟ قال: **«كان فى عماء، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء».**

والعماء فى اللغة: السحاب الكثيف المرتفع، أو الغبار الكثيف المتصل، وقيل: الغبار الأسود.

والعماء : أبلغ وصف للسديم الكونى، أو السماء الدخانية الأولى كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾.

وأخرج الإمام البخارى فى صحيحه، والإمام أحمد فى مسنده عن صفوان بن مُحرز، عن عِمران ابن حُصَين ـ رضى الله عنهما ـ أن ناسا من اليمن دخلوا على رسول الله ﷺ قالوا : جئنا نسألك عن هذا الأمر. قال: **«كان الله ولم يكن شىء غيره. وكان عرشه على الماء. وكتب فى الذكر كل شىء وخلق السماوات والأرض».**

هذه الأحاديث النبوية الشريفة تشير إلى بدء خلق هذا الكون.. وأنه كان دخانا كثيفا، ولم يكن تحته هواء، ولا فوقه هواء، ثم خلق الله تعالى الماء .. فكيف كان ذلك؟

لا يعلم ذلك إلا الله تعالى الذى قال: ﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ (الكهف ٥١).

إلا أن هناك من الشواهد فى الكون حتى يومنا هذا ما يدل على ما حدث فى بدء خلق الكون، ولعل أهم النظريات العلمية لما حدث فى بدء الخلق، نظرية الانفجار العظيم Big Bang، التى أعلن عنها العالم الروسى (جامو) سنة ١٩٤٨م.. وتطورت هذه النظرية، وحصل العلماء على أدلة وبراهين تثبت صحتها؛ حتى صارت هذه النظرية ترقى إلى مستوى الحقيقة العلمية، وتقول هذه النظرية: إن خلق الكون بدأ بوجود دخان فضائى كثيف.. ساكن لا يتحرك، وبالتالى لم يكن فيه زمن.. أى إن الزمن والمكان لم يكونا قد خلقا بعد.

وهذا الدخان الكثيف الذى كان موجودًا قبل خلق الكون يفسر كلمة «عماء» فى الحديث النبوى الشريف.. وتوجد بقايا لذلك الدخان الكونى حتى الآن.. وتوصل العلماء إلى أن ذلك الدخان يتكون من جزيئات بخار الماء، وجسيمات التراب، وجزيئات من غازات عديدة.. ولعل هذا يفسر ما جاء فى الحديث النبوى الشريف: **«وكان عرشه على الماء».**

ويقول العلماء إن الله تعالى أحدث فى ذلك الدخان الكثيف انفجارًا كونيًا هائلاً ليس لقوته مثيل،

وهو فوق طاقة تخيل العقل البشرى.. ويجمع كثير من العلماء على أن الكون انفجر فجأة، من دخان كان فى حجم متناهٍ فى الصغر، انفجارًا هائلاً.. حتى أنه بعد الثانية الأولى من حدوث ذلك الانفجار الكونى الهائل، صار الكون على هيئة كروية، مكونة من الإشعاع والجسيمات المشتعلة، محيطها أربع سنوات ضوئية (سرعة الضوء ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر/ثانية) ودرجة حرارتها مائة ألف مليون درجة مطلقة (الدرجة المطلقة = الدرجة المئوية + ٢٧٣) وكثافتها ٣٦٠٠ مليون كيلو جرام لكل ١٠٠سم٣، على هيئة طاقة إشعاعية من تلك الجسيمات المشتعلة.. وتسارعت تلك الجسيمات،فتمدد الكون، وقلت كثافتها تدريجيا مع استمرار التمدد والاتساع.

وبعد ١٣ ثانية فقط من بدء الانفجار الكونى العظيم، هبطت درجة الحرارة إلى ثلاثة آلاف مليون درجة مطلقة، وامتلأ الكون بنوى غاز الهيدروجين، وغاز الهيليوم وغازات أخرى، بالإضافة إلى أشعة جاما، وظلت الكرة الكونية تتمدد، وبعد ملايين عديدة من السنين برد الدخان الكونى، حتى وصل إلى ٣٥٠٠ درجة مطلقة.. وصارت السماوات كلها دخانا متجانسا. وقبل (جامو) ظهر العالم الفلكى جورج لمنر سنة ١٩٣١م الذى قال إن الكون كان فى البدء كتلة من الدخان متماسكة عالية الكثافة (مائة مليون طن لكل ١سم٣) وكانت درجة حرارتها بلايين البلايين من الدرجات المئوية، وكان قطرها نحو مائتى مليون ميل فقط، وأطلق عليها اسم (البيضة الكونية)، إن هذه البيضة انفجرت عند نشأة الكون انفجارًا هائلاً جدًا.. فتكونت بذلك نَوَى النجوم، التى تبعثرت بسرعة هائلة جدًا فى كل اتجاه.

وبوجود المادة والحركة ابتدأ الزمن.. وابتدأ خلق الكواكب والنجوم.

ويحتمل أن يكون ذلك بعض المعانى فى قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ (فصلت ١١) فى يومين أى خلق الزمن فيها ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾(فصلت ١٢) أى جعل فى كل سماء تقديره فيها، وجسيمات الدخان الكونى، هى التى كونت الكواكب والنجوم.

وأدى الانفجار الكونى العظيم إلى استمرار تباعد الكتل التى كونت المجرات فيما بعد، ومازالت تتباعد عن بعضها البعض حتى الآن، ومعنى هذا أن الكون يتسع باستمرار، مثل بالون ينتفخ ويزداد انتفاخا، وتزداد المسافات بين المجرات تباعدا، ويحتمل أن تكون هذه الحقيقة الكونية من بعض المعانى فى قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات ٤٧)، ولم يكتشف العلماء اتساع الكون إلا فى القرن العشرين، مما يدل على إعجاز علمى عظيم.

وكان الفلكى الأمريكى إدوين هابل سنة ١٩٢٩م أول من رصد «الإزاحة الحمراء فى طيف المجرات» الذى دل على تباعد المجرات، بسرعات متفاوتة تتوقف على بعدها عنا، فكلما بعدت المجرة عن مجراتنا زادت سرعة ارتدادها وهذا ما يسمى تمدد الكون واتساعه، أى إن الكون منذ الانفجار العظيم منذ نحو ١٤ ألف مليون سنة، وهو يزداد انتفاخًا واتساعا، ويحتمل أن يكون ذلك من بعض المعانى فى قول الله عز وجل : ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء ٣٠).

٣ ـ بدء خلق السماوات والأرض

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُون﴾
(الأنبياء ٣٠)

١ ـ قال ابن عباس والحسن وعطاء والضحاك وقتادة:
المعنى أنهما كانتا شيئا واحدا ففصل الله بينهما.

٢ ـ وقال مجاهد والسدى وأبو صالح : كانت السماوات مؤتلفة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سماوات. وكذلك الأرضون كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبعا.

٣ ـ وروى أبو حاتم البستى (فى المسند الصحيح) عن أبى هريرة قال: قلت يا رسول الله إذا رأيتك طابت نفسى، وقرت عينى. أنبئنى عن كل شىء. قال ﷺ : **«كل شىء خلقه الله عز وجل من ماء».**

وقال أبو حاتم ونقول نحن أيضا : **هذا الحديث الشريف يدل على كون السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقهما الله تعالى وأن الماء كان فى السماء الدخانية الأولى، التى كانت قبل خلق السماوات والأرضين.**

٤ ـ أخرج البخارى ومسلم عن جامع بن شداد، عن صفوان بن مُحْرِز، عن عِمْران بن حُصَين رضى الله عنهما قال: جاء نفر من بنى تميم إلى النبى ﷺ فقال: «يا بنى تميم أبشروا» فقالوا: بشرتنا فأعطنا. فتغير وجهه. فجاءه أهل اليمن، فقال: «يأهل اليمن اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم» قالوا: قبلنا. فأخذ النبى ﷺ يحدّث عن بدء الخلق والعرش. فجاء رجل فقال: «يا عمران راحتك تفلّتت، فانطلقت. ليتنى لم أقم».

٥ ـ وفى رواية أخرى بنفس الإسناد قال: دخلت على النبى ﷺ وعقلت ناقتى بالباب. فأتاه ناس من بنى تميم فقال : «اقبلوا البشرى يا بنى تميم». قالوا: قد بشرتنا فأعطنا (مرتين). ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : «اقبلوا البشرى يأهل اليمن إن لم يقبلها بنو تميم». قالوا: قد قبلنا يا رسول الله. جئنا نسألك عن هذا الأمر لنتفقه فى الدين قال: «كان الله ولم يكن شىء غيره. وكان عرشه على الماء. وكتب فى الذكر كل شىء. وخلق السماوات والأرض فنادى منادٍ: ذهبت ناقتك يا بن الحصِين. فانطلقت. فإذا هى يقطع دونها السراب. فوالله لوددت أنى كنت تركتها».

٦ ـ وروى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا: **«إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة . وكان عرشه على الماء».**

«بخمسين ألف سنة»: **هى من أيام الله التى ليست مثل أيامنا ولا نعلم عنها شيئًا.**

٧ ـ أخرج البخارى وأحمد عن محمد بن سيرين عن أبى بكرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض»... إلخ الحديث الشريف.

بدء خلق السماوات والأرضين:

ذكر القرآن الكريم كلمة (أرض) اسم جنس فى كثير من الآيات القرآنية، ويعنى: كل كوكب فى السماوات من جنس كوكبنا، وذكر اسم (الأرض) اسم عهد فى آيات كثيرة أخرى ويعنى: كوكب الأرض الذى نعرفه ونعهده، فعندما يقول الله تعالى: ﴿خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (الأرض) هنا جنس وتعنى كل كوكب وكل نجم.. والمعنى (خلق السماوات والأرضين).

وجاء ذكر (الأرض) اسم عهد: أى كوكب الأرض الذى نعهده فى بعض الآيات التى تصف كوكب الأرض فقط مثل قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ﴾ (الرحمن ١٠، ١١)

وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ (يونس ٢٤)

وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ (هود ٤٤)

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ (الحج ٦٣)

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ (البقرة ٢٢)

وجاء ذكر كلمة (أرض) اسم جنس وتعنى كل كوكب فى السماء فى كثير من الآيات القرآنية:

قال تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران ١٣٣)

قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ (هود ١٠٧)

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ (إبراهيم ٤٨)

قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ (الإسراء ٤٤)

قال تعالى: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر ٦٧)

قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النحل ٣)

وذكرت كلمة (أرض) اسم جنس فى الحديث النبوى الشريف:

كما قال ﷺ: «وكان عرشه على الماء. وكتب فى الذكر كل شىء. وخلق السماوات والأرض».

وكما قال ﷺ: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض».

أما لماذا ذكر (الأرض) اسم جنس؟.. فذلك لسببين:

الأول: أن ذلك من الأساليب البلاغية.

الثانى: أن العلماء والناس جميعا قبل القرن الخامس عشر الميلادى - أى قبل نزول القرآن الكريم بأكثر من ألف عام وبعد نزوله بنحو تسعة قرون - كانوا يعتقدون أن كوكب الأرض الذى نعيش عليه هو مركز الكون.. ولا أرض فى السماوات غيره؛ لذلك ذكر القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف (الأرض) اسم جنس؛ حتى لا يصدم اعتقاد الناس قديما، فقرأ الناس الوحى الإلهى فى القرآن والسنة واعتقدوا أن كلمة (أرض) اسم عهد؛ لذلك صدقوا القرآن والسنة ولم ينكروا منهما

شيئا.. حتى إذا جاءت عصور العلم واكتشف العلماء ملايين لا تحصى من الكواكب والنجوم فى السماء.. فعلموا أن كلمة (أرض) اسم جنس؛ ولذلك لم ينكروا من الآية والحديث النبوى شيئا*.

متى بدأ خلق الزمن؟

ابتدأ خلق الزمن ببدء الحركة فى الكون، كما قال لنا علماء الفيزياء الكونية؛ لأنه لا زمن بدون حركة، ولا حركة بدون زمن، ولابد من وجود المادة لكل من الحركة والزمن. وأعلن الفيلسوف الألمانى «كانت» سنة ١٧٥٥م أن الكواكب والنجوم قد تكونت من الغبار الكونى واستطاع العالم الفرنسى «لاباس» سنة ١٧٩٦م صياغة هذه النظرية رياضيا، وهذه النظرية العلمية تقول : إن الشمس وكواكبها نشأت أصلا من سحابة دخانية كروية الشكل، وكانت مكونة من الغبار والغازات وبخار الماء.. وكونت لنفسها جاذبية؛ لذلك جعلت تدور ببطء.. وابتدأت تلك السحابة الدخانية (أو السماء الدخانية) تنكمش بتأثير الجاذبية داخلها، وكلما انكمشت ازدادت سرعة دورانها حول نفسها.. ونتج عن ذلك أن السماء الدخانية صارت أكثر تفلطحًا بسبب قوة الطرد المركزية للدوران. واستمر الغبار الكونى (أو السديم الكونى) *فى الدوران والانكماش فالدوران، وهكذا.. إلى أن* تمزق ذلك الدخان أو الغبار الكونى إلى أجزاء من السحب الدخانية، كل سحابة كونت دوامة صارت تدور حول نفسها.. وباستمرار الانكماش فى تلك الدوامات الدخانية ارتفعت درجة حرارتها شيئا فشيئا، وبذلك صارت تلك الدوامات نَوَى للكواكب.. وبفعل الحرارة فى باطن كل دوامة دخانية، حدث اندماج نووى بين ذرات الهيدروجين، فتحولت إلى هيليوم.. وحدث ذلك عندما وصلت درجة الحرارة إلى ١٥ مليون درجة، وضغط نحو مليون مليون طن على كل بوصة مربعة، هنالك تولدت طاقة هائلة رفعت درجة حرارة الدوامة الدخانية أكثر وأكثر حتى صارت نارا مستعرة وبذلك تكونت الشمس، وبهذه الطريقة أيضًا تكونت باقى الشموس فى الكون.

وانفصلت عن الشمس كتل من الغبار الكونى.. كل كتلة كونت لنفسها جاذبية، فصارت تدور وتستدير حتى كونت كل منها كوكبا، وبتأثير جاذبية الشمس صارت الكواكب تدور حولها.. وهكذا كان الدخان الكونى فى البدء متصلا ثم تفتت بعد ذلك وصار أجزاء متفرقة.. ويتسع المعنى لهذه الحقيقة الكونية فى قول الله عز وجل : ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء ٣٠). والرتق فى اللغة: الاتصال، والفتق : الانفصال والتباعد.

وزعم بعض أعداء الدين أن النبى محمدًا ﷺ هو الذى ألَّف هذا القرآن، أو نقله عن أساطير الأولين.. ونحن نعلم أن أساطير الأولين والكتب السابقة لم تذكر هذه الحقائق الكونية.. فمن أين جاء النبى ﷺ بهذا العلم الذى لم يكتشفه العلماء إلا فى عصر العلم الحالى؟!!.. لامناص أمام المكذبين من الإيمان بأن الذى خلق هذا الكون، هو الذى أنزل هذا القرآن على عبده ورسوله محمد ﷺ وليس هناك احتمال علمى أو عقلى آخر.

وفى القرن العشرين جاء ألبرت أنشتاين وأعلن حقيقة فيزيائية جديدة تقول : لما كان الزمن متعلقا بالمادة والحركة، ومصاحبا لها، ولما كانت الحركة فى دوران، والمادة فى استدارة، فلابد أن يكون الزمن فى دوران واستدارة أيضا؛ لأنه لا ينفك عن المادة؛ ولا ينفصل عن الحركة.. وبذلك يكون

* من العجيب أن بعض الباحثين حتى فى عصرنا هذا مازالوا يعتقدون أن قوله تعالى: ﴿خلق السماوات والأرض﴾ يدل على أن الأرض مركز السماوات جميعا!.. ذلك لأنهم لا يعلمون الفرق بين اسم العهد واسم الجنس فى اللغة.

الزمن فى أول الخلق وبدء تكون هذا الكون، يدور ويستدير؛ يدور فى الحركة؛ ويستدير باستدارة الكواكب، وكان ذلك اكتشافا فيزيائيا كونيا عجيبا.. ولقد فوجئ العلماء المسلمون، وغير المسلمين بأن الحديث النبوى الشريف قد ذكر هذه الحقيقة العلمية من قبل أن يكتشفها أنشتاين بأربعة عشر قرنا من الزمان :

فقد أخرج البخارى وأحمد، عن محمد بن سيرين، عن أبى بكرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض»... إلخ الحديث الشريف.

ألا : للاستفتاح.

إن : حرف يفيد التأكيد.

قد: حرف إذا سبق فعلا مضارعا، يفيد التقليل (كأن يقال قد يجود البخيل، أى نادرا ما يجود البخيل) وإذا سبق فعلا ماضيا، فإنه يفيد التأكيد.. فقوله ﷺ: «قد استدار كهيئته» أى قد استدار فعلا باستدارة المادة ودوران الحركة.

إنه حديث نبوى شريف يخبرنا عن بدء خلق الزمن، وعن الشكل الهندسى للكون، وعن النظام الهندسى للزمن أيضا.

وهذا الحديث النبوى الشريف تفسير لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ (التوبة ٣٦).

والإعجاز العلمى فى كل من الآية القرآنية الكريمة، والحديث النبوى الشريف واضح كل الوضوح، وغنى عن البيان.

إشعاع الخلفية الكونية(*)

توصل العلماء حديثا إلى حقيقة كونية ثابتة، وهى أن الكون حاليا يسبح فى خلفية إشعاعية من موجات الميكروويف (طول الموجة ٧,٣٠ سم) كصدى الانفجار الكونى العظيم الذى حدث فى بدء خلق الكون منذ نحو ١٤ ألف مليون سنة، فلقد أثبت العالمان «بنزياس» و«ولسون» سنة ١٩٧٨م قدوم هذا الإشعاع من جميع الاتجاهات، وبنفس الشدة، الذى يسبب حاليا برودة هائلة فى الفضاء الكونى (٧٠٥°م تحت الصفر)، وحصل هذان العالمان على جائزة نوبل للعلوم بسبب ذلك الاكتشاف، الذى أكد حدوث الانفجار الكونى العظيم فى الماضى السحيق، عندما بدأت الحركة وبدأ الزمن، وبرودة الفضاء الكونى حاليا تؤكد أنه كان ساخنا جدا عند نشأته.

فالإشعاع الكونى الحالى يمثل بقايا الانفجار الأول عندما التهب الكون، وكان كرة مشتعلة من النار، وكان الإشعاع الكونى ذا طاقة عالية فى بداية نشأة الكون، ومحتويا على الإلكترونات، والبوزيترونات (البوزيترون هو إلكترون موجب الشحنة)، والفتوتونات غير المرئية (ضوء عالى الطاقة)، والنيترون (وهو دقائق تخترق المادة). كل هذه الجسيمات، كانت فى توازن حرارى، فى حساء كونى شديد الحرارة، وهو لا يزال يصل إلينا، ولكن بضعف شديد، على هيئة إشعاع الخلفية الكونية وقد اكتشف سنة ١٩٧٨، الأمر الذى يؤيد نظرية الانفجار الكونى العظيم Big Bang والذى يفسر آية سورة الأنبياء تفسيرا علميا.. يقول الله عز وجل فى هذه الآية: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ

(*) (إعجاز القرآن فى آفاق الزمان والمكان) للدكتور منصور حسب النبى.

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾، وواضح أن كلمة (الأرض) فى الآية الكريمة اسم جنس وتعنى الأرضين جميعا - أى الكواكب والنجوم فى السماوات جميعا.

ولما حلل العلماء بقايا السديم (الدخان الكونى) وجدوا أنه مكون من جسيمات الغبار والكثير من الغازات وبخار الماء.. وهذا الاكتشاف تفسير علمي لما عقبت به الآية الكريمة فى قول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.. وتفسير علمى لحديث رسول الله ﷺ: «**وكان عرشه على الماء**»، والإعجاز العلمى فى الآية الكريمة والحديث النبوى الشريف واضح كل الوضوح، وفى كل ذلك الدليل على أن النبى ﷺ كان موصولا بالوحى الإلهى دائما، مصداق قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ (الكهف ١١٠)، والدليل أيضا على أن القرآن الكريم من المحال إطلاقا أن يكون من كلام البشر.

٤ـ متى بدأ الزمن..
ومتى ينتهى..؟!

أخرج الإمام أحمد فى المسند، عن حماد بن سلمة، عن على بن زيد، عن أبى حرّة الرقاشى عن عبدالله بن مسعود قال : **كنت آخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ فى أوسط أيام التشريق، أذود عنه الناس. فقال : أيها الناس.. أتدرون فى أى شهر أنتم؟ وفى أى يوم أنتم؟.. وفى أى بلد أنتم؟ قالوا: فى يوم حرام وشهر حرام وبلد حرام، فقال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، فى شهركم هذا، فى بلدكم هذا، إلى يوم تلقونه. ثم قرأ : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾..»**... إلخ الحديث الشريف.

أخرج الإمام أحمد فى المسند، والهيثمى فى مجمع الزوائد أن النبى ﷺ قال : **«لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان. فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السعفة».**



زعم بعض الفلاسفة قديما أن الزمن أزلى.. وهم فى ذلك مخطئون.. فالأزلية للخالق تعالى وحده وكل شىء سواه مخلوق.. وكل مخلوق له بداية وله نهاية.

ومتى بدأ الزمن؟ لم يكن العلماء على علم صحيح عن كل ما يتعلق ببدء الزمن.. حتى توصل علماء الفيزياء الكونية فى عصر العلم الحالى إلى مشاهد فى الكون تدل على الذى حدث فى بدء خلق الكواكب والنجوم.. واكتشفوا اكتشافات علمية ترتقى إلى مستوى الحقيقة العلمية الثابتة، أن الكون كلّه كان دخانا أو غبارا كونيا متصلا لا تحدث فيه حركة وبالتالى لا يجرى فيه زمن.. ثم حدث الانفجار الكونى العظيم منذ نحو أربعة عشر ألف مليون سنة، فتت السماء الدخانية الأولى أجزاء مشتعلة متفرقة، ولم يدرك العلماء هذه الحقائق إلا فى عصر العلم الحالى. إلا أن ذلك ذكر فى القرآن الكريم فى قول الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ (الأنبياء ٣٠)، (أو لم يروا) أى أو لم يعلموا، والرتق هو الاتصال، والفتق هو الانفصال. (ففتقناهما) أو فتتناهما أجزاء متباعدة، وقال الحسن : الآية الكريمة تدل على أن السماء والأرض كانتا شيئا واحدا متصلا ففصل الله بينهما.

وكيف خلق الزمن؟ ما إن تفتت الدخان الكونى أجزاء متفرقة ومشتعلة حتى كون كل جزء لنفسه جاذبية جعلته يدور فى الحركة ويستدير فى الشكل.. وقال العلماء إنه بحدوث ذلك الانفجار العظيم ابتدأ خلق السماوات والأرض، وابتدأت الحركة.

وما علاقة الزمن بالحركة؟ أثبت «ألبرت أنشتاين» أن الزمن هو البعد الرابع فى الكون، وقال إن الزمن مصاحب لكل حركة فى الكون.. فلا حركة ومادة بدون زمن.. ولا زمن بدون حركة ومادة ..

وأن الزمن بدأ مع بدء الحركة فى الكون وبدء الحركة كان يوم خلق الله السماوات والأرض، ولقد جاء ذكر هذه الحقائق جميعا فى القرآن والحديث النبوى.. فلقد ذكر أن خلق الزمن كان يوم خلق السماوات والأرض، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾(التوبة ٣٦). فأخبرنا القرآن الكريم أن الله خلق الزمن يوم خلق السماوات والأرض. ولما كانت كل حركة فى الكون فى دوران وشكل كل كوكب ونجم يدور فى استدارة.. فإن الزمن المصاحب لكل مادة وكل حركة لابد أن يكون فى دوران واستدارة أيضا، وجاء ذلك فى الحديث النبوى الشريف، الذى أخرجه الأئمة؛ البخارى ومسلم وأحمد عن أبى بَكَرَةَ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض**»... إلخ الحديث الشريف.

ونجد أن الحديث النبوى الشريف قد حدد بداية الزمن، وحدد حركة الكون، وحدد الشكل الهندسى للكون والزمن الذى يجرى فيه، الأمر الذى لم يصل إلى فهمه إلا علماء الفيزياء الكونية فى القرن العشرين أمثال: «ألبرت أنشتاين».

ومتى ينتهى الزمن؟

نجد ذلك فى الحديث النبوى الشريف الذى أخرجه الإمام أحمد فى المسند، والهيثمى فى مجمع الزوائد. أن النبى ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السعفة**».

ينتهى الزمن عندما يحدث الانقلاب الكونى الهائل الذى حدثنا عنه القرآن الكريم فى سور: (الانشقاق، والانفطار، والتكوير)، فتنفجر الكواكب والنجوم، وتتحول إلى دخان كونى.. ثم يمكث ذلك زمنا هو فى علم الله عز وجل فيه يتصل الدخان ببعضه البعض، مكونا سماء دخانية مرة أخرى.. وهكذا يبدئ الله الخلق ثم يعيده.. كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾(الأنبياء ١٠٤) وينتهى الكون بنفس أطوار تكوينه، ولكن فى اتجاه عكسى؛ إنه بدأ بسماء دخانية، كما فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ(١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ (فصلت ١١، ١٢) الكون ابتدأ بسماء دخانية أولى، ثم ينفجر، وتتناثر أجزاؤه.. وينتهى الكون إلى سماء دخانية ثانية، كما قال الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ (الدخان ١٠).

والسماء الدخانية لا حركة فيها.. وبالتالى لا زمن.. هنا يتوقف الزمن وينعدم، هنالك تقوم الساعة، ويكون البعث والحساب، وفى ذلك يقول الله عز وجل: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ(١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ(١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ (الدخان ١٠ - ١٢).

ويترك الإنسان الدنيا إلى حياة أخرى.. هى خير للمؤمنين وأبقى.. ويعيش هناك فى اللازمن.. يعيش فى الخلود.

٥ـ الليـــــل والنهـــار

أخرج الإمام أحمد عن ليث بن سعيد، عن أبى الزبير، عن جابر بن عبدالله قال : لم يكن رسول الله ﷺ يغزو فى الشهر الحرام، إلا أن يغزى، فإذا حضره، أقام حتى ينسلخ.

ينسلخ : أى ينتهى كما فى قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ أى ينتهى منه النهار.

أخرج الإمام أحمد عن عبدالرازق بن همام، عن معمر بن همام عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل: إنى أنا الدهر، أرسل الليل والنهار، فإذا شئت قبضتهما**».

الليل والنهار: الله يرسل الليل والنهار يجريان فى الزمن، والزمن يجرى فيهما، حتى إذا انتهت الحياة الدنيا وانتهى زمنها توقف الليل وتوقف النهار والله يقبضهما.

أخرج الإمام أحمد عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن ذكوان، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا تسبوا الدهر، فإن الله عز وجل قال: (أنا الدهر، الأيام والليالى لى أجددها وأبليها، وآتى بملوك بعد ملوك)..**».

والمعنى : الله قال: هو الدهر. وخلق الزمن، يجدد به الأيام والليالى فيمر بهما الزمن ويجددهما ويبليهما، ويأتى بأجيال من بعد أجيال، ويملوك بعد ملوك.. ويتحرك الزمن بالكون ومن فيه، يجددها ويبليها.

وأخرج البخارى ومسلم عن يونس عن ابن شهاب أخبرنى أبو سلمة قال: قال أبو هريرة رضى الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله: يسب بنو آدم الدهر. وأنا الدهر. بيدى الليل والنهار**».

أخرج مسلم عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن أبى موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : «**إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغى أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل. حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**».

أخرج مسلم عن سليمان بن بريدة عن أبيه عن النبى ﷺ أن رجلا سأله عن وقت الصلاة فقال له: «**صل معنا هذين (يعنى اليومين) فلما زالت الشمس أمر بلالا فأذن. ثم أمره فأقام الظهر، ثم أمره فأقام العصر، والشمس مرتفعة بيضاء نقية، ثم أمره فأقام المغرب حين غابت الشمس، ثم أمره فأقام العشاء حين غاب الشفق، ثم أمره فأقام الفجر حتى طلع الفجر**»... إلخ الحديث الشريف.

وأخرج الإمام أحمد عن أبى صالح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إن للصلاة أولا وآخرا. وإن أول صلاة الظهر حين تزول الشمس. وإن آخر وقتها حين يدخل وقت العصر. وإن أول وقت العصر حين يدخل وقتها. وإن آخر وقتها حين تصفر الشمس. وإن أول وقت المغرب حين تغرب الشمس. وإن آخر وقتها حين يغيب الأفق. وإن أول وقت العشاء الآخرة حين**

يغيب الشفق وإن آخر وقتها حين ينتصف الليل. وإن أول وقت الفجر حين يطلع الفجر، وإن آخر وقتها حين تطلع الشمس».



الأرض كوكب يسبح في الفضاء، ويدور حول نفسه دورة كاملة كل أربع وعشرين ساعة بسرعة ١٠٤٤ ميلاً فى الساعة عند خط الاستواء.. ويدور حول الشمس دورة كاملة كل عام فى فلك يبلغ طوله ستمائة مليون ميل - أى إن الأرض تسبح فى فلكها حول الشمس بسرعة نحو سبعة وستين ألف ميل فى الساعة.. كما تجرى فى الفضاء المجرى بسرعة تقدر بنحو ٤٩٧ ألف ميل فى الساعة وهى تتبع الشمس فى دورانها حول مركز المجرة.

والذى يعيش فوق سطح الأرض لا يشعر بكل حركات الأرض، فالأرض هى سفينة الفضاء الحقيقية للإنسان فى هذا الكون.

نقرأ سورة (النازعات ١ ـ ٥) يقول الله تعالى :

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾.

﴿والنازعات غرقا﴾ قال الحسن وقتادة : هى النجوم تنزع من أفق إلى أفق ﴿غرقا﴾ أى إنها تغرق وتغيب وتطلع من أفق إلى أفق آخر.

﴿والناشطات نشطا﴾ قال الحسن والأخفش : هى النجوم تنشط من أفق إلى أفق أى تذهب، وكذا فى الصحاح ﴿والناشطات نشطا﴾ يعنى النجوم من برج إلى برج.

﴿والسابحات سبحا﴾ قال قتادة والحسن: هى النجوم تسبح فى أفلاكها وكذا الشمس والقمر.

﴿فالسابقات سبقا﴾ قال الحسن وقتادة: هى النجوم يسبق بعضها بعضا.

﴿فالمدبرات أمرا﴾ قال ابن عباس: إنها الملائكة وكِّلت بتدبير أحوال الأرض فى الرياح والأمطار وغير ذلك.

فالنازعات والناشطات والسابحات هى الكواكب والنجوم التى تتحرك فى السماء.

وتقرأ قول الله تعالى :

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(الأنبياء ٣٣).

وكلمة «فلك» كلمة عربية قديمة بمعنى كرة.. ولقد حيرت هذه الكلمة بعض المفسرين القدامى الذين لم يكن فى علمهم ولا فى علم غيرهم من البشر حركة دوران الكواكب والنجوم فى الفضاء، فقالوا إن معنى ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أنه الليل والنهار والشمس والقمر.. كل فى فلك السماء يدورون.. وقال آخرون : إن الفلك هو كهيئة حديد الرحى أو كفلكة الغزل لا يدور المغزل إلا بها ولا تدور إلا به، ولكن الطبرى وجد أن فى الآية علما فوق مستوى العلم البشرى فى تلك العصور، فقال: (ينبغى أن نسكت عما لا علم لنا به).

وكانت الأفكار الفلكية فى عصر نزول القرآن وبعده تتبع نظرية بطليموس (نظرية المركزية الأرضية)، التى كانت تقول: إن الأرض مسطحة وثابتة لا تتحرك وإنها مركز الكون وإن الشمس والقمر والكواكب تدور حول الأرض؛ لأنهم كانوا يرون طلوع الشمس من الشرق وأنها تغرب فى الغرب وفى وسط ذلك الجهل نزل العلم اليقينى فى القرآن والسنة.

وظهر أكثر من عالم فى عصر النهضة الأوربية ينادى بكروية الأرض ودورانها مثل كوبرنيكوس فى القرن السادس عشر سنة ١٥٤٠م ونادى بخطأ نظرية بطليموس وأن الشمس هى مركز الكون وليست الأرض وثار عليه رجال الكهنوت ولاقى على أيديهم كل اضطهاد.. هذا بالرغم من أن رحلة ماجلان سنة ١٥٢٢م برهنت على أن الأرض كروية.

وفى عصرنا الحاضر اكتشف العلم حقيقة دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس وتأكد للعلم مقدار ما كانت عليه نظرية بطليموس من خطأ كبير.

ولقد ذكر القرآن الكريم حقيقة دوران الأرض إشارة وتلميحا.. ولو ذكرها تصريحًا ما صدقه الناس قديمًا.. ولأثّر ذلك على تصديقهم للرسالة كلها.

من هنا كان ذكر القرآن الكريم لهذه الحقائق فى إشارات علمية مع الإيعاز للإنسان بأن يتفكر فى آيات الله عز وجل.. ويعمل عقله فى فهم الحقائق الكونية، كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ (آل عمران ١٩٠).

النظريات القديمة كانت تقول: إن الأرض منبسطة ومسطحة.. فذكر القرآن الكريم انبساط الأرض أمام الإنسان، فى معرض الحديث عن الإيعاز له بالنظر والدراسة والتفكر فى معجزات الخلق.. كما فى خلق الدواب ورفع السماء وخلق الجبال ولو لم يكن فى انبساط الأرض أمام الإنسان معجزة ما ذكرها القرآن فى معرض الحديث عن إبداع الخلق فلابد أن فى انبساط الأرض لمن يعيش عليها إعجازًا كبيرًا.. وهذا إيحاء للإنسان بأن يتفكر فى سر انبساط الأرض التى لابد أن شكلها لا يستلزم انبساط سطحها كما يراه الناس، بل إن انبساط الأرض يدل على كرويتها؛ لأن سطح الشكل الكروى هو الذى يكون دائم الانبساط، نقرأ قول الله تعالى : ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾(الغاشية ١٧ ـ ٢٠).

ونقرأ قول الله عز وجل : ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلاَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾(الزمر ٥).

فاستعمال لفظ «كوّر» له دلالته العلمية.

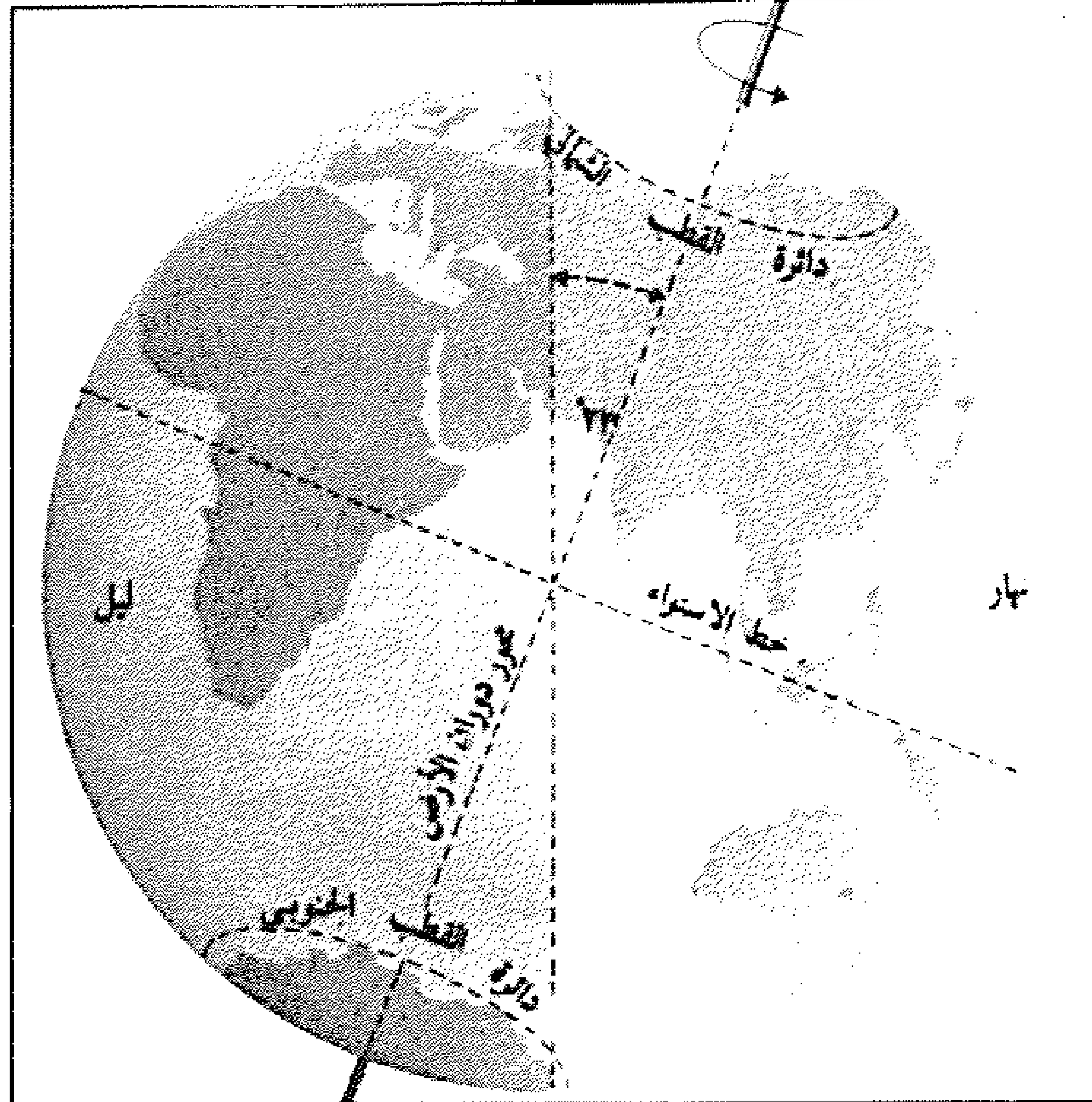
وفى حديث لرسول الله ﷺ يقول : «**لو أن السماوات السبع والأرضين السبع كانتا حلقة ونزلت عليها لا إله إلا الله لقصمتها**» ولاستعمال لفظ «حلقة» لوصف السماوات ولوصف الأرض دلالته العلمية أيضا.

وقد بيّن القرآن الكريم حقيقة دوران الأرض بناء على ظاهرة طبيعية يراها الناس بأعينهم كما قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾(النمل ٨٨).

وقال ابن عباس : أى قائمة وهى تسير سيرا حقيقيا إن الناظر إلى الجبال يحسبها راسية فى مكانها ثابتة فى موقعها لا تتحرك.. ولكنها فى حقيقة الأمر تمر كما يمر السحاب، ويقول الدكتور محمد الغمراوى عليه رحمة الله : إن السحاب محمول بالرياح.. ولا يتحرك السحاب إلا بتحرك الرياح التى تحمله، كذلك الجبال فهى محمولة بالأرض.. والآية تقرر أن الجبال تمر مر السحاب وفى ذلك إشارة إلى تحرك الأرض التى تحملها.. فتحرك الجبال يستلزم بالضرورة حركة الأرض التى تحملها.. وحركة الكرة هى الدوران حول نفسها.

وهكذا أعطى الوحى الإلهى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف إشارات علمية عن شكل الأرض وحركتها ولم يذكرها صراحة، ولو فعل ذلك ما صدقه الأولون ولأثّر ذلك على تصديقهم للرسالة كلها.. وفى الوقت نفسه لم يوافقهم على أخطائهم حتى إذا جاءت عصور العلم - كما فى عصرنا الحاضر - وجدت كل حقيقة علمية اكتشفها الناس فى الكون مذكورة فى الوحى الإلهى فى القرآن الكريم والسنة المشرفة من قبل.. وهذا من الإعجاز العلمى والبلاغى معا فى القرآن والسنة.

يبين هذا الرسم حركة دوران الأرض ويفسر تعاقب النهار (فترة النور) والليل (فترة الظلام) وكلمة «اليوم» تشير إلى دورة كاملة (أربع وعشرين ساعة)، أى مجموع الليل والنهار، وكما يظهر فى الصورة فإن أشعة الشمس لا تضىء إلا نصف الكرة الأرضية؛ وإذا كانت الأرض لا تدور حول نفسها فإن نصف الكرة المضاء سيكون دائمًا هو إياه. والنصف الآخر سيبقى دائمًا فى الظلام.



ولكن محور دوران الأرض ليس عموديا، إنه منحن فى حوالى ٣٢ درجة: لذا فإن طول النهار والليل يختلف باختلاف المكان على الأرض، كما يظهر فى الرسوم أدناه. إنها ترينا دوران الأرض كل ست ساعات، خلال يوم معين (٢٢ حزيران «يونية»): فى حين أنه فى المناطق الاستوائية (زائير، بالأخضر) يدور كل من الليل والنهار اثنتى عشرة ساعة، فإننا كلما اتجهنا نحو القطب الشمالى (بولونيا، بالأحمر) تطول مدة النهار، وتقصر مدة الليل: وفيما بعد الدائرة القطبية الشمالية (جزر سفالبارد، بالأزرق)، تطول مدة النهار إلى أربع وعشرين ساعة متتالية.

إن نصف الكرة الأرضية المقابل للشمس يكون نهارا.. والنصف الآخر يكون ليلا، ولو كانت الأرض ثابتة لا تتحرك ولا تدور لظل الليل ليلا ولظل النهار نهارا أما إذا قيل لنا إن الليل يقبل ثم يدبر ثم يسرى لدل ذلك على أن الأرض تدور أمام الشمس.. فإن الإدبار والإقبال والسرى أوصاف تدل على الحركة.. والحركة فى الكرة هى الدوران؛ لذلك وصف القرآن الكريم الليل بالإدبار تارة وبالإقبال تارة وبالسرى تارة أخرى.

ففى (المدثر ٣٣) يقول الله عز وجل : ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾.

وفى (التكوير ١٧) يقول تعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ (أى أقبل ظلامه).

وفى (الفجر ٤) يقول سبحانه : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾.

والنهار يقبل ويدبر أيضا.. ولكن القرآن لم يصفه بهذه الصفات دائما، وإنما وصف النهار بوصف يتعلق بانكسار ضوء الشمس على الغلاف الجوى للأرض الذى من شأنه أن يظهر ضوء النهار تدريجيا ويغيب تدريجيا، ولولا الغلاف الجوى للأرض لظهر ضوء النهار فجأة ولاختفى فجأة.

نقرأ فى (المدثر ٣٣، ٣٤) قول الله عز وجل : ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ (أسفر: أى أضاء وأشرق).

وفى (الليل ١، ٢) يقول تعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾.

وفى (الأعراف ٥٤) يقول عز وجل : ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ يدل على أن الفعل «يغشى» يعود على الليل، كما يعود على النهار.. وكل منهما يغشى الآخر يطلبه حثيثا.. وقال الإمام ابن كثير: إن المعنى: يذهب ظلام هذا

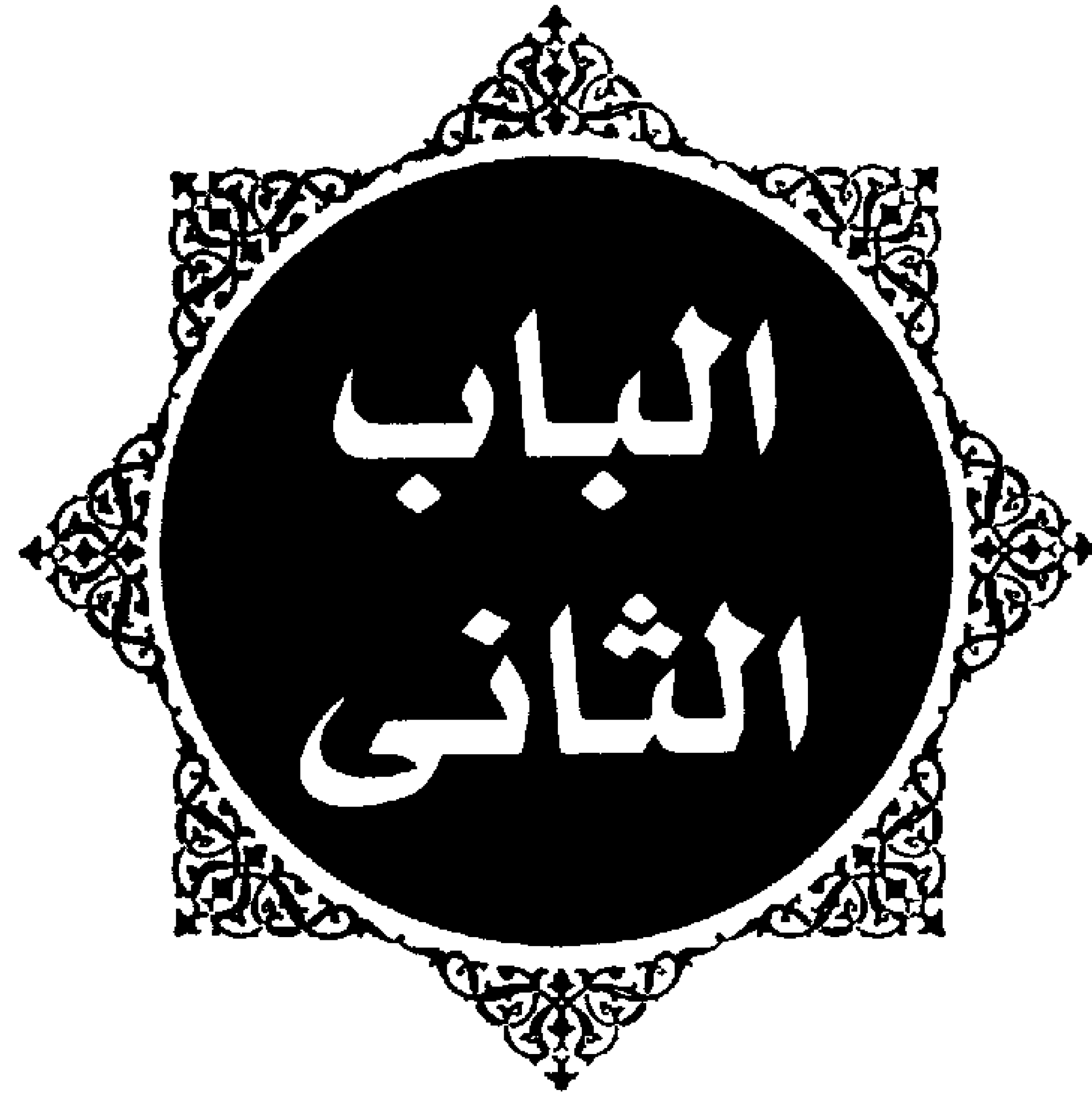
بضياء هذا، وضياء هذا بظلام هذا، وكل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا أى سريعا.

وفى الآية ـ كما نرى ـ وصف دقيق لتعاقب الليل والنهار.. وهو وصف يستلزم حتما حركة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس.

ونقرأ قول الله تعالى :

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾(الزمر ٥).

«ويكوّر» معناها (يلف) وهو فعل يشير إلى حركة دوران الأرض حول محورها.. فالليل يتداخل فى النهار، والنهار يتداخل فى الليل.. وهذه حقيقة علمية ذكرت فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع تأكيدًا لها وإيحاء للناس أن يتفكروا فى هذه الحقيقة الكونية التى تتعارض تماما مع تصوراتهم قديما أن الأرض مسطحة وثابتة لا تتحرك.



لكل مخلــوق أجــــل

١- لكل شىء فى الكون أجل.

٢- كل الكائنات مرتبطة بالزمن.

٣- الزمن البيولوجى: أجل.. وآجال.

٤- الزمن البيولوجى: أزمان ليس زمنا واحدًا.

١ ـ لكل شىء فى الكون أجل

أخرج الإمام أحمد عن عبدالله بن سلمة، عن على رضى الله عنه قال : مر بى رسول الله ﷺ وبى وجع، وكنت أقول : اللهم إن كان أجلى قد حضر فارحمنى، وإن كان آجلا فارفعنى، وإن كان بلاء فصبرنى. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم عافه واشفه». قال: فما اشتكيت ذلك الوجع بعد.

أخرج الإمام أحمد عن أنس رضى الله عنه : أن النبى ﷺ قال: «من سره أن يعظم الله رزقه، وأن يمد فى أجله، فليصل رحمه».

ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ

هذه الأحاديث المشرفة تتحدث عن الأجل، وللأجل أكثر من معنى.. فالأجل ليس معناه الموت، وإنما معناه مقدار الوقت إلى الموت، ودليل ذلك حديث رسول الله ﷺ الذى أخرجه الإمام أحمد: **«ما أحسن الموت إذا جاء الأجل»**.

والأجل أيضا هو حلول الدين، وهو انقضاء عقد العدة، كما قال الله عز وجل: ﴿وَلاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ (البقرة ٢٣٥).

فالأجل ليس معناه الموت، والأجل ليس معناه الوفاة.. ولكن أجل الإنسان مقداره الأيام التى يقضيها فى الدنيا من يوم مولده إلى يوم موته(*).

والأجل هو الزمن البيولوجى للإنسان، أو الأزمان البيولوجية التى تحدث داخل جسم الإنسان؛ لأن الحديث النبوى ذكر الأجل مفردا وجمعا، وذكر القرآن الأجل مفردا ومثنى.

وذكرنا أن الزمن الجغرافى يتزامن مع الزمن البيولوجى.. فالإنسان يعيش فى زمنين: زمن جغرافى يتعلق بالليل والنهار، وزمن بيولوجى يجرى فى كل خلية من خلايا الجسم.

ونجد إيقاع الزمن البيولوجى فى أجسامنا، فى كل العمليات الحيوية وهى كثيرة، منها:

- خروج البويضة من المبيض فى الأنثى، وفى الدورة الهرمونية التى تشترك فيها هرمونات عديدة فى نظام محكم وعجيب. وبينما يتزامن كل من الزمن الجغرافى والزمن البيولوجى فى نشاط الإنسان فى حياته الدنيا، نجد أن الدورة الشهرية عند المرأة مثلا لا علاقة لها بالزمن الجغرافى، وإنما تتصل بزمن بيولوجى محكم، يجرى فى كل خلايا الجسم وأعضائه.

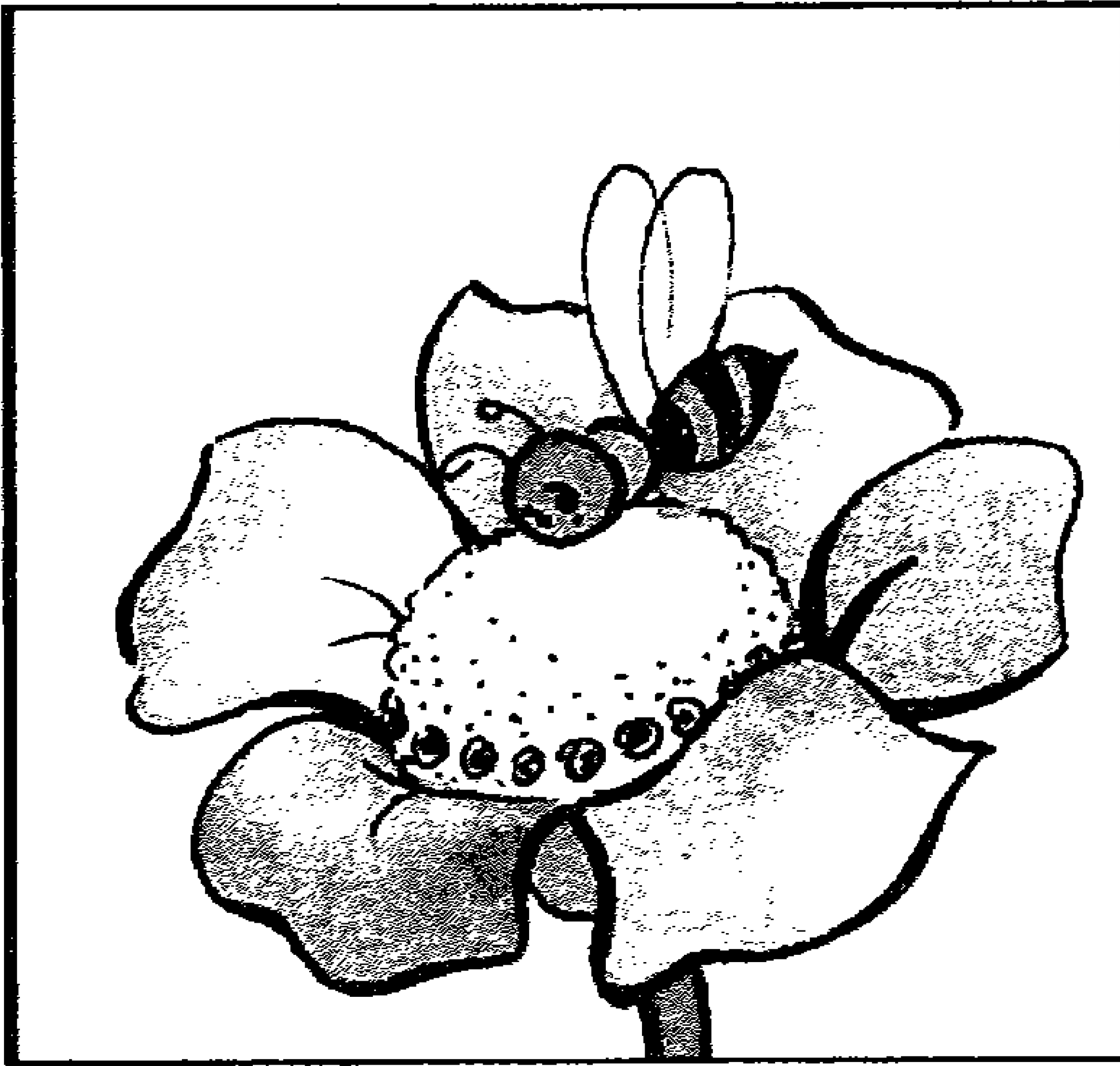
ودورات النوم واليقظة تتعلق بكلٍّ من الزمن الجغرافى والبيولوجى.. فالإنسان يتثاءب ويشعر بالرغبة فى النوم فى وقت معين، ويلح عليه النوم إلحاحا فيستسلم له وينام أو يستيقظ فى وقت معين أيضا، دون أن يوقظه أحد؛ فإيقاع الزمن البيولوجى له السيطرة الأولى على الإنسان فى تعاقب النوم واليقظة.. وإذا قاوم الإنسان النوم حين جاء موعده، لسبب أو لآخر، فإن الإنسان يعتريه شعور بالإرهاق البدنى، والخمول، وعدم القدرة على التفكير والتركيز الذهنى، ويصير وكأنه نائم بلا نوم.

(*) راجع الجزء الثانى من موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى (للمؤلف).

ونجد ذلك فى قول الله عز وجل:

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾(الفرقان ٤٧)، فالذى يجعل النهار سباتا، والليل نشورا، يُحدث بنفسه خللا بالتوافق بين الزمن البيولوجى فى الجسم، والزمن الجغرافى الذى يدور حوله، الأمر الذى يسبب آثارًا سلبية فى جسم الإنسان.

وكل جهاز فى جسم الإنسان يعمل فى انضباط تام، وكأن فيه ساعة بيولوجية منضبطة، ونجد مثلا على ذلك دورة الهرمونات.. وما يترتب عليها من أنشطة فى الجسم.. وليس ذلك فى جسم الإنسان فحسب، بل فى كل الكائنات الحية جميعا، من حيوان وطير وحشرات ونبات، فالزمن البيولوجى يجرى فى أجسامنا، وتعيشه خلايانا وهناك سر من أسرار الزمن البيولوجى نجد فيه عجبا.. وهو أن الزمن البيولوجى فى نوع من المخلوقات يتوافق مع الزمن البيولوجى فى نوع آخر من الخلق، وبذلك يكون الزمن البيولوجى فى أمة من الخلق يجرى فى الزمن البيولوجى فى أمة أخرى من أمم المخلوقات.. ونستدل بذلك على ما جاء بالحديث الشريف: «**إنما أجلكم فى أجل من خلا من الأمم**».



ونشاهد فى حياتنا الدنيا تزامن الآجال البيولوجية فى أنواع مختلفة من المخلوقات، كما يحدث بين الأزهار والحشرات.. إن استمرار حياة كل منهما يعتمد على حياة الآخر؛ لذلك تتزامن وتتوافق فنجد أن الزمن البيولوجى الذى يجرى فى الشجرة، ينشط فى الزهور فتتفتح، وتملأ كئوسها بالرحيق، وفى نفس الوقت يعمل الزمن البيولوجى الذى يجرى فى الحشرات، وينشط فى النحل والحشرات الأخرى، ويدفعها للبحث عن الزهور وامتصاص الرحيق، فنجدها جاهزة ومستعدة لاستقبالها.. وتمتص الحشرات الرحيق، وتتعلق حبوب اللقاح بجسدها وإذا زارت نفس الحشرات زهورا أخرى، نقلت حبوب اللقاح منها ولقحتها.

وبذلك يعمل توافق الزمن البيولوجى فى كل من الزهرة والنحلة على تبادل المنفعة فى كل من الزهور والنحل، واستمرار حياة كل منهما.. ولو لم يتوافق الزمن البيولوجى فى النحل والنبات فى النشاط، لماتت الحشرات جوعا، ولماتت النباتات بتوقف تزاوجها، ولتوقفت الحياة على هذه الأرض.

إن كثيرا من أنواع الطيور تهاجر من أوطانها إلى أماكن أخرى فى العالم تبعد عنها بعدا شاسعا، وفى زمن معين وكأن هناك ساعة بيولوجية متقنة، تتحكم فى نشاط الطيور، فتحدث هجرات تلك الطيور فى أزمان محددة وإلى أماكن معينة، وخلال طرق محددة فى الذهاب والعودة.

إن هجرة الطيور مثلٌ لتأثير الزمن البيولوجى على نشاط الكائنات الحية جميعا.. وستظل هجرة الطيور سرا من أسرار الخلق، لا يفسره لنا إلا معرفتنا بأسرار الزمن البيولوجى، الذى يجرى فى أدمغة الطيور، وتجرى أدمغة الطيور فيه.

٢ ـ كل الكائنات مرتبطة بالزمن

أخرج الإمام مسلم عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال :

قال النبى ﷺ : «مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الرياح، تصرعها مرة، وتعدلها مرة، حتى يأتيه أجله»... إلخ الحديث الشريف.

— — — — — — —

ما من مخلوق حى إلا وهو مرتبط بالزمن ارتباطا عضويا.. نجد ذلك فى فطرة خلق الإنسان والدواب والطيور وكذلك فى الحشرات والنباتات.

فدورة حياة كل حشرة مرتبطة بزمنها البيولوجي، لا تختلف معه مطلقا وإلا انتهت حياتها.. فهذه دورة حياة البعوض مثلا، لها إيقاع زمنى ثابت فى كل أنواعها.. فهناك ساعة ثابتة تحدث فيها نوبة الملاريا.. وبعض أنواع طفيل الملاريا ـ الذى يحمله البعوض ـ تظهر نوباته كل يوم، وبعضها كل يومين، وبعضها الآخر أكثر من ذلك.. والبعوض نفسه لا يأخذ وجبته من دم الإنسان إلا ليلا.. وهكذا نجد الزمن البيولوجي مهيمنا على كل من البعوض وطفيل الملاريا.. وقِس على هذا كل الحشرات الناقلة للأمراض.. والنبات أيضا بكل أنواعه له إيقاع زمنى، مميز لكل نوع من أنواع النبات.

وتظهر أنواع النباتات فى زمن محدد.. وتزرع وتحصد فى زمن محدد.. فدل هذا على أن كل نوع من النبات يحمل أجله وزمنه، ويتسع المعنى فى قوله تعالى لهذه الحقيقة: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾(يونس ٤٩).

ولقد استطاع علماء النبات أن يتوصلوا إلى معرفة فى أى فصل من الفصول مات فرعون مصر توت عنخ آمون. فقد اكتشف فى مقبرته سنة ١٩٢٢م باقة من الزهور القديمة، موضوعة فوق تابوته.. وبالرغم من مرور آلاف السنين، وجفاف تلك الزهور جفافا تاما، إلا أن علماء النبات استطاعوا التعرف على نوعها.. وعلموا أنها زهور لا تظهر إلا فى نهاية مارس، وبداية إبريل. فعلموا أن توت عنخ آمون مات فى أوائل فصل الربيع.. وفى إحدى الدراسات فى أمريكا عن إيقاعية الزمن فى النبات أمكن للباحث أن يحدد ٣٢٨ نوعا من الزهور البرية، ويتعرف على زمنها الذى تظهر فيه.

فظهور النبات البرى، أو بداية نمو نبات مائـى، أو ظهـور زهـور أو ثمـار أو نضجها، أو زيارة فراشة أو نحلة للزهرة.. كل هذا له إيقاعات زمنية محددة، تتكرر كل زمن معين، وتوقيت محدد، ينطق بوجود خالق مبدع عظيم، يدبر الأمر، يفصل الآيات.

وتتأثر بعض أنواع الحيوان بالتوقيت القمرى، وتضبط مواقيتها فيه، كما تفعل موجات المد والجزر فى البحار، فلها إيقاع زمنى محدد، وعلى سبيل المثال يوجد طحلب بحرى يسمونه ديكتيوتا ديكوتوما، ويظهر كعشب ضئيل الحجم، وهذا العشب يطلق خلاياه الذكرية، وبويضاته فى

زمن محدد، وبهذا تلتقى تلك الخلايا الجنسية فى الماء فى وقت واحد، فتكون فرصة التزاوج بينها أكثر احتمالا.

وكل دورات حياة النباتات جميعا تعتمد على الإيقاع الزمنى.. وقد اكتشف علماء النبات أن لكل نبات ساعة من ساعات النهار والليل، فيها تتفتح زهوره ولا تتفتح فى وقت آخر، ومن العجيب أن ذلك يتزامن مع دورة حياة الحشرات التى تقع على هذه الزهور، وتكون سببا فى تلقيح النبات واستمرار دورة حياته.. وهكذا تتزامن إيقاعات الزمن البيولوجى فى كل من الزهور والحشرات.

وعمليات استجابة النباتات لفترات الليل والنهار تعرف عليها الناس من قديم، فهناك زهور تتجه إلى مصدر الضوء (مثل عبَّاد الشمس)، وأوراق تتفتح إذا أقبل النهار، وتغلق إذا أمسى الليل، لذلك قال عنها بعض العلماء: إنها تنام كما ينام البشر، وتستيقظ كما يستيقظون.

وفى كتاب (الساعة البيولوجية) للعالم جون بالمر رئيس قسم البيولوجى بجامعة نيويورك ذكر أن ظاهرة إيقاعية الزمن وانتشارها فى كل ما حولنا يجب اعتبارها من الأمور الأساسية التى تتصف بها الكائنات الحية، فى كل أنشطتها فى التحول الغذائى والنمو، والإثارة، والاستجابة للتكاثر.. وكل ذلك متصل بإيقاعات زمنية بيولوجية، كما أن ظهور الثمار له إيقاع زمنى ثابت. فنخل البلح يثمر صيفًا، والبرتقال يثمر شتاءً، وكذلك ظهور ثمار القطن والذرة والقمح والبطيخ... إلخ.. كل ذلك متصل بزمن بيولوجى محدد، لا يتغير أبدا، ولا يختلف مطلقا.

وأين تقع الساعة البيولوجية فى النباتات؟ لا ندرى.. لكن يبدو لنا أن كل خلية حية فى أى نبات تعمل كساعة بيولوجية فى قمة الإتقان، أو أن فطرة خلقها، وتصميم وجودها مؤسس على إيقاع زمنى محدد قدَّره الله تعالى.

ودورة حياة كل نبات لها إيقاع زمنى بيولوجى : يبدأ نبتة صغيرة، ثم يصير نباتا يهتز خضرا، ثم يدخل فى الشيخوخة، فتصفر أوراقه، ويذبل ويموت. نقرأ عن ذلك قول الله عز وجل : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر ٢١).

ويقول الله تعالى أيضا : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ (الحديد ٢٠).

٣ - الزمن البيولوجى

أجــــل وآجــــال

أخرج البخارى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : **«إنما أجلكم - فى أجل من خلا من الأمم - ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس»**... إلخ الحديث الشريف.

وفى رواية الإمام أحمد فى المسند عن ابن زيد عن أيوب عن نافع عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ : **«ألا إن مثل آجالكم فى آجال الأمم قبلكم، كما بين صلاة العصر إلى مغيربان الشمس»**.

أخرج البخارى عن زيد بن وهب قال عبد الله : حدثنا رسول الله ﷺ - وهو الصادق المصدوق - قال: **«إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما. ثم يكون علقة مثل ذلك. ثم يكون مضغة مثل ذلك. ثم يبعث الله ملكا يؤمر بأربع كلمات وقال له : اكتب عمله ورزقه وشقى أو سعيد. ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، يعمل بعمل أهل النار. ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة»**.

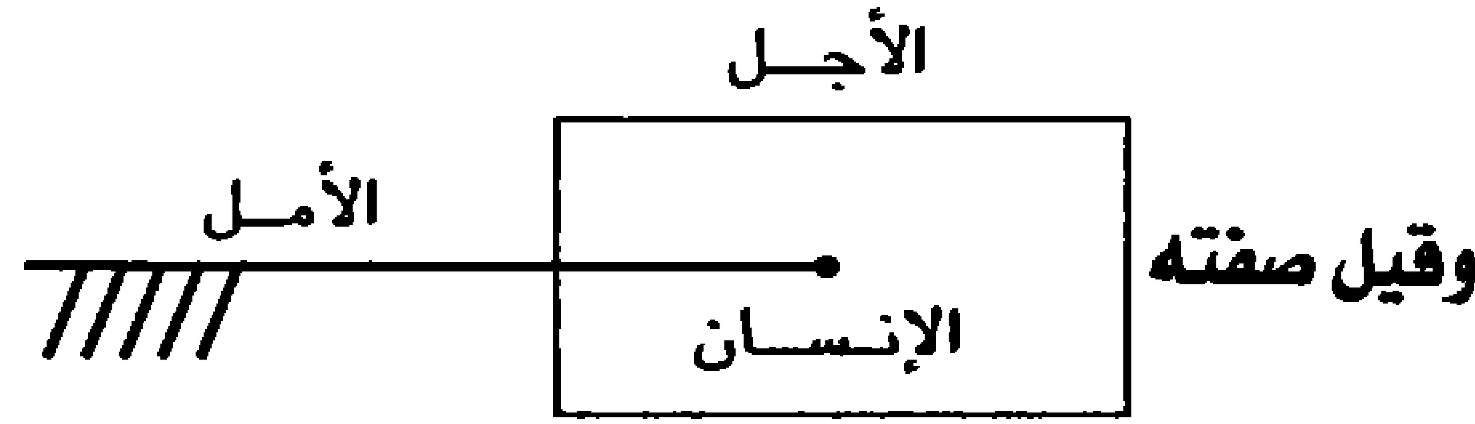
وفى رواية أخرى : **«ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع : برزقه وأجله، وشقى أو سعيد»**.

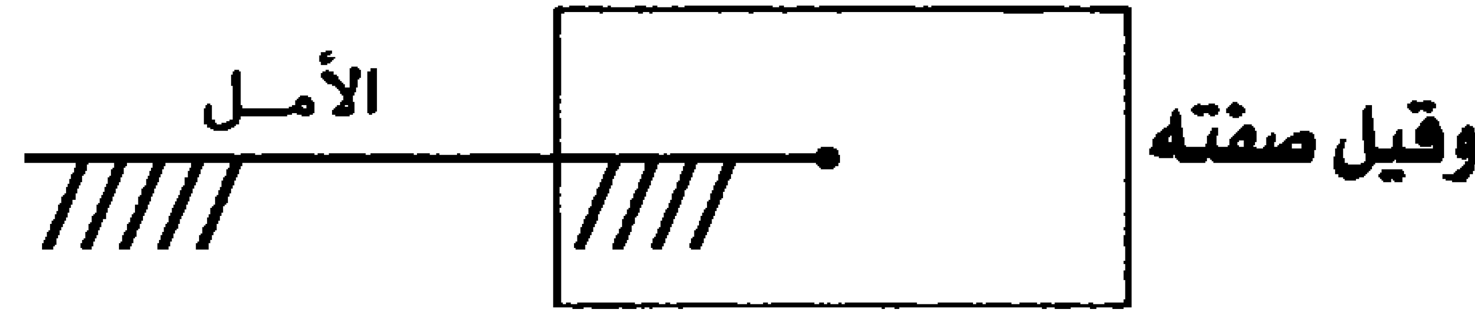
وأخرج البخارى ومسلم عن عبيد الله بن أبى بكر بن أنس، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:

«وكَل الله بالرحم ملكا فيقول: أى رب نطفة، أى رب علقة، أى رب مضغة. فإذا أراد الله أن يقضى خلقها قال : أى رب ذكر أم أنثى، أشقى أم سعيد؟ فما الرزق، فما الأجل؟ فيكتب كذلك فى بطن أمه».

أخرج مسلم فى صحيحه عن أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيد أن النبى ﷺ قال : **«يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر فى الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة. فيقول: يارب أشقى أو سعيد؟ فيُكتبان. فيقول : أى رب: أذكر أو أنثى؟ فيكتبان. ويكتب عمله، وأثره، وأجله، ورزقه. ثم تطوى الصحف فلا يُزاد فيها ولا يُنقص»**.

وأخرج البخارِى عن منذر بن ربيع بن خثيم عنِ عبد الله رضى الله عنه قال : خَطَّ النبى ﷺ خطًا مربعا، وخطَّ خطًا فى الوسط خارجا منه، وخَطَّ خططا صغارا إلى هذا الخط الذى فى الوسط من جانبه وقال : هذا الإنسان وهذا أجله قد أحاط به، وهذا الذى هو خارج منه أمله. وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا.





وعن أنس قال: «هذا ابن آدم، وهذا أجله، ثم أمله» أي إن أجله أقرب إليه من أمله : فالأمل يسبق الأجل.

— — — — — — — —

هذه الأحاديث النبوية المشرفة تتحدث عن «الأجل». فما «الأجل»؟

الأجل في اللغة : مدة الشيء. .والقدر المحدد من الزمن له.

ويجري الزمن في هذا الكون، وفي كل ما في الكون من مخلوقات؛ لأن الله تعالى خلق فيها الزمن.. ولو شاء الله تعالى لخلق الكون في لمح البصر أو أقرب. وهو القائل عز وجل : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس ٨٢).

فلماذا شاء الله تعالى أن يخلق الكون في ستة أيام كما قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾(يونس ٣)؛ ذلك لأن الله تعالى لو خلق هذا الكون في لحظة واحدة، ما خلق فيه زمنًا.. ولكان هذا الوجود دار خلود، لا دار فناء؛ لذلك خلق الله الزمن يوم خلق السماوات والأرض، كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أبي بكرة قال ﷺ: «ألا إن الزمن قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض».

فالزمن يجري في كل شيء في هذا الكون، منذ بدء الخلق وإلى أن ينتهي هذا الكون.

ولكل مخلوق في السماوات والأرض أجل قدّره الله تعالى عليه، وفيه ولد، وعندما ينتهي يموت. يمضي الزمن، ويطوي سجل هذا الوجود، يطوي المستقبل فيجعله حاضرا.. يطوي الحاضر فيجعله ماضيا لا يعود أبدا.. وجاء في الأثر: «ما من يوم ينشق فجره، إلا وينادي : يا بن آدم: أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني، فإني لا أعود إلى يوم القيامة».

وذكر القرآن الكريم الزمن بكل أقسامه كما قال تعالى:﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾(الروم ١٧، ١٨).

حين تمسون: وقت المغرب والعشاء.

وحين تصبحون: وقت الفجر.

عشيا: وقت العصر.

وحين تظهرون: وقت الظهر.

وقال الله عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾(الأعراف ٢٠٥).

الغدو : الوقت الذى بين صلاة الفجر إلى طلوع الشمس.

الآصال: جمع أصيل، وهو الوقت بين العصر والمغرب.

وجاء فى الأثر عن جريان الزمن ومرور الآجال: «**إن المؤمن بين مخافتين: من عاجل قد مضى، لا يدرى ما الله صانع فيه. ومن آجل قد بقي، لا يدرى ما الله قاض فيه. فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته. ومن الشيبة قبل الهرم، ومن الحياة قبل الموت**».

الأحاديث النبوية المشرفة التى ذكرناها تتحدث عن الأجل وأنواعه، والآجال مواقعها وآمادها. وهى تفسير قول الله عز وجل فى (الأعراف ٣٤): ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ فذلك قوله ﷺ: «**ألا إن أجلكم فى أجل من خلا من الأمم**» وهو تفسير لقول الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُون﴾ (الأنعام٢).. فما الأجل؟ وما الآجال؟

ولكل أمة أجل : أى وقت معلوم، وزمن محدد فى هذه الحياة الدنيا.

فإذا جاء أجلهم : أى وقت وفاتهم، وانتقالهم من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون: أى لا تزيد آجالهم ساعة، ولا تنقص ساعة.

وما الأجل؟ وما أبعاده؟ وما حساباته؟

الأجل هو الزمن المحدد لأمد معين، فالزمن داخلٌ فى الأجل، ونحن نحس بالزمن؛ لأننا نعيش فيه، ودخل الفلاسفة فى متاهات فكرية وفلسفية، فى محاولة فهمهم للزمن والأجل، ولم يصلوا إلى فهم صحيح، ولا إلى توافق فى الآراء عنه.

وكان الخطأ الذى وقعوا فيه جميعا، والذى قادهم إلى متاهات فكرية وفلسفية، أنهم اعتقدوا أن الزمن جوهر واحد، وأن الأجل أجلٌ واحد.. وأن له حسابات واحدة. وما كانوا يعلمون أن كلا من الأجل والزمن آجال متعددة، وأزمان مختلفة يدخل بعضها فى بعض.

فهناك الزمن الفلكى :

وهو زمن يتعلق بآجال الكواكب والنجوم، وهو زمن له حسابات خاصة به، ونحن نعرف عنه شيئا، ولكن ما لا نعرفه أكثر كثيرًا، وله قوانين محكمة قدرها الله تعالى، ليست فى غيره من الأزمان والآجال؛ لذلك يختلف الزمن الفلكى عن الأزمان الأخرى اختلافا كبيرا.

وهناك الزمن الجغرافى :

وهو زمن يتعلق بكوكب الأرض فقط، ولكل كوكب زمن جغرافى يختلف عن الزمن الجغرافى لأى كوكب آخر. فالزمن على القمر، غير الزمن على الأرض، غير الزمن على المشترى، غير الزمن على زحل، والزمن الجغرافى يتعلق بحركة دوران الأرض حول نفسها مرة واحدة كل يوم أمام الشمس وحول الشمس مرة واحدة كل سنة، والزمن الجغرافى له تعلق آخر بحركات القمر.

وهناك الزمن البيولوجي :

وهو زمن يجرى فى الأجسام الحية، وفى خلاياها.. وهو يختلف من خلية إلى أخرى، ومن مخلوق إلى مخلوق. فالزمن البيولوجي أزمان مختلفة.. وآجال شتى.

والزمن البيولوجي فى الأحياء، غير الزمن الجغرافى لكوكب الأرض، إلا أنه يتوافق معه، فالمخلوقات الحية التى يجرى فيها الزمن البيولوجي تعيش هى الأخرى فى زمن جغرافى. وهنا يقوم سؤال: ما موقع آجالنا فى وسط هذه الأزمان؟ إنه سؤال تصعب الإجابة عنه، إلا أننا نجد إشارة علمية عنه فى الحديث النبوى الشريف: «**إنما أجلكم فى أجل من خلا من الأمم**».

وهناك الزمن الجيولوجي :

وهو زمن يتعلق بكوكب الأرض وما عليه من جبال وصخور.. وهو فى مجمله تأثير الزمن الجغرافى على مادة هذه الأرض.

وكل زمن بيولوجي فى أى كائن حى ابتدأ بظهور ذلك الكائن الحى، وينتهى بنهايته. وفى أول سورة الإنسان قال الله عز وجل: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ أى أتى على الإنسان زمن لم يكن له ذكر عند الخليقة، ثم لما عرّف الله تعالى الملائكة أنه جعل آدم خليفة، وحمّله أمانة العقل والتكليف، ظهر فضله على كل المخلوقات، فصار مذكورا.. وقال القشيرى : قبل خلق آدم لم يكن الإنسان فى الخلق مذكورا، ولكنه كان عند الله مذكورا. ولقد مضت أزمان، لم يكن آدم مخلوقا فيها، ولا مذكورا لأحد من الخليقة، وبعد ذلك خلقه الله تعالى آخر الخلق فى كوكب الأرض، فصار مذكورا بين الخلائق.

وجاء ذكر الزمن البيولوجي فى قول الله عز وجل:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ (الأنعام٢)، والمعنى: هو الذى خلقكم من طين فى جسد آدم؛ لأن آدم خلق من طين.

و(الأجل) هو الوقت المحدد لانقضاء الأمد، وأجل الإنسان هو الوقت المحدد لانقضاء عمره فى الدنيا.

ثم قضى أجلا: هى فترة حياة الإنسان فى الدنيا. وهى مقدرة عند الله تعالى أزلا. ودليل ذلك قوله تعالى:﴿**ثم قضى أجلا**﴾ فأجل الإنسان هو من قضاء الله عز وجل.

وأجل مسمى عنده : هو الوقت المحدد لبعث الإنسان يوم القيامة، وقد يكون المعنى أن الله تعالى جعل لكل إنسان أجلا محددا فى الدنيا، وأجلا محددا يبعث فيه يوم القيامة ﴿**وأجل مسمى عنده**﴾.

ولماذا لم يقل: «ثم قضى أجلا وأجلا مسمى عنده» وقال: ﴿**ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده**﴾ ذلك أنه ميّز بين الأجلين، فعدل بالكلام عن العطف، ورفع الأجل الثانى بالابتداء تمييزا بين الأجلين.

﴿**ثم أنتم تمترون**﴾ أى تجادلون جدال الشاكين، مع أنه إله واحد، وأن البعث من بعد الموت حق.

وجاء فى الأثر أن الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ قابل مشركا، وأراد أن يقنعه على قدر مستوى إدراكه ومنطقه. فقال له الإمام على :

أنت لا تؤمن بالبعث بعد الموت والحساب فى الآخرة. وأنا أؤمن بذلك.

فقال الكافر: نعم.

قال الإمام على: إذًا فواحد منا على حق، والآخر على باطل.

قال الكافر: نعم.

قال الإمام على: فإذا افترضنا أنك على حق، وأنه ليس هناك بعث ولا حساب بعد الموت، فأنت بكفرك لن تكسب شيئا، وأنا بإيمانى لن أخسر شيئا.

قال الكافر : نعم.

قال الإمام على: وإذا افترضت أنت أننى على حق، وأن الإنسان عندما ينتهى أجله ويموت يجد نفسه فى حياة أخرى، فيها بعث وحساب. فأنا حينئذ بإيمانى سأكون فائزًا. وأنت بكفرك ستكون خاسرا. وهكذا فأنا بإيمانى على الحالين فائز. وأنت بكفرك على الحالين خاسر. فاسلك طريق الإيمان الذى يؤدى بك إلى الفوز والنجاة،ففكر الكافر ساعة ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

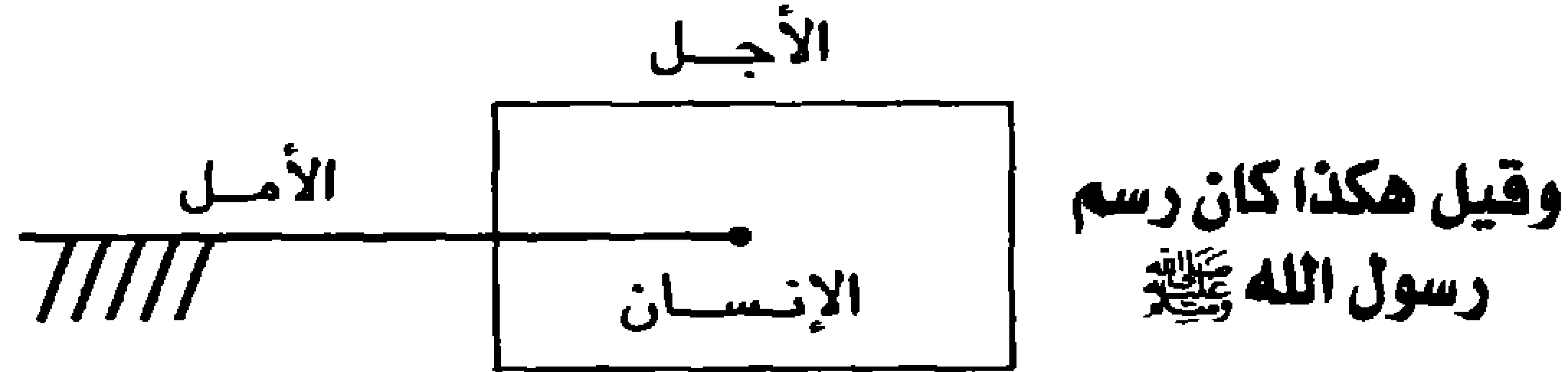
٤ ـ الزمن البيولوجى

أزمان ليس زمنا واحدًا

أخرج البخارى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما أجلكم فى أجل من خلا من الأمم ما بين العصر إلى مغرب الشمس**»... إلخ الحديث الشريف.

أخرج الترمذى عن الربيع خُثَيْم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: خطّ رسول الله ﷺ خطًا مربعا، وخط فى وسط الخط خطا، وخط خارجا من الخط خطا، وحول الذى فى الوسط خطوطا. فقال: «**هذا ابن آدم، وهذا أجله محيط به، وهذا الذى فى الوسط الإنسان. وهذه الخطوط عُرُوضُهُ، إن نجا من هذا ينهشه هذا. والخط الخارج الأمل**».

وقيل هكذا كان رسم رسول الله ﷺ



وهذا حديث حسن صحيح أخرجه الترمذى عن أبى العوام عن عمران القطان عن قتادة عن مُطَرِّفِ بن عبدالله عن أبيه أن النبى ﷺ قال: «**مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته المنايا وقع فى الهرم حتى يموت**».

وفى رواية «**وفى جنبه**».

أخرج الإمام أحمد فى المسند عن ابن زيد عن أيوب عن نافع عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فى حديث له: «**ألا إن مثل آجالكم فى آجال الأمم قبلكم**»... إلخ الحديث الشريف.

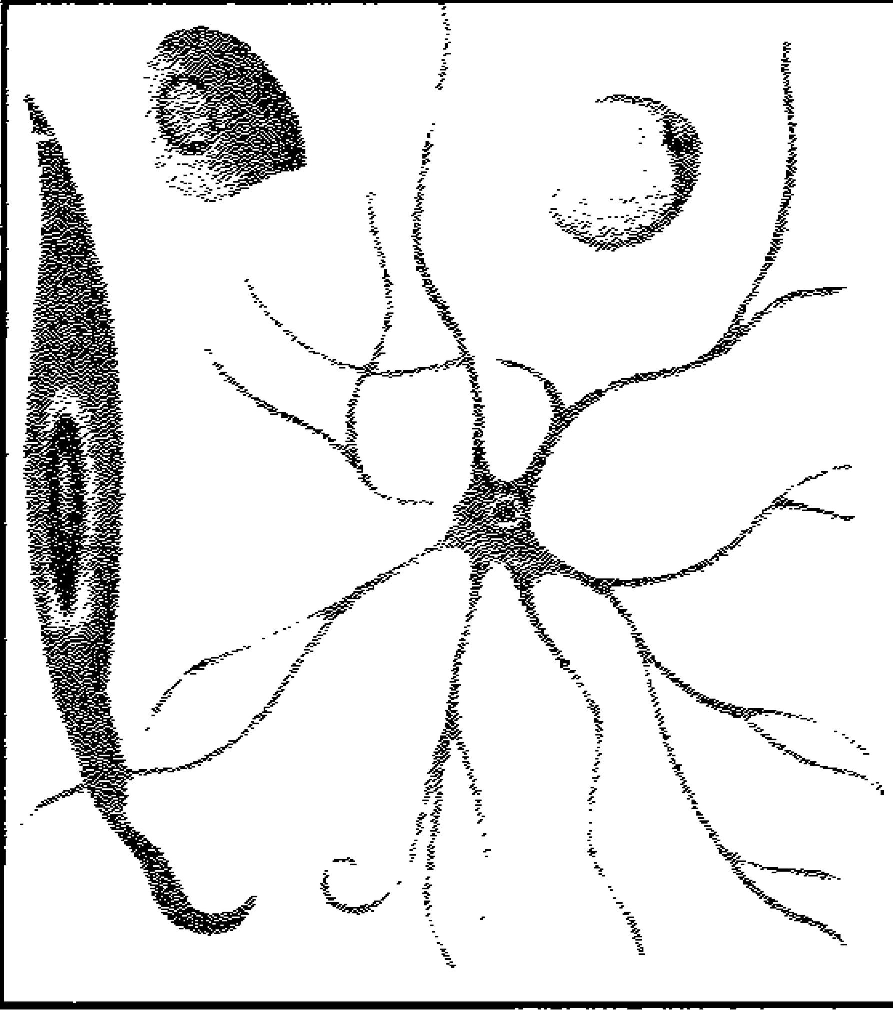
— — — — — — — —

الأحاديث النبوية المشرفة تتحدث عن أجل الإنسان البيولوجى، أى الذى يجرى داخل جسمه.. والحديث الذى أخرجه الترمذى عن أبى العوام يتكلم عن أجل خلايا جسم الإنسان.. وأن لكل خلية أجلا مقدرا، إذا انتهى فإنها تموت وتحل محلها خلية جديدة.. وبذلك تحدث كثير من المنايا بجسم الإنسان ـ بل هى مئات الملايين فى الدقيقة الواحدة.. فالجسم أثناء حياته تحدث به ملايين عمليات الموت فى خلاياه، ويعاد خلقها من جديد.. وكل خلية لها أجل وتنتهى بانتهائه، وتبدأ خلية جديدة بأجل جديد.. وهكذا.

ومن هذا نفهم أن الزمن البيولوجى يجرى فى الزمن، والزمن يجرى فيه.

وذكر العالم الألمانى إسكوف سنة ١٩٦٥ أن نحو خمسين وظيفة عضوية فى جسم الإنسان تعتمد على إيقاعية الزمن البيولوجى فيه.. إلا أننا نقول إن جسم الإنسان بكل خلاياه، وبكل أعضائه يعتمد على إيقاعية الزمن البيولوجى.. ولا وجود للجسم بغير زمن.. ولا وجود لزمن بغير مادة.

وإذا تعمقنا في دراسة مفهوم الزمن البيولوجي في جسم الإنسان نجد عجبا، نجد أن الزمن أو الأجل مركب من أزمان - أو آجال - يدخل بعضها في بعض، وكأنه فصول في كتاب واحد.. وهذا تفسير علمي للحديث النبوي الشريف الذي رواه الإمام أحمد عن ابن زيد عن أيوب عن نافع عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا إن مثل آجالكم في آجال الأمم قبلكم**»، الحديث موجه إلى «الأمة»؛ لأنه قرنها بالأمم التي كانت قبلها.. فكان تقدير القول: ألا إن مثل أجلكم في آجال الأمم قبلكم، وهذا ما ذكره الحديث الشريف الذي أخرجه البخاري عن نافع عن ابن عمر قال ﷺ: «**إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم..**»، وهو حديث نبوي شريف يفسر قول الله عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف ٣٤)، وقد تكون كلمة (آجال) في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد تدل على الآجال البيولوجية التي تجري داخل جسم الإنسان، أو تدل على آجال الناس، التي يختلف أجل كل واحد منهم عن أجل الآخر أو تدل على الاثنين معًا.


صورة لخلايا الجسم

إن جسم الإنسان مكون من أعضاء، وكل عضو مكون من خلايا، وكل خلية لها زمن بيولوجي محدد، وهو زمن يختلف عن الزمن البيولوجي للخلايا الأخرى في الأعضاء الأخرى، فجسم الإنسان ككل مكون من أجل واحد، هو جملة حياته في الدنيا، وداخل هذا الجسم، ذي الأجل الواحد، آجال كثيرة ومنايا كثيرة.. وهذا تفسير للحديث الشريف: «**مثل ابن آدم وفي جنبه تسع وتسعون منية...**» إلخ.

فالجسم وما فيه من خلايا، كمثل حشد هائل من البشر. هو حشد واحد، وجمع واحد، إلا أن لكل فرد من ذلك الحشد أجلا يختلف عن أجل غيره من الناس.. فذلك الحشد الواحد من البشر يحتوي على أزمان مختلفة، وآجال شتى. وكذلك جسم الإنسان وما فيه من خلايا يحتوي على آجال مختلفة ومنايا شتى، ولكل خلية أجل مسمى عند الله عز وجل.

ولم تأت كلمة (آجال) في القرآن الكريم.. وذكرت كلمة (أجل) غير معرفة بأداة المعرفة، تدل على الآجال جميعا.. وذكرت كلمة (الأجلين).

وجاء لفظ (أجل) يدل على مفرد. في قول الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف ٣٤).

وجاء لفظ (أجل) يدل على مثنى. في قول الله تعالى:

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ (الرعد ٢).

وجاء لفظ (أجل) يدل على جمع في قول الله تعالى:

﴿وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ (الحج ٥).

وجاء لفظ (أجل) لمفرد ولجمع معا، كما قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ (الأنعام ٢).

ثم قضى أجلا: هو أجل الإنسان في حياته الدنيا.

وأجل مسمى عنده: هو يوم البعث بعد الموت.. يوم القيامة.

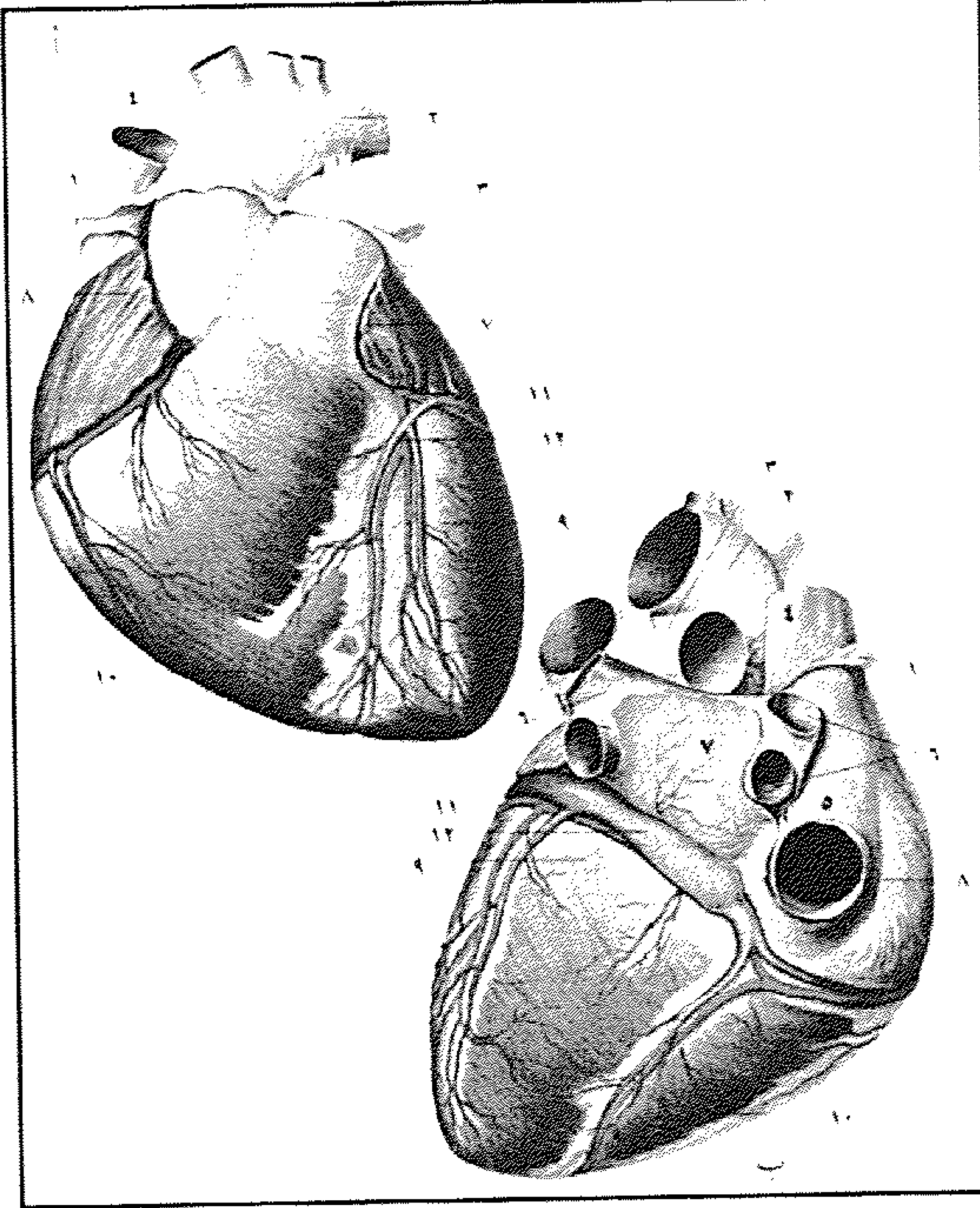
والزمن البيولوجى يتوافق مع الزمن الجغرافى، المتعلق بدوران الأرض حول محورها أمام الشمس.. فجسم الإنسان فى داخله زمن بيولوجى، ويعيش فى بيئة يجرى فيها زمن جغرافى.. من هذا ندرك أن كل إنسان يعيش فى زمنين، يسيران جنبا إلى جنب: زمن جغرافى، وزمن بيولوجى.

ومن الإيقاعات الزمنية البيولوجية فى جسم الإنسان: انقباضات القلب والنبض، فالنبض الذى نحسه فى الشرايين كدقات الساعة، فنقيس الزمن من خلال النبض، أو نقيس الزمن بالنبض. ففى الحالات العادية تكون سرعة النبض العادية من ٦٠ إلى ٩٠ نبضة فى الدقيقة الواحدة والمتوسط ٧٠ ـ ٧٥ نبضة فى الدقيقة، ويكون النبض فى الأطفال أسرع، وفى كبار السن أبطأ.

وقال الشاعر :

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق وثـوانــى

والقلب عضو عضلى ينقبض بواسطة شحن كهربائية تنطلق من محطة كهربائية فى القلب تسمى (منظم ضربات القلب) وهى مكونة من عقدة صغيرة من نسيج خاص من عضلات الأُذين الأيمن للقلب.. وفى هذه العقدة آلاف عديدة من الخلايا ذات النشاط الكهربائى الخاص بعضلات القلب. وهى تطلق شحنا كهربائية بسرعات محددة، تجرى فى عضلات القلب.. فتحدث بها انقباضات حجرات القلب الأربع وانبساطها، بطريقة وتوقيت فى قمة الإعجاز فى الخلق، مما يجعل القلب مضخة للدم تعمل فى كفاءة نادرة.



وتبدأ دورة انقباض عضلات القلب وانبساطها، بانطلاق شحنة كهربائية من (العقدة المنظمة)، التى تقع أعلى الأذين الأيمن.. فتسرى فى عضلات الأذينين، فينقبضان معا، ويندفع الدم منهما إلى البطينين الأيمن والأيسر. وفى هذه اللحظة تصل الشحنة الكهربائية، للحظة خاطفة، تعطى الفرصة للأذينين لتفريغ ما فيهما من دم فى البطينين.. فينقبض البطينان ويفرغان ما فيهما من دم إلى الشريانين الرئوى والأورطى.

وينقبض القلب وينبسط بمعدل سبعين مرة فى الدقيقة، أى نحو مائة ألف مرة فى اليوم أى نحو ٣٧ مليون نبضة كل عام.. وهكذا ينبض القلب كساعة فى قمة الدقة والإتقان. والزمن البيولوجى الذى نجده فى القلب نجده فى كل خلية من خلايا الجسم.

وهل توجد علاقة بين نبضات القلب كساعة بيولوجية، وبين الزمن الجغرافى؟

نقول نعم.. فإن سرعة نبضات القلب نهارا تكون أسرع منها ليلا.. وسرعتها أثناء اليقظة أعلى من سرعتها أثناء النوم.

ومتى يفقد الزمن البيولوجى فى الجسم تزامنه مع الزمن الجغرافى؟

يفقد الزمن البيولوجى داخل جسم الإنسان تزامنه مع الزمن الجغرافى أثناء السفر بالطائرات النفاثة السريعة فى العصر الحالى. فيسافر الإنسان إلى مكان يختلف فيه الزمن الجغرافى عن الزمن الجغرافى فى بلده الذى سافر منه.. وفى هذه الحالة يحدث اضطراب نفسى وبدنى، نتيجة لفقدان التزامن بين زمنى الجسم: الجغرافى والبيولوجى ويختلف الزمن الجغرافى فى مكان عن الزمن الجغرافى فى مكان آخر. فإذا تحدث إنسان فى القاهرة مثلا إلى صديق له فى لندن، وتحدث فى الوقت نفسه إلى صديق له فى دلهى لعلم أن الزمن فى الهند بعد الزمن فى القاهرة بأربع ساعات، وأن الزمن بالقاهرة قبل الزمن فى لندن بساعتين. وصار واضحا أن كلمات : «الأبد»، و«بعد»، و«قبل» تحدث فى نفس الوقت على سطح الأرض.. ولكل منها مكان.. إذًا تحديد الزمن الجغرافى لا يكون صحيحا إلا إذا ارتبط بالمكان.. وإلا كان لا معنى له.. لذلك ولأسباب أخرى جعل أنشتاين الزمن البُعد الرابع فى هذا الوجود.

إن الزمن الجغرافى على الأرض يتحدد بحركة دوران الأرض حول نفسها مرة كل يوم أمام الشمس وطوافها حول الشمس مرة واحدة كل عام كامل، فالزمن يتعلق بالحركة والمكان والمادة، وبدون المادة والمكان والحركة، لا يكون زمن.

ويمكننا أن نتعرف على أسرار العلاقة بين الزمن البيولوجى فى جسم الإنسان والزمن الجغرافى فى المكان الذى يعيش فيه على سطح الأرض.. وفى طرق السفر فى الرحلات الجوية السريعة الآن يختل التزامن بين الزمنين اللذين يعيش الإنسان فيهما على سطح الأرض.. البيولوجى والجغرافى، فالإنسان الذى يسافر من الشرق إلى الغرب بطائرة نفاثة سريعة يجد نفسه قد اخترق عدة مناطق زمنية، وكذلك المسافر من الغرب إلى الشرق.. أما المسافر من الشمال إلى الجنوب أو بالعكس، فلا يخترق مناطق زمنية ولا توجد فروق فى التوقيت، وبالتالى لا يحدث خلل فى التزامن بين زمنيه الجغرافى والبيولوجى.

وإذا سافر إنسان من القاهرة إلى نيويورك مثلا.. وفرق التوقيت ثمانى ساعات وكان معتادا على النوم فى الساعة العاشرة مساء، فيجد عندما يصل إلى نيويورك أن الساعة العاشرة مساء بتوقيت القاهرة (وقت نومه) هى الثانية بعد الظهر بتوقيت نيويورك فلا ينام وإذا نام فى الساعة العاشرة مساءً بتوقيت نيويورك فكأنه نام فى السادسة صباحًا بتوقيت القاهرة وكأنه نام بعد أن يكون سهر الليل بطوله حتى طلوع الشمس ونام، لذلك يكون فى منتهى الإرهاق البدنى والنفسى.

أما المسافر من الغرب من نيويورك إلى القاهرة شرقا فيحدث له العكس، فإذا وصل القاهرة وكان الوقت العاشرة مساءً بتوقيت نيويورك، يجد الساعة فى القاهرة تشير إلى السادسة صباحا لذلك فإن الذين يسافرون بالطائرة غربا أو شرقا لمسافات بعيدة يعانون من إرهاق بدنى ونفسى.. والسبب كما علمنا حدوث خلل فى التزامن بين زمنى الإنسان : البيولوجى والجغرافى، لذلك ينصح الأطباء النفسيون المسافرين الذين يخترقون بالطائرة مناطق زمنية لساعات طويلة أن يلتزموا الراحة التامة، يوما أو يومين بعد وصولهم، وألا يحاولوا أن يبرموا أمرًا مهمًا، إلا بعد مرور يوم كامل على الأقل من ابتداء الراحة.

ويحدث نفس الاضطراب فى التزامن بين الزمن الجغرافى والزمن البيولوجى فى الجسم، ليس فى

السفر الطويل السريع بالطائرات شرقا أو غربا فحسب، ولكن فى المجتمعات الصناعية أيضا.

ويحدث ذلك أثناء العمل الليلى المتقطع، الأمر الذى يتعارض مع الساعة البيولوجية داخل الجسم. وقال عالم النفس الألمانى فون جيبساتل : (لم يكن من قبيل المصادفة أن يصنع الإنسان الحبوب المنومة، فى الوقت الذى ظهر فيه المصباح الكهربائى)، وفى كتاب (أطفال الكون) للدكتور هويمار أستاذ علم النفس الألمانى يقول :

(إن العمل فى المجتمعات الصناعية كثيرا ما يتعارض مع الزمن البيولوجى فى الجسم، المرتبط بدورة الليل والنهار. وإن نظام حياة الإنسان المعاصر، ابتدأ يبتعد عن التوافق بين الزمن الجغرافى الذى يعيش فيه الإنسان، والزمن البيولوجى الممتزج بخلايا جسم الإنسان، مما يؤدى إلى تزايد حالات الأرق، والإرهاق العصبى، والإجهاد البدنى الذى يحدث لكثير من الناس فى المجتمعات الحديثة).

وقال فى كتابه أيضا: (إن الكثير من المرضى، فى المجتمعات الصناعية، يشكون من تلك الأعراض، التى يشكو منها المسافرون الذين يتخطون المناطق الزمنية بالطائرات السريعة).

وقال: على أى إنسان يريد أن يعيش حياة طبيعية سليمة أن يجعل التوافق تاما بين زمنه الجغرافى وزمنه البيولوجى. والزمن البيولوجى يهيمن على نشاط كل خلية بالجسم وكل نشاط حيوى وهرمونى، ولقد اعتادت أجهزة الجسم على أن تكون فى قمة نشاطها نهارا، ويقل نشاطها ليلا، فينبغى أن يكون نشاط الإنسان نهارا، وأن يكون نومه ليلا.. وبذلك يتوافق زمناه الجغرافى والبيولوجى، فيستريح بدنًا ونفسًا.

وهذا من بعض المغزى العلمى فى قول الله عز وجل : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ (الفرقان ٤٧).



النــوم يجــرى فــى الزمــن

١- النوم ظاهــرة زمنيــة.

٢- النوم موتــة صغــرى.

٣- نــوم أهــل الكهــف.

٤- نـــــوم عزيـــــر.

٥- الرؤى والأحلام خارج حدود الزمان والمكان.

١ ـ النوم ظاهرة زمنية

أخرج الإمام أحمد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبدالله قال :

سرنا ليلة مع النبى ﷺ فقلنا: يا رسول الله لو أمستنا الأرض فنمنا، ورعت كلابنا. ففعل فقال: ليحرسنا بعضكم. فقلت: أنا أحرسكم. فأدركنى النوم، فنمت ولم أستيقظ إلا والشمس طالعة، ولم يستيقظ رسول الله ﷺ إلا بكلامنا، فأمر بلالا فأذن لصلاة الصبح، فصلى بنا رسول الله ﷺ.

أخرج الإمام أحمد، عن قتادة، عن الحسن، عن أبى بكرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**لايقولن أحدكم إنى قمت رمضان كله. وقال (لابد من نوم أو غفوة)**».

أخرج الإمام أحمد عن شعبة عن قتادة عن عبد الله بن رباح، عن أبى قتادة الأنصارى قال : أناخ رسول الله ﷺ راحلته. فتوسد كل رجل منا ذراع راحلته، فما استيقظنا حتى أشرقت الشمس. فقلت : يا رسول الله، هلكنا، فاتتنا الصلاة، فقال ﷺ : «**لم تهلكوا ولم تفتكم الصلاة. إنما تفوت اليقظان، لا تفوت النائم**».

أخرج الإمامان البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**السفر قطعة من العذاب، يمنع الإنسان نومه وطعامه وشرابه**».

أخرج الإمام مسلم عن عمرو بن مرة، عن أبى عبيدة عن أبى موسى قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : «**إن الله عز وجل لا ينام، ولا ينبغى له أن ينام، يخفض القسط، ويرفعه. يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل. حجابه النور، لو كشفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**».

سبحات وجهه : نوره وجلاله وبهاؤه. ما انتهى إليه بصره من خلقه : أى جميع مخلوقاته؛ لأن بصره تعالى محيط بجميع خلقه. «**لو كشف الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه من خلقه**»؛ لأن الكون كله، والخلق جميعا، لا يطيق تجلى الذات الإلهية، كما تجلى للجبل فجعله دكا وخرَّ موسى صعقا.

يتضح لنا من الأحاديث النبوية المشرفة أن داخل أجسامنا توقيتًا بيولوجيًّا منضبطًا، إلا أنه يختلف من إنسان إلى إنسان.. وكأن فى مخ كل إنسان ساعة بيولوجية تحدد له الساعة التى يستيقظ فيها، والوقت الذى ينام فيه، وفى أغلب الأحوال يستيقظ الإنسان، دون أى منبه خارجى، فى الوقت المحدد الذى يستيقظ فيه كل يوم، بفروق بسيطة من الوقت، وهذا الوقت البيولوجى غالبا ما يكون متزامنا مع الزمن الجغرافى.. وهو زمن المكان الذى يعيش فيه الإنسان، وهذا الزمن البيولوجى اليومى جزء من الزمن البيولوجى للجسم ككل.. وهذا ما نطلق عليه اسم (الأجل) .

كما علَّمنا رسول الله ﷺ عندما رسم مربعا وداخله مربع آخر أصغر منه ـ قال هذا هو الإنسان.. ويحتويه المربع الأكبر.. وقال: وهذا أجله.. فالأجل محيط بالإنسان، وما إن ينتهى الأجل حتى

يخرج الإنسان منه ويعود إلى خالقه.. ونحن فى علومنا التجريبية نطلق على «أجل الإنسان» «زمنه البيولوجي».. وداخل ذلك الزمن البيولوجي أزمان بيولوجية أخرى، هى آجال خلايا الجسم التى تنتهى، ويعيد الله تعالى خلقها من جديد، بآجال أخرى.

فأجل الإنسان فى الدنيا مجموع أيامه فى الدنيا، وداخل هذا الأجل آجال أخرى صغيرة، هى آجال خلايا الجسم التى تنتهى ويعيد الله تعالى خلقها من جديد، وهذه الحقيقة هى من بعض المعانى فى قوله تعالى :

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾(الأنعام ٢).

﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً﴾ هى فترة حياة كل خلية من خلايا جسده.. وقد يكون المعنى مجموع أيامه فى الدنيا.

﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ : هو مجموع أيامه فى الدنيا، وقد يكون المعنى الوقت المحدد ليوم البعث الذى يقوم فيه.

والنوم ظاهرة زمنية بيولوجية لا يستطيع الإنسان أن يقاومها ويمنعها، ولو حاول أن يقاومها ثلاثة أيام متعاقبة، فإنه يصاب بالإرهاق الشديد، وعدم القدرة على الاتزان، وتتوقف فيه القدرة على التفكير. وإذا حُرِمَ من النوم يوما رابعا؛ لفقد الإحساس بالمحيط الذى يكون فيه، وتحدث له الكثير من الهلاوس السمعية والبصرية.. وإذا منع من النوم بعد ذلك، وقع فى غيبوبة. فالإنسان لا يستطيع أن يعيش بدون نوم. الإنسان يستطيع أن يمتنع عن الطعام والشراب أياما.. ولكنه لا يتحمل الامتناع عن النوم أيامًا كما ذكرنا. فالحرمان من النوم هو من أشد أنواع الحرمان؛ فذلك حديث رسول الله ﷺ: «**السفر قطعة من العذاب، يمنع الإنسان نومه وطعامه وشرابه**».. وفى هذا الحديث الشريف إعجاز علمى لم يدركه إلا العلماء فى عصرنا هذا.

إن الإنسان يقضى نحو ثلث حياته فى نوم، وثلثيه فى يقظة. أى إنه يمر بعالمين مختلفين كل يوم، ويعيش فيهما معا.. وكأنه يمر بحالتى الموت والحياة.. وينام الإنسان فى ساعة معينة، لا يستطيع أن يغالب النوم فيها، ويستيقظ من نومه دون أن يوقظه أحد، وفى ساعة معينة أيضا.. وكأن فى أحد مراكز مخه ساعة بيولوجية فى غاية الدقة والإتقان.

وليست إيقاعية الزمن البيولوجي فى مواعيد اليقظة والنوم فحسب، بل هى فى أكثر من خمسين عملية حيوية فى الجسم، إلا أن ظاهرة النوم واليقظة تأتى فى المقام الأول.. فالناس الذين يحيون حياة منتظمة، فينامون فى نفس الميعاد، وكذلك يأكلون فى زمن محدد كل يوم.. بعض أولئك الناس قد تضطرهم ظروف عارضة تحول بينهم وبين الزمن المحدد لنومهم، سواء أكان ليلا، أو عند الظهيرة. هنالك لا يمر الأمر بسلام، ولكنهم يحسون فى الساعة التى اعتادوا أن يناموا فيها ولم يناموا، بأحاسيس من الإرهاق والضعف والاسترخاء والرغبة الشديدة فى النوم، ويظهر كل ذلك على وجوههم، وكأن إيقاعية زمن النوم قد أرسلت إشاراتها إلى أعضاء الجسم جميعا، فيدخل الجسم فى حالة من الخمول والاسترخاء الشديدين، فإذا قاوم الإنسان ذلك الشعور ساعة من الزمن - أو أكثر أو أقل - اختفى ذلك الشعور شيئا فشيئا، وبانتهاء التوقيت الزمنى للنوم يعود الجسم إلى حالته الطبيعية من الحيوية والنشاط، وكأنه قد أخذ نصيبه من النوم!

من هذا ندرك أن الرغبة الملحة للنوم ظاهرة زمنية، أو إيقاع زمنى يعترى الجسم ولو لم يكن كذلك، ما اختفت تلك الرغبة الملحة للنوم، إذا مر توقيتها الزمنى، ولم يستجب الإنسان لها.

ونشر ج.ويثرو أستاذ علم الفيزياء بجامعة لندن فى النصف الأول من القرن العشرين كتابا بعنوان (ما هو الزمن؟)، وكان أحد أبوابه الرئيسية بعنوان (الساعات البيولوجية) وذكر ما حدث فى تجربة علمية أجريت سنة ١٩٣٦م على رجلين متطوعين، وضعهما الباحث فى مكانين معزولين عن بعضهما، وعن العالم الخارجي.. واستمر الأول يومين (٤٨ ساعة) واستمر الثانى ٩٦ ساعة.. وقد استطاع هذان الرجلان - كلٌّ على انفراد - أن يقدرا مرور الزمن الجغرافى وهما معزولان عن بعضهما، وعن العالم تقديرا دقيقا.. ولم تتعد نسبة الخطأ الـ ٥٪.

وقد يستطيع الإنسان أن يقاوم الرغبة الملحة للنوم، تبعا لإيقاع الزمن البيولوجى فى مراكز خاصة فى المخ، ولكن هذه المقاومة لا تستمر طويلا، كما تحدثنا من قبل. فبعد أيام قليلة يدخل فى حالة النوم برغبته أو ضد رغبته.. ونجد ذلك فى سائقى الشاحنات الكبيرة، التى تنقل البضائع عبر مسافات بعيدة، وقد تستغرق أياما.. نجد أن بعض السائقين ينام أثناء قيادته للشاحنة ولو للحظات، وهذا هو السبب الرئيسى فى حوادث الطرق، واصطدام السيارات. فلابد للإنسان من أن يستجيب للرغبة الملحة للنوم، ولو لم يجد مكانا ينام فيه إلا قارعة الطريق، أو حتى على الجليد! ومن هذه الحقائق ندرك بعض المغزى العلمى فى حديث رسول الله ﷺ: «**لابد من نوم أو غفوة**». والله عز وجل لا ينام.. قال الله عز وجل: ﴿**اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ**﴾ (البقرة ٢٥٥).

وكما أخبرنا الحديث النبوى الشريف أن الله عز وجل لا ينام، ولا ينبغى له أن ينام، وهذه حقيقة منطقية، فكل من الزمن وإيقاعية النوم، مخلوقان.. ولهما قوانين خلقها الله تعالى، ونواميس قدرها على عباده. ومن البديهى ألا يخضع الخالق لقوانين خلقه، ولا لنواميس قدَّرها على عباده.. فله - تعالى - الخلق والأمر، لذلك لا ينبغى لله أن ينام، ولو كان ينام، ما كان قيُّومًا لذاته، ولا قيوما ومقوما لخلقه.. فذلك حديث رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل لا ينام، ولا ينبغى له أن ينام. وهو مقوما لخلقه، قيوما عليهم، لذلك فهو يخفض القسط ويرفعه. وتُرفع له أعمال عباده**»، وهو رفع لا يخضع لزمن؛ لأن ذلك الرفع من أمر الله، وأمر الله فوق قوانين خلقه.

إن النوم ظاهرة زمنية بيولوجية، تحدث لكل إنسان حى، من إنسان ودابة وطير وأسماك، كل كائن حى يمر بمرحلتين كل يوم: مرحلة اليقظة التى تنتهى بمرحلة النوم، وما إن تنتهى حتى تبدأ مرحلة اليقظة من جديد. وقال بعض العلماء: إن النائم يكون متصلا بالزمن الكونى، واليقظان متصلاً بالزمن الجغرافى، فالإنسان يمر بزمنين مختلفين كل يوم.. إلا أنه دائما يعيش فى زمن بيولوجى لا يخرج عنه أبدا، ولا ينفصل عنه مطلقا.

والإنسان فى تلك الأزمان الثلاثة يعيش فى عالمين مختلفين، فينتقل بينهما كل يوم. ويتضح ذلك للإنسان نفسه عندما يستيقظ من نومه فجأة، فتمر عليه لحظات فى الدقائق الأولى من يقظته، وهو لا يدرى أين هو، وفى أى يوم هو، ثم يستيقظ ويعود إليه الوعى كاملا. إن هذه الفترة الانتقالية فيها الدليل على الاختلاف الكبير بين عالم النوم وعالم اليقظة.. وكأن الإنسان الذى يدخل فى النوم، إنسان دخل فى عالم الموت، وكأن الإنسان الذى عاد إلى اليقظة، إنسان عاد إلى الحياة.. وهذا من بعض المعانى فى حديث رسول الله ﷺ: «**كما تنامون فكذلك تموتون، وكما تستيقظون، فكذلك تبعثون**». وروى مرفوعا من حديث جابر: «**النوم أخو الموت**» أخرجه الدارقطنى.

٢ ـ النــوم موتــة صغــرى

وأخرج البخارى عن حذيفة أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول: **«اللهم باسمك أموت وأحيا»** وإذا استيقظ يقول: **«الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور. الحمد لله الذى ردّ إلىَّ روحى، وعافانى فى جسدى، وأذن لى بذكره»**.

وأخرج البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليقل: باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه. إن أمسكت نفسى فارحمها. وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»**.

أخرج البخارى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: إن النبى نائمة عيناه ولا ينام قلبه.

وقال رسول الله ﷺ: «تنام عينى ولا ينام قلبى».



كوكب الأرض وكل ما فيه يجرى فيه الزمن، وكل مخلوق له أجل يبدأ فى بدايته، وينتهى فى نهايته.. ولا يستطيع الإنسان أن ينفصل عن الزمن، إلا بعد الموت، هناك يترك الدنيا التى يجرى فيها الزمن، وينتقل إلى الحياة الأخرى التى لا زمن فيها.

والإنسان أثناء حياته الدنيا، يمر بمرحلتين كل يوم: مرة أو مرتين، إنهما مرحلة اليقظة، ومرحلة النوم.. وهو فى حالة اليقظة يكون متصلا بالدنيا، وفى حالة النوم يكون متصلا بالكون. وهو حى فى الحالتين، إلا أنه فى اليقظة يكون متصلا بذاته الإنسانية كاملة، وهى العقل والنفس والروح، أما أثناء النوم، فالاتصال بالعقل ينقطع، والروح تخرج من الجسد، ولكنها تظل متعلقة به.. فالنائم كائن حى بالنفس، يجرى فيه الزمن البيولوجى، ولكن لا عقل فيه ولا روح، ينقطع اتصاله بالعقل، ويضعف اتصاله بالروح.. فالروح تخرج من الجسم وتنطلق إلى عالم آخر، تتصل فيه مع الأرواح الأخرى، فى عالم آخر.. وهذا سبب من أسباب الأحلام والرؤى.

وخروج الروح من الجسم موت، أما خروج النفس من الجسم فهى الوفاة؛ لذلك فالإنسان فى حالة النوم يكون فى حالة موت أصغر؛ لأن روحه خرجت منه، إلا أنها مازالت على اتصال به، وهى كما قال بعض أئمة الصوفية : الروح له تعلق خاص بالجسم، لا هو داخل فيه، ولا هو خارج منه. وهو بذلك يصف حالة تعلق الروح بالجسم أثناء النوم.

والدليل على أن الروح تغادر الجسم أثناء النوم، وتعود إليه أثناء اليقظة، الحديث النبوى الشريف الذى أخرجه البخارى عن حذيفة أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من نومه يقول: **«الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور. الحمد لله الذى ردّ إلىَّ روحى، وعافانى فى جسدى وأذن لى بذكره»**، ومادامت الروح ترد إلى جسم الإنسان حالة يقظته، فإن ذلك يدل على أنها تغادره أثناء نومه.. وقوله ﷺ: **«الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا»** يشير إلى أن النوم موت.. ولكنه موت أصغر؛ لأن الإنسان فى نومه حى بوجود النفس فيه. وأثناء النوم تنام حواس الإنسان (أى يقل

نشاطها): العين تنام والسمع ينام وكذلك باقى الحواس.. وذكر نوم الحواس أثناء النوم فى الحديث النبوى الشريف ـ فقد أخرج البخارى عن أنس رضى الله عنه ـ قال: إن النبى ﷺ نائمة عيناه ولا ينام قلبه. وقال رسول الله ﷺ: «**تنام عينى ولا ينام قلبى**».

وروى أن النبى ﷺ قال: «**كما تنامون فكذلك تموتون. وكما تستيقظون فكذلك تبعثون**».

ولا يشعر الإنسان أثناء نومه بمرور الزمن؛ لأن روحه تكون فى ملأ الأرواح الذى لا يجرى فيه الزمن، وإذا نام الإنسان نوماً طويلا يقوم من نومه؛ وينظر إلى ساعته، ويدهش لمرور كل ذلك الوقت.. وهو نائم ولم يشعر بمروره، وقديما نام أهل الكهف ثلاثمائة عام ثم أيقظهم الله. قال قائل منهم: كم لبثتم؟ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم.

٣ـ نـــــوم أهـــــل الكـهـــــف

جاء فى التفسير بالمأثور للإمام جلال الدين السيوطى :

أخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال :

إن الرجل ليفسر الآية يرى أنها كذلك، فيهوى أبعد ما بين السماء والأرض ثم تلا قوله: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ ثم قال : كم لبث القوم؟

قالوا : ثلاثمائة وتسع سنين. قالوا لو لبثوا كذلك لم يقل الله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ ولكنه حكى مقالة القوم.

وأخرج عن عبد الرزاق، وابن جرير، وابن منذر، وابن أبى حاتم عن قتادة قال معنى الآية وقال : هذا مقالة الناس. أما كم لبثوا فهو فى علم الله تعالى، ألا ترى أنه قال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾.

وأخرج ابن أبى حاتم عن قتادة ـ رضى الله عنه ـ فى قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ قال هذا قول أهل الكتاب فرد الله تعالى عليهم: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.

أخرج ابن أبى شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، عن الضحاك قال: لما نزلت الآية ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ قيل يا رسول الله تسعة أيام أم تسعة شهور أم تسع سنين.

قال : وازدادوا تسع سنين.

روى أن فتية الكهف كانوا من مدينة طرسوس على شاطئ البحر.. وكانوا من أشراف قومهم. وكانوا يعيشون بعد زمن النبى عيسى عليه السلام.. وآمنوا برسالة النبى عيسى عليه السلام وعبدوا ربهم، وكان قومهم يعبدون الأصنام. قال الله تعالى عنهم : ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ﴾ (الكهف ١٦).

فى آية سورة الكهف أمر من الله تعالى لهم بالفرار بعقيدتهم، والهجرة إلى بلد آخر حتى لا يفتنوا فى دينهم، ويتركوا الوطن والمال والولد والأهل، خوفا من الوقوع فى الكفر.

ولقد هاجر المسلمون من مكة إلى الحبشة بدينهم.. ثم هاجروا بعد ذلك إلى المدينة، وتركوا أرضهم وديارهم وأهاليهم وأولادهم وأقرباءهم وأموالهم.

وأخرج الإمام أحمد فى المسند عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من الذى لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم»**. أما إذا زاد أذى الناس ومحاولاتهم دفع الإنسان إلى ترك دين الله، إلى الشرك والضلال، فاعتزال الناس أفضل.. وكان فتية من أهل طرسوس مؤمنين، وكان الملك جبارا ومشركا، وأهل المدينة كلهم مشركين، وفى أحد اجتماعاتهم قال أحدهم : إنى سمعت خبرا أن الملك دقيوس عقد

العزم على القضاء علينا، وأنه يوشك أن يرسل إلينا من يقتادوننا إليه.. وقال آخر : لقد سمعت بهذا الخبر، وحسبته فرية لا أساس لها من الصحة، وقال آخر : أرى أن نصمد فى مواجهة المشركين، ومحال أن نرجع إلى الشرك، بعد أن هدانا الله إلى الحق. وحدث ما كانوا يخشونه. واقتادهم أعوان الملك إليه.. وقال الملك لهم: لقد وصل إلى علمنا ما حاولتم كتمانه عنا. وصبأتم عن ديننا. ولولا أنى علمت أنكم من أشراف قومكم لأوقعت بكم العذاب على الفور، لذلك؛ سأترك لكم فرصة تراجعون فيها أنفسكم، وتثوبون إلى عقولكم، وترجعون إلى ديننا. وإلا أوقعنا بكم عذابا شديدا.

فربط الله على قلوبهم، وقام أحدهم وقال : إن الله قد هدانا إلى الحق، ولم يكرهنا أحد إلى ذلك.. ولكننا لبينا نداء الحق. أما قوم المدينة ـ وهم أهلونا ـ فقد اتخذوا من دون الله آلهة من الأصنام.. وهذا كفر وضلال. فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا. فقال الملك : إذن اذهبوا اليوم. وسأحضركم أمامى غدا.. وأمامكم طريقان لا ثالث لهما : إما أن تثوبوا إلى عقولكم وتعودوا إلى ديننا. وإما أن تواجهوا عذابا شديدا لا قبل لكم به.

وخرج الفتية.. وقد أيقنوا أنه لا مقام لهم فى تلك المدينة بعد اليوم.. فهاجروا بدينهم من تلك المدينة، فى غفلة من أهلها، ولمحهم كلب فى الطريق، فسار وراءهم، وتعلق بهم، فلم يروا بأسا من أن يرافقهم ويحرسهم. ومازالوا فى سيرهم حتى انتهوا إلى الكهف.. فرأوا أن يأخذوا قسطا من الراحة، وبعد ذلك يستأنفون سيرهم إلى حيث يشاء الله.

وما إن اضطجعوا بأجسادهم على أرض الكهف، حتى راحوا فى نوم عميق.. ونام كلبهم أيضا فى فناء الكهف.. وحدثت بعد ذلك أحداث ما كانت تخطر لهم على بال.. ومرت السنوات والسنوات وهم فى الكهف رقود.. والنوم مضروب على آذانهم.. وكانت الشمس تطلع فتنفذ أشعتها إلى الكهف من كوة. فيصل إلى الكهف الهواء والضوء والنور، إلا أن أشعة كانت تميل عنهم وتبتعد عن أجسادهم.. وبذلك صار الكهف مكانا صالحا للنوم من الناحية الصحية.

وإذا نظرنا إلى ما حدث لفتية الكهف فى نومهم الطويل الذى استغرق مئات السنين، فإننا لابد أن نسلم أولا بقدرة الله تعالى فيما أراد لخلقه، ولكننا على قدر ما نفهم من العلم، نقول إنه ما كانت تكتب لهم الحياة بعد نومهم الطويل هذا، إلا إذا كانوا تحت رعاية تمريضية كاملة، هى من رحمة الله تعالى بهم كما قال تعالى: ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ (الكهف ١٦).

وكان أهم علاج تمريضى لهم أثناء نومهم الطويل الذى استغرق ثلاثمائة سنة، أن قلبهم الله تعالى من جنب إلى جنب، ذات اليمين وذات الشمال.. أما كلبهم فكان باسطا ذراعيه فى فناء الكهف.. وهذا تفسير علمى لعدم تقرح جلودهم، وبقاء أجسادهم لم تأكلها الأض.

كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ (الكهف ١٧) ـ (تزاور) : أى تميل عن كهفهم، ذات اليمين (تقرضهم): أى لا تغربهم. والمعنى أنهم كانوا فى ضوء النهار كله لا تقربهم أشعة الشمس الحارقة وإذا غربت كانت تبتعد بأشعتها عنهم. وكان لابد من دخول الشمس إلى الكهف ليكون جو الكهف صحيا.. يساعد على استمرار نومهم، من غير ضرر يلحق بهم.

وعندما أذن الله تعالى لهم بالاستيقاظ من نومهم الطويل، قاموا من نومهم وهم يشعرون بخمول

بدنى وجوع شديد.. وسأل أحدهم : كم لبثنا؟ قالوا : لبثنا يوما أو بعض يوم.. وهكذا لم يشعروا بمرور ثلاثمائة سنين إلا كمثل يوم أو بعض يوم.. وتوقف الزمن البيولوجى فى أجسادهم.. ولم يشعروا بالزمن الجغرافى الطويل الذى مر بهم وكأنهم كانوا يعيشون خارج الزمن.. وطلبوا من أحدهم أن يذهب إلى المدينة فيحضر لهم طعاما وشرابا.. وأخذ معه ما كان معهم من دراهم..

وخرج من الكهف وهو خائف يترقب.. ودخل طرسوس، فراعه تغير معالم المدينة تغيرا تاما، فإذا القصور صارت أطلالا، وإذا العمائر صارت خرائب. وكانت دهشته أكبر عندما شاهد أهل المدينة، فلم يتعرف على واحد منهم. لقد شاهد وجوها لا يعرفها ولا يألفها.. فمن هؤلاء القوم؟.. وما هذه البيوت الجديدة.. وما هذه القصور الغريبة، بل وما هذه الطرقات التى لم تكن موجودة بالأمس؟ وتحيرت نظراته، وكثرت التفاتاته، وظهر الاضطراب عليه فى كل حركة من حركاته.

لذلك تجمع عليه الناس.. وسألوه هل هو غريب عن هذا البلد؟ وعلام يبحث؟ وفيم يتأمل؟ فقال : إنى لست غريبا.. لكنى كنت هنا بالأمس.. وبت خارج المدينة، وعدت إليها لأشترى لى ولرفاقى طعاما.. فدهش الناس للهجة التى يتكلم بها.. إنها لهجة قديمة، لم يعد أحد يتحدث بها فى عصرهم الذى هم فيه.. وزادت دهشتهم عندما رأوا الدراهم فى يديه! فعقدت الدهشة ألسنتهم.. فقد رأوا دراهم قديمة ضربت منذ مئات السنين، وظنوا أنه عثر على كنز.. وتجمع الناس حوله.. وكثرت أسئلتهم له.. فقال لهم : ليس الأمر كما تقولون.. ولم أعثر على كنز.. وإنما هى دراهمى، وصلتنى من بعض تعاملى فى السوق بالأمس.. ودخلوا معه فى نقاش طويل، فأصابهم الذهول، عندما عرفوا منه أنه كان من أشراف طرسوس منذ ثلاثمائة سنة مضت.. وأنهم وزملاءه خرجوا من البلد خوفا من الملك دقيوس، الذى مات منذ مئات السنين، بعد أن ملأ المدينة ظلما وكفرا.

وأدرك الرجل حقيقة حاله.. وأنه ليس من أهل هذا الزمان.. فقال لهم : دعونى أعود إلى أصحابى فى الكهف، وأخبرهم بأمرى وأمرهم.

وسمع الملك بأمرهم فأسرع إليهم مع جمع كبير من الناس.. ورأى فى الكهف جماعة من الناس، تشرق وجوههم بالحياة، وتجرى الدماء فى عروقهم فاحتفى الملك بهم وقال لهم: إننا مؤمنون مثلكم برسالة النبى عيسى عليه السلام.. وكل أهل القرية كذلك.. ودعاهم إلى قصره للإقامة فيه.. فقالوا له : نحمد الله تعالى على زوال الكفر والكفار عن مدينتنا.. وما نبغى الحياة فى الأرض بعد اليوم.. فقد مات كل جيلنا.. بل وعشرات الأجيال من الناس الذين جاءوا بعدنا.. وتوجهوا إلى الله تعالى ، أن يختارهم إلى جواره، وأن يشملهم برحمته.. وما لبثوا دقائق، حتى صاروا أجسادا لا حياة فيها!.

فقال الملك والناس الذين معه، لعل الله أعثرنا عليهم، لنعلم أن وعد الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها.. وأن فتية الكهف آية من آيات الله، تنطق بحقيقة البعث بعد الموت أمامنا.

وكان القوم يتنازعون بينهم أمرهم فى أمور كثيرة، أين يضعون أجساد أصحاب الكهف!.. أيبنون عليهم بنيانا؟.. أم يقيمون على كهفهم مسجدا؟

ولقد قص الله تعالى علينا ما حدث لفتية الكهف فى سورة الكهف فى قوله عز وجل :

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ

رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلاَءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (١٦) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨) وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠) وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلاَثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاَثَمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (الكهف ٩ ـ ٢٦).

٤ ـ نـــــــوم عُـــــــزيـر

روى البخارى عن حذيفة أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل، وضع يده تحت خده ثم يقول: «اللهم باسمك أموت وأحيا». وإذا استيقظ من نومه كان يقول: «**الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور. الحمد لله الذى ردَ إلىَّ روحى وعافانى فى جسدى وأذن لى بذكره**».

جاء فى التفسير بالمأثور للإمام جلال الدين السيوطى قولان عن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه وابن عباس رضى الله عنهما.

أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم وصححه الحاكم والبيهقى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: خرج عزير نبى الله من مدينته وهو شاب، فمر على قرية خربة وهى خاوية على عروشها. فقال: أنّى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه. فأول ما خلق منه عيناه، فجعل ينظر إلى عظامه، ينتظم بعضها إلى بعض، ثم كسيت لحما ثم نفخ فيه الروح. قيل له كم لبثت؟ قال لبثت يوما أو بعض يوم. قال : بل لبثت مائة عام. فأتى مدينته وكان قد ترك جارا له إسكافيا شابا، فعاد فإذا جاره شيخ كبير.

وأخرج إسحق بن بشر، وابن عساكر، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عزيرا كان عبدا صالحا حكيما، خرج ذات يوم إلى ضيعة له يتعاهدها، فلما انصرف، انتهى إلى خربة حين قامت الظهيرة، وأصابه الحر، فدخل الخربة، وهو على حمار له فنزل عن حماره، ومعه سلة فيها تين، وسلة فيها عنب. فنزل فى ظل تلك الخربة، وأخرج قصعة معه فاعتصر من العنب الذى كان معه فى القصعة. ثم أخرج خبزا يابسا معه. فألقاه فى تلك القصعة فى العصير ليبتل ليأكله. ثم استلقى على قفاه، وأسند رجليه إلى الحائط، فنظر سقف تلك البيوت، ورأى فيها ـ وهى قائمة على عروشها، وقد باد أهلها ـ عظاما بالية. فقال : أنّى يحيى هذه الله بعد موتها. فلم يشك أن الله يحييها، ولكنه قالها تعجبا، فبعث الله ملك الموت فقبض روحه. فأماته مائة عام. وبعث الله إلى عزير ملكا، فخلق قلبه ليعقل به، وعينيه لينظر بهما كيف يحيى الله الموتى، ثم ركب خلقه، وهو ينظر، ثم كسا عظمه اللحم والجلد والشعر. ثم نفخ فيه الروح، فاستوى جالسا. فقال له الملك : كم لبثت؟. قال لبثت يوما أو بعض يوم. فقال له الملك: بل لبثت مائة عام. فانظر إلى طعامك وشرابك، فإذا هما على حالهما لم يتغيرا. وكذلك التين والعنب غضان لم يتغيرا. فقال له الملك : انظر إلى حمارك. فنظر فإذا حماره قد بليت عظامه ولكنها تجمعت وركبت بعضها فوق بعض ثم كسيت لحما وجلدا وشعرا. فلما تبين لعزير قال: أعلم أن الله على كل شىء قدير. فركب حماره حتى أتى بلدته، فأنكره الناس، وأنكر الناس، وأنكر منازلهم.. وانطلق إلى منزله، فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة، قد أتى عليها مائة وعشرون سنة، كانت أَمَةً لهم، خرج عنهم عُزير وهى بنت عشرين سنة. فقال لها عزير: يا هذه أهذا منزل عزير؟. قالت نعم. وبكت وقالت: ما رأيت أحدا من كذا وكذا سنة يذكر عزيرا. وقد نسيه الناس. قال : فإنى أنا عزير. قالت : سبحان الله، إن عزيرا فقدناه منذ مائة سنة، فلم نسمع له بذكر. قال:

فإني أنا عزير، كان الله أماتني مائة عام ثم بعثني. قالت : فإن عزيرا كان رجلاً مستجاب الدعوة، فادع الله أن يرد عليَّ بصري حتى أراك. فدعا بها ومسح يده على عينيها، فصحتا. وأخذ بيدها فقال: قومي بإذن الله. فأطلق الله رجلها، فقامت صحيحة، ونظرت له فقالت: أشهد أنك عزير. فانطلقت إلى محلة بنى إسرائيل وهم فى أنديتهم ومجالسهم. وكان من بينهم من بلغ مائة سنة وثمانى عشرة سنة. فنادتهم فقالت : هذا عزير قد جاءكم. فكذبوها قالت: أنا فلانة مولاتكم، دعا لى ربه فرد علىّ بصرى، وأطلق رجلى، وزعم أن الله كان أماته مائة عام ثم بعثه. فنهض الناس، فأقبلوا إليه، فنظروا إليه. فقال ابنه : كان لأبى شامة سوداء بين كتفيه. فكشف عن كتفيه، فإذا هو عزير. قال ابن عباس رضى الله عنهما : فكان كما قال تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ يعنى لبنى إسرائيل. وذلك أنه كان يجلس مع بنى بنيه، وهم شيوخ، وهو شاب؛ لأنه كان مات وهو ابن أربعين سنة، فبعثه الله شابا كهيئته يوم مات.

وأخرج الحاكم وصححه، عن يزيد بن ثابت، أن رسول الله ﷺ قرأ ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ بالزاى.

— — — — — — — —

ذكرت معظم الروايات، أن الله أمات عزيرًا مائة عام ثم بعثه. وذكر الإماتة أيضا للقرية والإماتة للقرية سقوط جدرانها على عروشها، وخلوها من الأحياء، وإحياء القرية بإعادة بناء دورها وبإعمارها بالسكان من الناس. أما إماتة عزير، فمن المحتمل ألا يكون موتا على الحقيقة، بل هو نوم طويل استمر مائة عام.. وليس ذلك بعجيب. فلقد أنام الله تعالى أهل الكهف ثلاثة أضعاف المدة التى أنام فيها عزيرا.. فالنوم يقال عنه إنه موت، وإن كان موتا أصغر. لا يخرج من الجسم أثناءه إلا الروح، أما النفس - نفس الحياة فتبقى.. ولقد ذكرت الآية الكريمة عن قصة عزير (البقرة ٢٥٩) أن الله أماته مائة عام ثم بعثه، ونرجح أن يكون المعنى أنامه مائة عام، وبعثه أى أيقظه من نومه.. وذكر البعث كناية عن الإيقاظ فى قصة أهل الكهف فى قول الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ (الكهف ١٩)، (بعثناهم): أى أيقظناهم من نومهم الطويل. والأمر نفسه بالنسبة لعزير قال تعالى عنه: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ (البقرة ٢٥٩) وكما بعث الله تعالى أهل الكهف من نومهم الطويل، فكذلك بعث عزيرا من نومه الطويل. وكلاهما لم يشعر بمرور الزمن أثناء نومه.

ووصف الله تعالى النوم بالموت فى قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر ٤٢).

وفسر ابن عباس الآية الكريمة قال : أرواح الأحياء والأموات تلتقى فى المنام، فتتعارف ما شاء الله منها. فإذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها، أمسك الله أرواح الأموات عنده، وأرسل أرواح الأحياء إلى جسدها.

وقد يقال عن الروح «نفس» كما ورد فى الحديث النبوى الشريف عن حذيفة أن رسول الله ﷺ: كان إذا أخذ مضجعه من الليل، وضع يده تحت خده ثم يقول: «**اللهم باسمك أموت وأحيا**» فوصف النوم بالموت.. وفى رواية: «**إن أمسكت نفسى فاحفظها بما تحفظ بها عبادك المؤمنين**» فذكر الروح باسم

النفس، وإذا استيقظ كان يقول: «**الحمد لله الذى أحيانا بعد أن أماتنا وإليه النشور. الحمد لله الذى رد إلىَ روحى وعافانى فى جسدى، وأذن لى بذكره**» فذكر النبى ﷺ الموت كناية عن النوم أيضا. وروى أن النبى ﷺ قال أيضا: «**كما تنامون فكذلك تموتون، وكما تستيقظون فكذلك تبعثون**» فذكر الموت كناية عن النوم. وذكر البعث كناية عن الاستيقاظ. وجاء فى التفسير الواضح: بعثه الله وكأنه كان نائما واستيقظ. وأخرج الدارقطنى عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «**النوم أخو الموت**».

وقال الفخر الرازى: الموت والنوم من جنس واحد، إلا أن الموت انقطاع كامل عن الحياة من كل الوجوه، والنوم انقطاع ناقص عنها من بعض الوجوه.

وبناء على ماسبق، نرجح أن يكون الله تعالى قد قدر النوم الطويل على عزير، فأنامه مائة عام ثم أيقظه وهذا تفسير لقوله تعالى: ﴿**فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**﴾ تمامًا كما قال فتية الكهف عندما أيقظهم الله تعالى من نومهم الطويل قال عنهم: ﴿**وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ**﴾ (الكهف ١٩).

ولما أيقظ الله تعالى عزيرا من نومه الطويل ﴿**فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ**﴾ لم يقل ثم أحياه، لأن الحياة تعقب الموت ولا تعقب النوم. كما قال تعالى ﴿**وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا**﴾ (النجم ٤٤).

أما البعث فيعقب كلا من الموت والنوم، واختلف الناس فى عزير قال الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ إنه كان نبيا وقال المفسرون: إن عزيرا كان من علماء بنى إسرائيل، وقال آخرون: إنه كان حكيما من حكماء بنى إسرائيل.. وكائنا ما كان عزير، فقد خرج يوما راكبًا حماره حتى وصل ديار هرقل، فنزل عن حماره وربطه تحت ظل شجرة.. ثم طاف بالقرية فلم يجد فيها أحدا، وكانت خاوية على عروشها فقال: «**أنى يحيى الله هذه القرية بعد موتها**» فكأنه استبعد إحياء تلك القرية بعد موتها، فكان أن أنامه الله تعالى مائة عام، وأمات حماره مائة عام أيضا.

إن عزيرا لم يكن مكذبا، ولكنه كان مؤمنا، أراد أن يعاين الإحياء بعد الموت.. وأيقظ الله عزيرا بعد نومه الطويل وقال له: «**كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم**» إنه أخبر كما اعتقد. فقد عطل الله تعالى فيه قانون الزمن أثناء نومه الطويل.. كما عطل قانون الزمن فى فتية الكهف أثناء نومهم الذى استغرق ثلاثمائة عام. وقالوا نفس الكلام: ﴿**قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**﴾.. وكما عطل الله تعالى قانون الزمن فى طعام عزير وشرابه، لذلك لم يتسنه، أى لم يتغير وكأنه أعد لتوه.. قال تعالى: ﴿**فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا**﴾ (البقرة ٢٥٩).

﴿**وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً**﴾: قال معظم المفسرين: إن الله تعالى إذ بعث عزيرًا وجد نفسه كما هو يوم أن أماته الله، ووجد أبناءه وحفدته أكبر منه سنا. إذن فلم يكن قد تحول إلى تراب، وإنما كان نائما واستيقظ. وروى عن الإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ أن عزيرا خرج من أهله، وخلف امرأته حاملا، وله خمسون سنة. فأماته الله مائة عام ثم بعثه. ورجع إلى أهله، وهو ابن خمسين عاما، فوجد ابنه الأصغر ابن مائة عام فكان ابنه أكبر منه سنا.

(وانظر إلى حمارك): لقد تحول الحمار إلى تراب، وانظر كيف نحييه مرة أخرى. أمره الله تعالى

بمعاينة إعادة خلق حماره بعد موته وتحوله إلى تراب، ليتبين له قدرة الله تعالى على إحياء الموتى. وأن الله على كل شيء قدير وقوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾.

قال معظم المفسرين: المراد بالعظام عظام الحمار.. إنها نفس فطرة الخلق التى فطر الله الخلق عليها. لا تبديل لخلق الله. فخلق الجنين يبدأ بخلق العظام ثم تهاجر العضلات وتكسو العظام من كل اتجاه.. وهذا ما عاينه عزير فى عملية إحياء حماره.

وهكذا مر الزمن أثناء نوم عزير بطيئا جدا..وكان مائة عام، شعر بها عزير يوما أو بعض يوم.

٥ ـ الرؤى والأحلام خارج حدود الزمان والمكان

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن جابر ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال:

«إذا حلم أحدكم فلا يخبر أحدا بتلعب الشيطان به فى النوم».

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن جابر ـ رضى الله عنه ـ أن أعرابيا جاء رسول الله ﷺ فقال : إنى حلمت أن رأسى قطع، فأنا أتبعه. فزجره النبى ﷺ فقال: **«لاتخبر بتلعب الشيطان بك فى المنام»**.

وأخرج الإمامان مسلم والبخارى عن أبى قتادة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان. فإذا حلم أحدكم حلما يكرهه، فلينفث عن يساره ثلاثا، وليتعوذ من شرها، فإنها لا تضره»**.

وأخرج الشيخان عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: **«رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»**.

وأخرج البخارى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«لم يبق من النبوة إلا المبشرات» قالوا : وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة»**.

أخرج البخارى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها، فإنما هى من الله تعالى، فليحمد الله تعالى عليها، وليتحدث بها. وإذا رأى غير ذلك مما يكره، فإنما هى من الشيطان، فليستعذ من شرها، ولا يذكرها لأحد، فإنها لا تضره»**.

وأخرج مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : **«رؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة والرؤيا ثلاثة: الرؤيا الصالحة، بشرى من الله. ورؤيا بحزن من الشيطان. ورؤيا مما يحدث الإنسان بها نفسه. فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقم فليصل، ولا يحدث بها الناس»**.

— — — — — — — —

من تدبرنا للقرآن والسنة علمنا حقائق عينية، لا تخضع لعلم تجريبى، وهى أن الإنسان فى يقظته يعيش فى الحياة الدنيا، وروحه متعلقة بجسده، ولكنه فى حالة النوم تغادر روحه جسده، فيعيش الإنسان بذاته الإنسانية فى عالم آخر، بينما يعيش بجسده فى الحياة الدنيا، وأثناء الأحلام تتقابل الأرواح، وتتلاقى، وتتحدث فيما بينها، وقد تتحرك الروح بأسرع من الضوء فيعود الزمن بها إلى الوراء.. وقد تتحرك الروح بأقل من سرعة الضوء، فيجرى بها الزمن إلى الأمام (*).

(*) فى كتاب (الكون) للدكتور منصور حسب النبى: قال عن نظرية نسبية الزمن لأنشتاين: كل شىء يتحرك يحمل زمنه معه. وكلما تحرك الشىء أسرع، قل زمنه.

ووضع معادلة لذلك:

$$\frac{\text{الفترة الزمنية بالنسبة للراصد الساكن}}{\text{الفترة الزمنية بالنسبة للراصد المتحرك}} = \frac{١}{\sqrt{١ - \left(\frac{\text{سرعة التحرك}}{\text{سرعة الضوء}}\right)^{٢}}}$$

وطبقا لذلك فإذا افترضنا جدلا أن السرعة صارت مثل سرعة الضوء ينعدم الزمن. وإذا افترضنا جدلا أن السرعة لو زادت على سرعة الضوء عاد الزمن إلى الوراء.

والإنسان فى نومه، وفى يقظته له علاقات بالزمن شتى.. ولنبدأ قصة الأحلام وعلاقتها بالزمن من أولها.

يقول سيجموند فرويد (مؤسس علم النفس الحديث) إن الأحلام من أعمال النفس، ونفى علاقة النفس بالروح! وقال : إن النفس أثناء النوم تكون على صلة مستمرة بالعالم الخارجى، وإن المنبهات الحسية التى تصل الإنسان من البيئة المحيطة به هى مصادر أحلامه. وقال: أما المنبهات الحسية الداخلية، فهى الصور التى استقبلتها الحواس أثناء اليقظة، وبذلك تكون الأحلام مما يُحدّث الإنسان بها نفسه، كما أن البواعث النفسية لها دور محورى فى الأحلام. وتلك البواعث النفسية تسبب آثارا فى اللاشعور لا تنتهى بانتهاء تلك البواعث النفسية؛ لذلك تظل تتراءى له فى أحلامه حتى بعد انتهائها بزمن طويل!

ومن هذا نفهم أن علاقات الأحلام بالزمن تختلف تماما عن الزمن الجغرافى الذى يعيش فيه الإنسان فى الأرض، كما تختلف تماما عن الزمن البيولوجى الذى يجرى فى كل خلية من خلاياه، إنه زمن آخر مختلف، يجرى وكأنه فى عالم آخر، لا مكان فيه لحاضر، أو حال، أو مستقبل.

ومازالت الرؤى والأحلام من أسرار هذا الوجود..

ولقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن الرؤى ثلاثة : رؤيا من الله ورؤيا مما يُحدِّث بها الإنسان نفسه، ورؤيا من الشيطان.

وأثناء النوم يظل الزمن البيولوجى فى جريه فى كل خلية من خلايا الجسم، وتظل الدورة الدموية فى عملها، ويظل القلب ينبض، وتظل الغدد الصماء فى عملها، وفى دورتها الزمنية البيولوجية، وتحدث تغيرات فى مستوى إفراز الهرمونات، فيقل إفراز هرمونات التحفز من الغدة فوق الكلية، ويزيد إفراز هرمون النمو فى سن الطفولة والبلوغ من الغدة النخامية التى تقع أسفل المخ.. كما تقل درجة الحرارة، إلا أن النشاط خلال المخ دخل فى درجات مختلفة من النشاط أثناء النوم. وأخبرنا الحديث النبوى الشريف، أن الروح ما إن تغادر الجسم حتى يبتدئ الجسم فى النوم، ولا يستيقظ إلا إذا ردت الروح إليه فعندما كان يقوم رسول الله ﷺ من نومه يقول: «**الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، الحمد لله الذى رد إلىَّ روحى وعافانى فى جسدى وأذن لى بذكره**».

وللنوم خمس مراحل، يتبع بعضها بعضا، وتنتهى بمرحلة الأحلام (مرحلة حركة العيون السريعة).

المرحلة الأولى من النوم، هى مرحلة انتقالية بين اليقظة والنوم تبتدئ بالسنة ثم بالنعاس؛ السِّنةُ حالة يخالط النوم العين، ويثقل الرأس كما قال الشاعر :

وسنان أقصده النعاس فرنقت   فى عينه سِنَةٌ وليس بنائم

(رنقت عينه) أى خالطت السِنَةُ عينه.. وبعد السِّنَةِ، تبتدئ حالة فتور عام يعترى الجسم، ويظل الإنسان شاعرا بما حوله وهذه الحالة تسمى(النعاس) وهى أولى درجات النوم.

وأخرج الإمامان البخارى ومسلم عن السيدة عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

«**إذا نعس أحدكم وهو يصلى، فليرقد حتى يذهب عنه النوم. فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس، لا يدرى لعله يذهب يستغفر، فيسب نفسه**». أى يدعو على نفسه وهو بين اليقظة والنوم. إذن تنام

العين والحواس، وبعد ذلك يفقد الإنسان إحساسه بالزمن الجغرافى الذى يجرى حوله، ويفقد إحساسه بما حوله.. إلا أن الأنبياء عليهم السلام يختلفون فى ذلك عن باقى الناس، فلا يفقدون إحساسهم بما حولهم، وإن كانوا يفقدون إحساسهم بالزمن.

فقد روى البخارى عن السيدة عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **«إن عينى تنامان، ولاينام قلبى»**. وروى البخارى عن أنس بن مالك فى حديث الإسراء قال: **«كان النبى ﷺ نائمة عيناه، ولا ينام قلبه. وكذلك الأنبياء تنام أعينهم، ولا تنام قلوبهم»**.

أما المرحلة الخامسة من النوم: فيسترخى الجسم تماما، إلا إذا رجع إلى المراحل السابقة، إلى لحظات، ثم يرد إلى المرحلة الخامسة من جديد. وفى المرحلة الخامسة تحدث حالة (حركة العيون السريعة) وفيها تحدث الأحلام، وتستغرق دقائق معدودات.. وقد يشاهد فيها النائم أحلاما لأحداث استغرقت زمنا طويلا.. ومازالت حركة العيون السريعة ـ من المقلة إلى المقلة ـ من الأسرار العلمية التى لم يصل إليها العلماء بعد؛ إلا أنه من الثابت أن الإنسان أثناء مرحلة الأحلام يكون منفصلا عن الزمن الجغرافى الذى يجرى من حوله فى الحياة الدنيا.

وكيف تكون رؤيا المسلم جزءًا من ستة وأربعين جزءًا من النبوة ؟!

وكيف نفهم ذلك والنبوة قد انقطعت منذ التحاق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى؟

وقال بعض المفسرين للحديث الشريف: **«رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»**.

إذا وقعت الرؤيا من النبى ﷺ فهى جزء من النبوة على الحقيقة، وإذا وقعت من غير النبى فهى جزء من أجزاء النبوة على المجاز.

قال القاضى ابن العربى : أراد النبى ﷺ أن يبين أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة؛ لأن فيها اطلاعا على الغيب من وجه ما.

وجاء فى فتح البارى بشرح صحيح البخارى تفسير للحديث الشريف يدل على أنه مرتبط بالزمن ارتباطا وثيقا. قال بعض أهل العلم: إن الله عز وجل أوحى إلى نبيه فى المنام ستة أشهر قبل نزول البعثة، ثم أوحى إليه بعد ذلك فى اليقظة ثلاثة وعشرين عاما.. وهذا هو الزمن الذى استغرقه تبليغ الرسالة، فكان بين أول نزول الوحى على رسول الله ﷺ فى غار حراء وبين التحاقه ﷺ بالرفيق الأعلى ثلاثة وعشرون عاما. وبذلك تكون الرؤيا الصالحة جزءًا من ستة وأربعين جزءًا من النبوة. فالحديث الشريف لا يفسر إلا على أساس زمنى.

تفسير الأحــلام

روى الإمام مسلم عن جابر - رضى الله عنه - أن النبى محمدًا ﷺ قال: **«إذا حلم أحدكم فلا يخبر أحدا بتلعب الشيطان به فى المنام»**.

روى مسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: **«الرؤيا الصالحة من الله تعالى. والرؤيا السوء من الشيطان، فمن رأى منكم رؤيا فكره منها شيئا، فلينفث عن يساره، وليتعوذ بالله من الشيطان فإنها لا تضره. ومن رأى رؤيا حسنة، فليُبْشِرْ ولا يخبر بها إلا من يحب»**.

روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها، فإنما هى من الله تعالى، فليحمد الله تعالى عليها وليتحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره، فإنما هى من الشيطان، فليستعذ من شرها، ولا يذكرها لأحد، فإنها لا تضره».

روى البخارى ومسلم وأصحاب السنن عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال:

«إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب. وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا». أى إذا اقترب الزمان واقتربت الساعة آمن الناس جميعا فلا تكذب أى رؤيا لهم والحديث الشريف يربط الرؤى بالزمان وقرب قيام الساعة.

وقال رسول الله ﷺ: «الرؤيا ثلاثة: الرؤيا الصالحة بشرى من الله (أى الرؤيا الصادقة)، ورؤيا تحزين من الشيطان. ورؤيا مما يحدث المرء نفسه. فإن رأى أحدكم ما يكره، فليقم فليصل، ولا يحدث بها الناس».

روى مسلم عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى قتادة أن رسول الله ﷺ قال: **«الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان. فإذا رأى أحدكم شيئا يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات، وليتعوذ بالله من شرها، فإنها لاتضره»** فقال أبو قتادة: كنت أرى الرؤيا أثقل علىَّ من جبل، فما هو إلا أن سمعت بهذا الحديث، فما أباليها (فما أبالى بها).

وفى رواية أخرى أن أبا سلمة قال: إنى كنت لأرى الرؤيا تمرضنى. فلقيت أبا قتادة فقال: وأنا كنت لأرى الرؤيا فتُمْرِضنى، حتى سمعت حديث رسول الله ﷺ.

— — — — — — — —

تفسير الأحلام من الأمور التى تشغل الناس فى كل عصر من العصور.. وكان الناس يهتمون بهذا الموضوع منذ أقدم العصور.. وكان من المتوقع أن يقل اهتمام الناس بتفسير الأحلام، مع تقدم العلم فى عصرنا الحالى، إلا أن الذى حدث كان عكس المتوقع تمامًا، فقد زاد اهتمام الناس بتفسير الرؤى والأحلام، وظهرت كتب عديدة تحاول تفسير الأحلام وكان من أشهر تلك الكتب، كتاب تفسير الأحلام لسيجموند فرويد - مؤسس علم النفس الحديث.

ولا يؤمن كل الناس بما يرون فى أحلامهم.. وكثير من الناس يعتقدون أن ما يرون فى أحلامهم

هو انعكاس نفسى لما مر بهم أثناء يقظتهم.. وكثير من الأحلام تكون غير واضحة؛ لأن ذاكرة الإنسان للأحلام كثيرة السهو والنسيان.

ويقول علماء النفس: إن الأحلام هى الوسيلة التى تستعيد بها ذاكرة الإنسان بعض المشكلات التى مرت أثناء العمل فى اليقظة.. وربما يجد الإنسان حلا لإحدى مشكلاته أثناء الأحلام، وإذا لم يجد حلا، فإن تلك الأحلام تتكرر يوما بعد يوم، مما يسبب القلق للإنسان.. وكثير من الناس يحلمون، ويقومون من نومهم وهم لا يتذكرون تلك الأحلام.

وكان الاعتقاد فى القرن الماضى وما قبله أن الحلم لا يستغرق إلا ثوانى معدودات، إن ذلك الاعتقاد لم يكن صحيحا، وإنه بدراسة الرسام الكهربائى نشاط الدماغ.. وجدوا أن فترة الأحلام تستمر وقتا أطول كثيرا مما كانوا يعتقدون.

ويقول علماء النفس: إن ما يحدث فى البيئة التى يعيش فيها الإنسان، هى أهم مصادر أحلامه، وإن ما يحدث الإنسان به نفسه من أحاسيس، هى من أهم البواعث النفسية فى تشكيل أحلامه.. فإن الإنسان الذى يقع فى مأزق مثير فى وقت من الأوقات كثيرا ما يتراءى له ذلك المأزق فى أحلامه، مرارا وتكرارا.. وربما لسنوات.. ويقول فرويد إن الأحلام إنما تعبر عن رغبات دفينة.

د. سيجموند فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩): طبيب نمساوى مؤسس مدرسة التحليل النفسى وفسر أعراض الهستيريا بأنها تعبيرات عضوية من صدمات مكبوتة، وصراعات نفسية لاشعورية ترجع إلى الطفولة.. وأكد أن الطاقة المسببة لأعراض الهستيريا التحولية، طاقة جنسية وأثارت نظريات فرويد فى تطور الغريزة الجنسية منذ الطفولة، وفى عقدة أوديب، سخط أطباء الأمراض النفسية.. ومن أهم كتبه «تفسير الأحلام»، «ثلاث رسائل فى نظرية الجنس»، «مدخل فى التحليل النفسى». «التحليل النفسى»، «القلق». وكان لنظرية فرويد أعمق الآثار فى الدراسات النفسية والاجتماعية، وفى التربية والفن والأدب فى أعماق النفس البشرية.. ويبدو ذلك واضحا فى فترة الطفولة.. بل إن أحداثا وقعت للإنسان فى طفولته تظل ترد له فى أحلامه إلى فترة الشباب وما بعدها. ولاشك أن الرؤى والأحلام من الأسرار العلمية التى لم يكتشف العلم من أسبابها إلا القليل.

ومما ذكره فرويد فى كتابه (تفسير الأحلام) أن الدوافع الجنسية الغريزية هى من الدوافع الرئيسية فى الأحلام، ولم يوافقه كثير من علماء النفس الذين يعتقدون أن الأثر الكبير فى تشكيل الأحلام إنما يرجع إلى الخبرات الشعورية، والأحداث اليومية التى يتعرض لها الإنسان أثناء اليقظة.

ويوجد اتجاه شائع بين مفسرى الأحلام أن الحلم عبارة عن رموز، كل رمز فيها يعنى شيئا محددا.. كأن يرى النائم أنه رسب فى الامتحان مثلا أو أنه ربح مبلغا كبيرا من المال أو أن منزله يحترق، ويعطى مفسرو الأحلام - فى كتبهم العديدة - دلالات ثابتة لكل من تلك الرموز فى أحلامهم - ومن رأى جمهور العلماء أن ذلك الاتجاه فى تفسير الأحلام ليس صحيحا، لأنه تفسير ثابت لا يتغير لكل الناس فى أحلامهم.. ومشاعر الناس ومشكلاتهم فى تغير وفى اختلاف، الأمر الذى يجعل من المستحيل وضع مدلول واحد وثابت للرموز التى تظهر فى الأحلام.. فالرمز الواحد الذى يظهر فى الأحلام يختلف تفسير معناه باختلاف ظروف الناس واهتماماتهم ومشاعرهم وطموحاتهم.

حقيقة الأحلام وبواعثها:

اتفق العلماء على أن سبب الأحلام، وتشكيلها يرجع إلى البواعث النفسية المختلفة التى يتعرض لها الإنسان فى حياته، بالإضافة إلى المؤثرات التى تنشأ من البيئة والتجارب التى يتعرض لها الإنسان فى حياته اليومية وهى فى مجملها كالآتى :

١ - خبرات الإنسان الشعورية :

هذه تشكل جزءا كبيرا من الأحلام، لذلك يحلم الإنسان أثناء نومه، بما يشغل فكره فى يقظته، وقد يحلم بصور رمزية أو بصور حقيقية.

٢ - رغبات الإنسان :

فإذا تمنى إنسان الحصول على شىء فى حياته ولم تتحقق أمانيه، فإن أمانيه قد تتحقق له فى نومه.

٣ - مخاوف الإنسان :

إذا خاف إنسان على أبيه أو أمه أو ابنه.. فإن مخاوفه هذه تتشكل صورا فى أحلامه تفزعه أو تحزنه على من خاف عليهم وتعلق بهم. كمثل إنسان يتعلق بابنه تعلقا شديدا، ويخشى عليه أى طارئ. يحلم بأن ابنه هذا قد حدث له حادث أو مرض مرضا شديدا.. فالحلم هو انعكاس لمخاوفه على ابنه.

٤ - حل لمشكلات الإنسان :

إذا تعرض إنسان لمشكلات فى حياته، فإن ذلك يتسرب إلى أحلامه، فتعبر الأحلام عن رغباته فى حل تلك المشكلات .. فالأحلام إما أن تسعد الإنسان، وإما أن تحزنه، وإما أن تكون صورا لا معنى لها فذلك الحديث النبوى الشريف الذى رواه الشيخان عن ابن سيرين عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**الرؤيا ثلاثة : الرؤيا الصالحة (الصادقة)، ورؤيا تحزين من الشيطان. ورؤيا مما يحدث به الإنسان نفسه**»... إلخ الحديث الشريف.

والنفس تحدث صاحبها فى الأحلام بخبراته الشعورية، ورغباته فى حياته الدنيا، ومخاوفه المختلفة، والبحث عن حل لمشكلاته.

وهكذا نجد أن الحديث النبوى الشريف جامع لكل المعانى للرؤى والأحلام، وموضح لكل أبعادها وأسبابها ودواعيها.

الـرؤى فـى قصص الأنبيـاء

جاءت الرؤى والأحلام فى قصص الأنبياء. وأشهرها ثلاث:

١ ـ رؤيا النبى يوسف وهو طفل صغير.

٢ ـ رؤيا ملك مصر وتفسير النبى يوسف لتلك الرؤيا.

٣ ـ رؤيا النبى إبراهيم بأنه يذبح ابنه.

١ ـ رؤيا يوسف:

قال تعالى : ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (يوسف ٤ ، ٥).

قال ابن عباس وقتادة : الكواكب الأحد عشر، إخوته، والشمس أمه، والقمر أبوه. وكان يوسف ابن اثنتى عشرة سنة. فإذا قيل إن يوسف كان صغيرا وقت رؤياه، والصغير لا حكم لفعله، فكيف تكون له رؤيا لها حكم حتى يقول له أبوه: ﴿يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ الجواب: أن رؤيا الصغير كما يكون الإدراك الحقيقى منه فى اليقظة.. وإذا كان الطفل قد أعده الله تعالى ليكون نبيا، فإنه يكون مُلْهَمًا وليس مثل غيره من الأطفال، فإذا أخبر عما رأى صدق، فكذلك إذا أخبر عما يرى فى المنام، صدق. وقد أخبر الله تعالى عن رؤياه، وأنها حدثت وصدقت كما رأى. كما فى قول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ (يوسف ٩٩ ـ ١٠٠)

وسجد له إخوته سجود تكريم لاسجود عبادة على عادة الناس فى تلك العصور والسجود تعبير ينم عن تواضعهم له، ودخولهم تحت أمره. فلما ذكر يوسف رؤياه لأبيه (وكان تأويلها أن إخوته وأبويه يخضعون له). فقال : لا تخبر إخوتك برؤياك فإنهم يعرفون تأويلها فيكيدون لك كيدا.

٢ ـ رؤيا ملك مصر التى فسرها النبى يوسف :

رأى ملك مصر ـ وكان من الهكسوس يحكم مصر السفلى ـ رؤيا أزعجته.. رأى أن سبع بقرات سمان تأكلها سبع بقرات عجاف، ورأى سبع سنبلات خضر، وسبع سنبلات يابسة.. فقام من نومه منزعجًا، وطلب من يفسر له تلك الرؤيا فجمع الكهنة وذكرها لهم وسألهم.. كما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾(يوسف ٤٣)، فقال الكهنة : هذه الرؤيا مختلطة، فلا نقدر على تأويلها وتعبيرها.. والرؤيا إذا كانت مخلوطة من أشياء كثيرة غير متناسبة، كانت شبيها بالضغث فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ﴾.

(يوسف ٤٣ ـ ٤٤)

وفسر النبى يوسف رؤيا الملك.. قال الله تعالى يحكى عنه: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (يوسف ٤٧ ـ ٤٩).

فأعجب الملك بالنبى يوسف إعجابا شديدًا. قال الله تعالى يحكى عنه: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

(يوسف ٥٤ ـ ٥٥)

كانت رؤيا الملك رؤيا صادقة.. وكانت سببا فى خروج النبى يوسف من المسجد، وخلاصه من محنته.

وقال الإمام المناوى فى «فتح القدير» : («رؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة». **ينبغى أن يفسر على المجاز لاستحالة تفسيره على ظاهر لفظه لأن النبوة انقطعت بوفاة النبى محمد ﷺ. وجزء النبوة لا يكون نبوة، كما أن جزء الصلاة لا يكون صلاة إلا إذا وقعت للأنبياء).** انتهى كلام المناوى إلا أننا نرى أنه يمكن أن يفسر الحديث الشريف على ظاهر لفظه، وعلى الحقيقة وليس على المجاز، فإن الرؤيا الصادقة هى من أنباء الغيب، توحى للإنسان فى منامه، فهى بهذا المعنى نبوة.

وقد يقال: إذا كانت الرؤيا الصادقة هى من أنباء الغيب توحى للإنسان أثناء نومه، فهى بهذا المعنى نبوة.. والمسلم أهل لها، فكيف يكون الكافر أهلا لها؟.. ولقد حدثت لبعض الكفار والمشركين رؤى صادقة. كرؤيا ملك مصر فى عهد النبى يوسف. ورؤيا الفتيين الوثنيين فى السجن، إذ رأى أحدهما أنه يسقى الملك خمرا، ورأى الآخر أنه يحمل خبزا فوق رأسه تأكل الطير منه.. وكانت رؤيا صادقة فسرها النبى يوسف أن أحدهما يسقى الملك خمرا، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه.. ورؤيا كسرى فى ظهور النبى محمد ﷺ.. وكانت رؤيا صادقة.. فكيف تكون الرؤيا الصادقة لمشرك؟

الجواب على ذلك: رؤيا الكافر أو المشرك وإن صدقت أحيانا، فإنها لا تكون وحيًا وبالتالى لا تكون جزءًا من النبوة، إلا إذا تعلقت بنبى أو مؤمن، كرؤيا الفتيين فى السجن ورؤيا الملك، وكانتا متعلقتين بنبى، هو النبى يوسف عليه السلام، ورؤيا كسرى التى كانت متعلقة بالنبى محمد ﷺ.

٣ - رؤيا النبى إبراهيم عليه السلام التى رأى فيها أنه يذبح ابنه إسماعيل:

إن رؤى الأنبياء وحى من الله تعالى لهم. كما قال ابن عباس رضى الله عنهما:

(رؤى الأنبياء وحى).. وحدث أن رأى النبى إبراهيم عليه السلام فى أنه يذبح ابنه.. وذكر القرآن ذلك فى قول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاَءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾.(الصافات ١٠٢ ـ ١٠٧)

﴿فلما بلغ معه السعى﴾: أى فلما كبر ابنه وشب وسعى مع أبيه فى أمور الدنيا، معينا له فى أعماله.

﴿قال يأبت افعل ما تؤمر﴾ لأن إسماعيل أيقن أن رؤيا أبيه بذبحه، أمر من الله تعالى له.

- رؤى النبى محمد ﷺ :

كانت رؤى النبى محمد ﷺ ليست كرؤى غيره. إنه كان يرى الرؤيا كفلق الصبح. فقد روى البخارى عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : «كان رسول الله ﷺ لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح».

أى كأنها حقيقة فى اليقظة.

- رؤية المسلم لرسول الله ﷺ فى المنام :

جاء فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «من رآنى فى المنام فقد رآنى، فإن الشيطان لا يتمثل بى» فرؤيا المسلم للنبى محمد ﷺ فى المنام، رؤيا صادقة، وجزء من النبوة؛ لأنها متعلقة برسول الله ﷺ. وإذا كانت رؤية المسلم للنبى ﷺ فى المنام رؤية حقيقية، فإن المسلم فى هذه الحالة يكون كالصحابى؛لأن الصحابى هو ذلك المسلم الذى رأى رسول الله ﷺ أو كلمه أو جالسه. فالمسلم إذ يرى رسول الله ﷺ فى رؤيا يكون كالصحابى، وارتفع إلى درجة تقترب من درجة الصحابة. والصحابة درجات وكذلك المسلمون الذين يرون رسول الله ﷺ فى منامهم درجات. فأعلاهم درجة من كلمهم رسول الله ﷺ أو كلموه. وأقل منهم درجة من رآه فقط ولم يكلمه.. وبين هاتين الدرجتين درجات كثيرة حسب درجة القرب من رسول الله ﷺ فى الرؤيا فى المنام.

وهكذا وجدنا أن الرؤى والأحلام أحداث تقع فى المنام، وهى متعلقة بزمن معين ومكان معين أو بحال معين خارج المكان والزمان، فالأحلام والرؤى تجرى مع الزمان، وتتعلق بالمكان، وهى فى نفس الوقت خارج حدود الزمان والمكان.



الشمـــــــس

١ - الشمس يأكل بعضها بعضًا.

٢- أين تذهب الشمس؟

٣- طلوع الشمس من مغربها.

٤- كسوف الشمس وخسوف القمر.

١ ـ الشمس يأكل بعضها بعضا

أخرج الأئمة البخارى ومالك وأحمد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، أن رسول الله ﷺ قال: «**اشتكت النار إلى ربها، فقالت : يا رب أكل بعضى بعضا**».

وأخرج الترمذى عن الحكم بن نافع، عن شعيب، عن الزهرى، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**شكت النار إلى ربها. فقالت : يا رب أكل بعضى بعضا**».

— — — — — — — —

كل نار فى الدنيا تشترك مع أى نار أخرى فى كثير من الصفات، مثل الحاجة إلى الوقود والحاجة إلى غاز الأوكسيجين الذى يساعد على الاشتعال.. وتختلف أنواع الوقود، فقد يكون خشبا وقد يكون فحما وقد يكون نفطا وقد يكون غازا.. إلا أن الصفات العامة فى كل نار صفات مشتركة.. أما النار الهائلة العظيمة كنار الشمس التى تصل إلى ملايين الدرجات المئوية، فلها صفات أخرى، فليس الوقود حطبًا أو فحمًا أو غازًا مشتعلاً.. وإنما هو وقود ذرى. وتجمعها مع صفات النار فى الآخرة ـ والتى ذكر القرآن والسنة الكثير من صفاتها ـ الكثير من الصفات.. فهى نار هائلة جدا.. تختلف درجات حرارتها كثيرا، ولكن صفاتها واحدة.. لذلك فالذى يعرف كيف تشتعل الشمس، يدرك ملامح العلم باشتعال النار فى الآخرة. وكلاهما من خلق الله تعالى.

ولو كانت نار الشمس من وقود عضوى أو كيميائى، ما وصلت درجتها إلى ملايين الدرجات المئوية، ولما استمرت مشتعلة آلاف الملايين من السنين.. فوقودها ذرى، وكأنها مجموعة لا حصر لها من بلايين القنابل الهيدروجينية، كلما انفجرت، وتحولت إلى طاقة هائلة من الضوء والحرارة، ظهرت مجموعة أخرى بوقود جديد.

إن درجة حرارة مركز الشمس نحو ٢٥ مليون درجة مئوية، ويصل الضغط هناك إلى ٣٤٠ ألف ضغط جوى، وتنطلق هذه الطاقة على حساب النقص فى الكتلة.. وذلك طبقا لقانون أنشتاين: الطاقة = الكتلة المختفية X مربع سرعة الضوء.

وأكد علماء الفيزياء الكونية، أن الشمس تفقد من كتلتها فى الاندماج النووى، نحو ٤,٦ مليون طن كل ثانية، ومعنى هذا أنها تفقد فى اليوم الواحد ٤,٦ X ٦٠ X ٦٠ X ٢٤ = ٣٩٧٤٤٠ مليون طن.

ويقولون إن الشمس لم تنقص فى الوزن منذ خلقها إلى اليوم إلا نحو ٢٪ من وزنها.

ونار الشمس هى نتيجة اندماج نووى بين أربع ذرات هيدروجين، لتكون ذرة هيليوم.. وذرة الهيليوم أخف من أربع ذرات من الهيدروجين فالنار الهائلة يأكل بعضها بعضًا وتقل فى الوزن تبعًا لذلك.

وهذا ما أخبر عنه الحديث النبوى الشريف.. مما يعد إعجازا علميا كبيرا.

٢ ـ أين تذهب الشمس؟

أخرج الترمذى عن أبى معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمى عن أبيه، عن أبى ذر قال : دخلت المسجد حين غابت الشمس، والنبى ﷺ جالس فقال:

«يا أبا ذر أتدرى أين تذهب الشمس؟» قال : قلت الله ورسوله أعلم. قال : «فإنها تذهب تستأذن فى السجود، فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها اطلعى من حيث جئت فتطلع من مغربها». قال ثم قرأ : ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾.

أخرج البخارى فى رواية أخرى بنفس الإسناد «إنها تذهب حتى تسجد تحت العرش» وسأل أبو ذر، رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ قال: «مستقرها تحت العرش».

أخرج مسلم فى صحيحه عن ابن أيوب عن ابن عُلَيَّة، عن يونس عن إبراهيم بن يزيد التميمى عن أبيه عن أبى ذر أن النبى ﷺ قال يوما: «أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**إن هذه تجرى حتى تنتهى إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعى. ارجعى من حيث جئت. فترجع. فتصبح طالعة من مطلعها. ثم تجرى حتى تنتهى إلى مستقرها تحت العرش. فتخر ساجدة. ولاتزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعى. ارجعى من حيث جئت. فترجع. فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهى إلى مستقرها ذاك تحت العرش.**

فيقال لها ارتفعى اصبحى طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها»، فقال رسول الله ﷺ: **«أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا».**

والحديث الشريف تفسير لقول الله عز وجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ (الأنعام ١٥٨).

وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ، وابن مردويه والبيهقى عن أبى ذر أنه سأل النبى ﷺ عن الكرسى فقال: **«يا أبا ذر ما السماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسى إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأن فضل العرش على الكرسى، كفضل الفلاة على تلك الحلقة».**

وجاء فى التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطى ما أخرجه البيهقى (فى الأسماء والصفات، عن طريق السدى، عن أبى مالك، وعن أبى صالح عن ابن عباس، عن ابن مسعود : «**إن السماوات والأرض فى جوف الكرسى، والكرسى بين يدى العرش**».وفى رواية أبى مالك قال :

(السماوات السبع والأرضون السبع تحت الكرسى.. والكرسى تحت العرش)

أخرج الإمام أحمد عن الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن للصلاة أولا وآخرا، وإن أول وقت الظهر، حين تزول الشمس، وإن آخر وقتها حين يدخل العصر، وإن أول وقت**

العصر حين يدخل وقتها. وإن آخر وقتها حين تصفر الشمس، وإن أول وقت المغرب حين تغرب الشمس. وإن آخر وقتها حين يغيب الأفق. وإن وقت العشاء الآخرة حين يغيب الأفق. وإن آخر وقتها، حين ينتصف الليل. وإن أول وقت الفجر حين يطلع الفجر. وإن آخر وقتها حين تطلع الشمس».

— — — — — — — —

كان وجود الشمس أكثر ما شد انتباه الإنسان من قديم.. كان يراها تشرق صباحا فتملأ الأرض ضوءًا ودفئًا وتبعث فيها الكثير من صور الحياة.. وكان يراها تغرب فى المساء فيعم الظلام.. ويخيم على الأرض السكون.. وتتغير صور الحياة فيها تغيرًا كبيرًا.. هنالك وقر فى ذهن الإنسان القديم أن الشمس سر الحياة على هذه الأرض.. لذلك اتخذتها أمم كثيرة معبودًا لها.. وإلهًا مقدسًا.

وقد كان المصريون القدماء يقدسون الشمس.. ومن العجيب فى معتقداتهم الدينية أنهم كانوا وثنيين فى الوقت الذى كانوا فيه يؤمنون بالبعث بعد الموت والحساب فى الآخرة.. وأغلب الظن أن أمة سبقتهم فى مصر كانت مؤمنة بالله تعالى.. فورث الفراعنة عنهم المعتقدات الدينية الصحيحة إلا أنهم انحرفوا عنها إلى الوثنية فاتخذوا من الشمس إلها معبودا فى الوقت الذى ظل إيمانهم ثابتا فى حقيقة البعث بعد الموت والحساب فى الآخرة.

واعتبروا القمر نائبا عن الشمس.. يظهر فى الوقت الذى تغيب فيه.. فالشمس فى اعتقادهم كانت تغيب لتضىء العالم السفلى فيأتى القمر.. ويضىء العالم العلوى بدلا عنها.

أما البابليون القدماء فقد عبدوا الشمس والقمر أيضا.. وبينما كانت الشمس المعبود الأول عند المصريين القدماء وعند سبأ ، كان القمر المعبود الأول عند بابل.. وسموه الإله «سين».

من هنا كان البابليون ينزعجون من خسوف القمر وكانوا يعتقدون أن سبب خسوف القمر هجوم الشياطين عليه.

ولقد عبد قوم النبى إبراهيم الشمس والقمر.. كان منهم من يعبد الشمس.. وكان منهم من يعبد القمر.. وكان منهم من يعبد الاثنين معا.

وجادلهم سيدنا إبراهيم وحاول أن يقنعهم بالحجة العقلية، نقرأ عن ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ (٧٤) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام ٧٤ ـ ٧٥) .

.. وبعد ذلك أراد النبى إبراهيم عليه السلام أن يدحض عقائدهم الوثنية بالاستدلال العقلى.. فأصغى إلى حجتهم دون تعصب.. ثم فاجأهم بالدليل العقلى على خطئهم.. وفى ذلك يقول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ (الأنعام ٧٦) .

فدليل خطئهم اعتقادهم فى تأليه الكوكب أو النجم أنه يغيب.. والإله لا يغيب.. والأمر نفسه بالنسبة لعبادة القمر.. كما قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (الأنعام ٧٧).

فأراد أن ينبههم إلى أن الذى يحضر ويغيب.. ويبزغ ويأفل لايكون ربًا. ولا يكون معبودًا.

وبعد ذلك أراد أن يناقشهم فى عبادتهم للشمس ويثبت خطأهم بالاستدلال العقلى أيضا، وفى ذلك يقول الله عز وجل يحكى عن النبى إبراهيم: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام ٧٨).

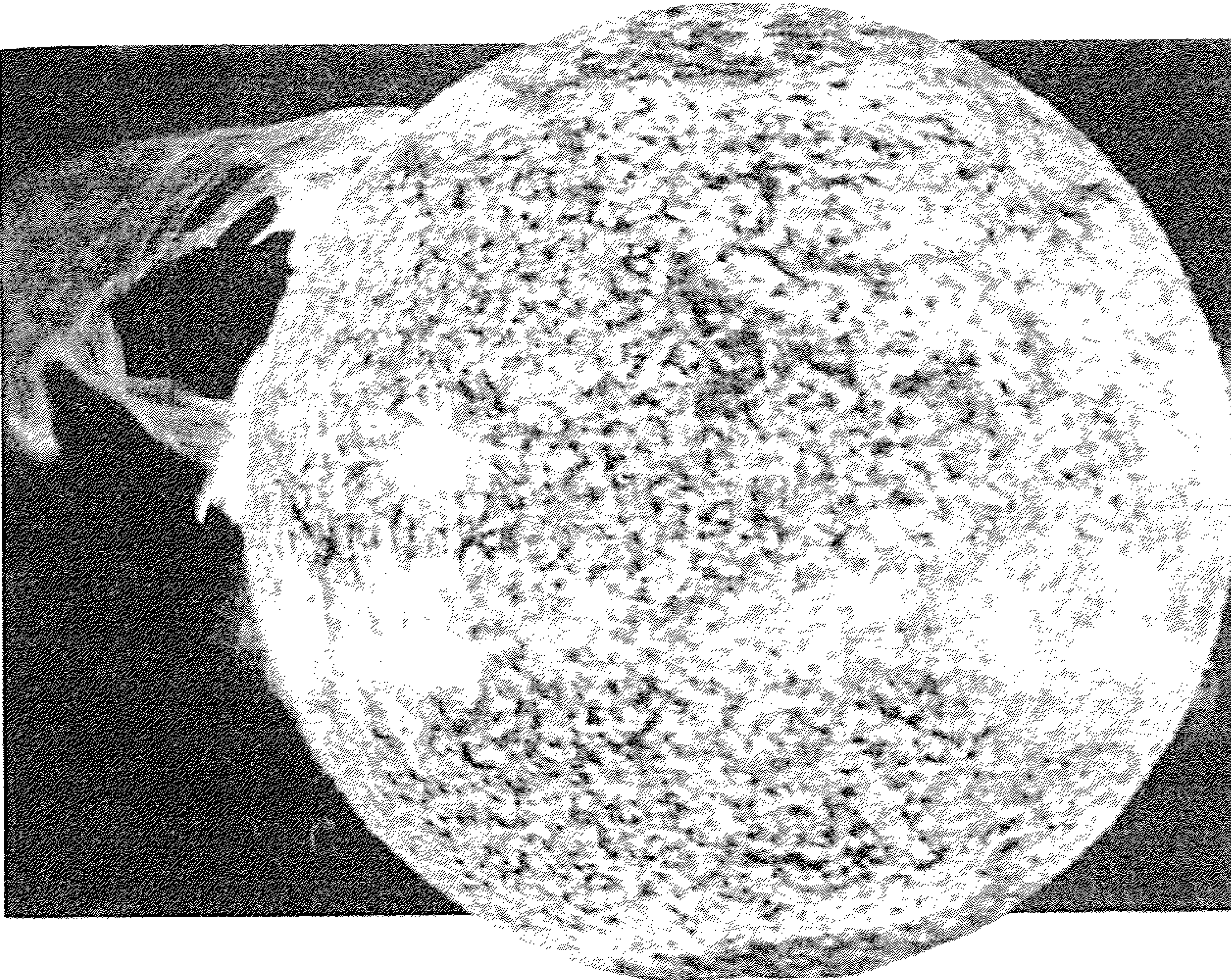
— — — — — — — —

أراد النبى إبراهيم عليه السلام أن يعطيهم الدليل على خطأ عقيدتهم فى عبادة الشمس عن طريق الاستدلال العقلى.. فأصغى إلى حجة خصمه بدون تعصب ثم فاجأهم بالدليل، كما قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام ٧٨).

ولم يكن الناس قديما على علم صحيح بخلق الشمس.. ولكن فى عصور العلم الحديثة اكتشف الإنسان الكثير من حقائق العلم والكثير من سنن الله الكونية.

إن الحركات الظاهرية للبقع الشمسية تدل على حركات الشمس حول نفسها.. ولما كانت الشمس جسما غازيا وليست صلبة كالأرض.. فهى أقل صلابة منها ولكنها أكثر كثافة من الماء؛ لأن الغازات هناك مضغوطة ضغطا هائلا لدرجة أن كثافة جسم الشمس أكثر من كثافة الماء؛ ولأن جسم الشمس غاز مضغوط.. فإن أجزاءها المختلفة تلف بسرعات مختلفة. فإن منطقة خط استواء الشمس تدور دورة كاملة فى ٢٤ يومًا تقريبا وعند القطبين تستغرق الدورة الواحدة ٣٤ يوما.. وفيما بين خط استواء الشمس وقطبها تدور أجزاء الشمس بسرعات مختلفة تقل تدريجيا كلما اتجهنا إلى قطبى الشمس.

ومن البقع الشمسية وتحركها تأكد للعلماء أن الشمس تدور حول نفسها.. كما تدور الأرض والكواكب الأخرى وهذا دليل على أن كلا من الشمس والأرض والقمر يدور حول نفسه ويجرى فى فلك خاص به كما ذكر القرآن الكريم وكما ذكر الحديث النبوى الشريف.



إن ما يظهر على سطح الشمس من انفجارات هائلة ومستمرة وألسنة عالية من النيران يدل على ما يحدث داخل الشمس من انفجارات ذرية رهيبة جدا بالغة العنف.. وفى الشمس اضطرابات أخرى.. من مظاهرها البقع الشمسية.. وهى مناطق على سطح الشمس من الغازات الأبرد قليلا ولا تزيد حرارتها على ٤٠٠٠درجة مئوية مطلقة وهى أشبه بالدوامات.. تظهر فى مجموعات.. وقد تكون كبيرة يصل قطرها إلى ١٠٠,٠٠٠كم.. ولو وقعت الكرة الأرضية فيها لوقعت كما يقع حجر صغير فى بئر متسعة وتحدث معظم أنشطة الشمس فى دورة تستمر أحد عشر عاما.

وقد تم اكتشاف تلك الدورات من النشاط الشمسى عن طريق رصد البقع الشمسية.. وفى الفترات التى تكون فيها الشمس فى قمة نشاطها تظهر بقع شمسية كبيرة.. وفى الفترات التى يقل فيها نشاط الشمس تظهر الشمس أقل لمعانا وكأنما تغطيها طبقة داكنة.

ولا يعرف العلماء حتى الآن سر دورات النشاط الشمسى التى يعقب بعضها بعضًا.

ولدورات النشاط الشمسى أهمية بالنسبة للأرض فإن البقع الشمسية الكبيرة تطلق جسيمات نشطة فى ثورة هائلة تسمى «الوهج».

وقد يغطى «الوهج الواحد» مساحة واسعة تصل إلى ١٠٠٠ ميل مربع.. وتصل الإشعاعات التى يطلقها وهج الشمس إلى الغلاف الجوى للأرض ويؤثر على الجفاف أو الفيضانات وبالتالى يؤثر على الزراعة والمحاصيل.. وقد يعطل الاتصالات اللاسلكية.. أما فوق الغلاف الجوى للأرض فقد يقتل من يتعرض له من رواد الفضاء.

إن لوهج الشمس أهمية خاصة لسكان هذه الأرض ونجد ذلك الوصف للشمس فى قول الله عز وجل :

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ (سورة النبأ ١٢، ١٣).

كان الاعتقاد حتى منتصف القرن الحالى أن الشمس ثابتة لا تتحرك فى السماء.. وقال أعداء الإسلام إن الآية من وضع إنسان كان يرى الشمس تشرق من الشرق وتغرب فى المغرب فيحسبها تجرى فى السماء.. وهى فى الحقيقة ثابتة وإنما الأرض هى التى تدور حول نفسها أمام الشمس.. إلى أن اكتشف العلماء حديثا جدا أن الشمس تجرى فى الفضاء جريا حقيقيا بسرعة هائلة جدا تبلغ ١٠٧٤ ميلاً فى كل دقيقة منذ خلقها وإلى اليوم وإلى ما شاء الله، إلى مستقر لها تنتهى عنده.

كان الاعتقاد السائد فى عصر نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ ، أن كوكب الأرض يقع فى مركز الكون. وأن الشمس والقمر والنجوم تدور كلها حول الأرض بحركات مختلفة من المشرق إلى المغرب، فى أفلاك بللورية شفافة. وكان هذا الاعتقاد، هو النظرية الإغريقية التى أثبت العالم الفلكى كوبرنيكوس خطأها فى القرن السادس عشر.

ورغم أن القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف قد أشارا إلى حركة الشمس، وحركة دوران الأرض حول نفسها، إلا أن المفسرين القدامى اتبعوا آراء الإغريق القديمة القائمة على اعتقاد مركزية الأرض للكون. ذلك الاعتقاد الذى ظل منذ عصر بطليموس فى القرن الثانى الميلادى حتى عصر كوبرنيكوس فى القرن السادس عشر (أى إن اعتقاد مركزية الأرض للكون ظل اعتقادا معترفا بصحته ثمانية عشر قرنا من الزمان). وأثبت كوبرنيكوس العالم البولندى أن الأرض ليست مركز الكون. وأن الشمس والنجوم لا تدور حولها.. واعتقد أن الشمس ثابتة وأنها مركز الكون. وأن الكواكب والنجوم تدور حولها.

لذلك اعترض أعداء الإسلام على ما جاء بالقرآن والحديث النبوى عن حركة جريان الشمس. وقالوا إن الآية القرآنية، والحديث النبوى، من تأليف محمد (يقصدون سيدنا رسول الله ﷺ) الذى كان يقف على سطح الأرض ويرى الحركة الظاهرية للشمس من الشرق إلى الغرب كل يوم، فاعتقد أن الشمس تجرى حول الأرض، وما تجرى الشمس، وإنما هى ثابتة.. والأرض تدور حول محورها أمام الشمس.. وجاء القرن العشرون الذى أثبت العلماء فيه أن الشمس ليست مركز الكون كما كان الاعتقاد منذ القرن السادس

عشر، وأن الشمس ليست ثابتة كما كانوا يعتقدون، وإنما هى تجرى فى الفضاء الكونى بسرعة ١٠٧٤ ميلاً فى كل دقيقة. وتتم دورة كاملة حول المجرة فى زمن مقداره ٢٥٠ مليون سنة (أى إن الشمس طافت حول المجرة أكثر من عشر مرات منذ خلقها حتى الآن).

وهكذا كان التعبير اللغوى فى الوحى الإلهى (فى القرآن والحديث النبوى) فى قمة الإعجاز.. فلم يصدم اعتقاد الناس قديما أن الأرض مركز الكون، وأن الشمس تدور حولها فآمنوا بالآية والحديث النبوى ولم ينكروا منهما شيئا. حتى إذا جاءت عصور العلم اكتشف العلماء أن الأرض تجرى على الحقيقة. هنالك آمن الناس والعلماء بالآية والحديث النبوى ولم ينكروا منهما شيئا.. وهذا الأسلوب البلاغى المعجز فى وصف الإشارات العلمية فى القرآن والحديث النبوى أسلوب عام فى كل منهما.. وهو من عجائب القرآن العظيم والحديث النبوى الشريف.

إذن فالشمس لها جرى حقيقى فى الفضاء الكونى فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.. والشمس والقوانين الكونية التى تسيرها من تقدير العزيز العليم وليست شمسنا فقط هى التى تجرى فى الفضاء.. بل إن كل النجوم تجرى فى الفضاء كل فى فلك خاص به حول مركز المجرة.

وما شكل فلك الشمس الذى تجرى فيه؟

يقول علماء الفلك: إن الشمس تجرى فى الفضاء فى فلك حلزونى فهى تندفع إلى الأمام فى مسار لولبى ترتفع فيه وتهبط ثم ترجع.. وتهبط ثم تطلع كل ذلك وهى تتقدم إلى الأمام.. إنها حركة عجيبة تحكمها قوى الجاذبية التى تسيطر على الشمس والتى هى من تقدير العزيز العليم ومع أن مسار الشمس اللولبى هذا اكتشف حديثا جدا إلا أنه ذكر فى القرآن الكريم إجمالا وذكر فى الحديث النبوى تفصيلا.. فالقرآن الكريم يقول: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

وروى مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون أين تذهب الشمس؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **إن هذه تجرى حتى تنتهى إلى مستقرها تحت العرش. فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى، ارجعى من حيث جئت فترجع طالعة من مطلعها» وقال: «ثم تجرى لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهى إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها ارتفعى اصبحى طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها» ثم قال ﷺ: «أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا».**

لم يدرك أحد من العلماء المغزى العلمى الكبير فى هذا الحديث النبوى الشريف. إلا أننا نجد على ضوء التقدم العلمى فى عصر العلم الحالى كثيرا من حقائق العلم فى الحديث النبوى.

أولا: نلاحظ أن أفعال الحركة فى الحديث الشريف هى : تجرى، ترتفع، ترجع ثم ترتفع ثم تهبط ثم تجرى.. ولا تكون هذه الحركات للشمس إلا إذا كانت مندفعة فى الفضاء الكونى فى فلك حلزونى وفى مسار لولبى.. وهذا ما اكتشفه العلم حديثا جدا.

ولماذا قال ﷺ: **«ثم تجرى لا يستنكر الناس منها شيئا»؟** : لأن الناس يعيشون على كوكب الأرض وكوكب الأرض مرتبط بالشمس يدور حولها.. لذلك تذهب الأرض مع الشمس أينما تذهب الشمس..

وتصعد معها أينما صعدت.. وتهبط معها أينما هبطت لذلك لا يشعر الناس بارتفاع الشمس وهبوطها.. ولا يستنكرون وهم على الأرض من حركة الشمس شيئا، فذلك قول رسول الله ﷺ عن الشمس: «ثم تجرى لا يستنكر الناس منها شيئا».

وما معنى سجود الشمس تحت العرش؟

نفهم ذلك إذًا مما قاله علماء الرياضيات الكونية فى هذا القرن ومن أشهرهم ألبرت أنشتاين وأدوين هابل: إن السماوات وما فيها كون مكور على نفسه.. كروى الشكل.. والقرآن العظيم يخبرنا أن السماوات والأرض فى جوف ملكوت الكرسى، كما قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾.. (البقرة ٢٥٥)، والحديث النبوى يخبرنا أن ملكوت الكرسى فى جوف العرش، كما قال ﷺ: «الكرسى فى جوف العرش».

وروى البيهقى وابن كثير عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذى نفسى بيده ما السماوات السبع والأرضون السبع فى الكرسى إلا كحلقة ملقاة فى أرض فلاة وإن فضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة»، إذن فالأرض والشمس داخل ملكوت السماوات السبع وتحت السماء السابعة.. وملكوت السماوات السبع فى جوف الكرسى وتحته أيضا والكرسى فى جوف العرش وتحته لأن أى شىء داخل كرة هو تحت محيطها وسطحها أيضا وكل ما فى الوجود يسجد لله عز وجل.. هذه حقيقة والشمس أينما ذهبت إنما تسجد تحت العرش.. ونحن جميعًا عندما نسجد لله تعالى فى المسجد إنما نسجد لله عز وجل تحت العرش وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾(الحج ١٨).

ولماذا جاء ذكر المخلوقات بهذا الترتيب؟ السماوات ثم الأرض ثم الشمس ثم القمر ثم النجوم ثم الجبال ثم الشجر ثم الدواب ثم الناس.. جاء ذكرهم حسب ترتيب خلقهم.. فما أن يخلق الله تعالى خلقا إلا ويبادر المخلوق بالسجود لخالقه تعالى على الفور.

وما معنى قوله ﷺ: «ثم يقال لها ارتفعى أصبحى طالعة من مطلعك فتصبح طالعة من مغربها أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا» ولقد اكتشف العلماء أن الكون الآن يتسع والمجرات تتباعد.. وسيأتى يوم يتوقف هذا التوسع.. ويبدأ الكون فى الانكماش.. حينئذ ستتقارب المجرات والنجوم والكواكب وتنعكس كل حركاتها.. فتطلع الشمس من مغربها وتغرب فى مشرقها.. يحدث ذلك قبيل انفجار الكون وقيام الساعة.. وهو يوم لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرًا ـ كما قال رسول الله ﷺ.

٣ ـ طلوع الشمس من مغربها

أخرج مسلم فى صحيحه عن حذيفة قال : اطلع النبى ﷺ ونحن نتذاكر. فقال: «**ما تذاكرون؟**» قال: قلنا: نذكر الساعة. فقال النبى ﷺ: «**فإنها لا تقوم حتى يكون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها**».

وأخرج مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها**».

ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ

اكتشف علماء الفيزياء الكونية فى النصف الأول من القرن العشرين ـ وكان منهم إدوين هابل وألبرت أنشتاين ـ أن المجرات تبتعد عن بعضها البعض.. وهذا يعنى أن السماء تتسع باستمرار، ففى عام ١٩٢٩ لاحظ العالم إدوين هابل، وكان مديرًا لمرصد ويلسون بكاليفورنيا، لاحظ أمرا عجيبا، وهو أن خطوط ألوان الطيف للمجرات البعيدة تنزاح نحو اللون الأحمر من الطيف بشكل منتظم ومستمر.. وهذا يعنى أن جميع أطوال الموجات القادمة من المجرات قد ازدادت، مما يدل على أن تلك المجرات تتباعد عنا طبقا لقانون دوبلر. كما اكتشف (هابل) أن المجرات كلما ابتعدت عنا ازدادت إزاحتها الحمراء، أى ازدادت سرعة تباعدها عنا. واكتشف أيضا أن سرعة تباعدها تزداد بمقدار ٢٠ ميلاً فى كل ثانية لكل مسافة قدرها مليون سنة ضوئية. أى إن المجرة التى تبعد عنا مليونى سنة ضوئية تتباعد عنا بسرعة قدرها ٤٠ ميلاً فى كل ثانية.. وأطلق على هذا «قانون هابل» الذى يقول: إن السماء تتسع باستمرار.. إنها حقيقة علمية عجيبة لم تكتشف إلا عام ١٩٢٩، إلا أن القرآن الكريم ذكرها تصريحا فى قول الله عز وجل: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات ٤٧).

واكتشف العلماء أن أبعد المجرات التى أمكن فحصها تقع على بعد سبعة بلايين سنة ضوئية. ووجد العلماء أنها تتباعد عنا بسرعة أكبر من نصف سرعة الضوء!.. كما أن أشباه النجوم تتباعد بسرعة تصل إلى ٩٠ من المائة من سرعة الضوء.. وصار اتساع الكون حقيقة علمية ثابتة. ويعتقد العلماء أن الكون سيتوقف عن التمدد والاتساع فى المستقبل ثم يغير اتجاه تمدده واتساعه فينكمش ليعود كما كان(*) ويقول العلماء إن انكماش الكون فى المستقبل سيحدث عندما تسيطر الجاذبية العامة على تأثير تمدد الكون، حينئذ يتوقف الاتساع والتمدد، ثم ينعكس الاتجاه، ويبدأ الكون فى الانكماش (نظرية الكون المتذبذب).

ونستدل من هذه الحقيقة على أن حركات الكواكب ستنعكس.. وبذلك تشرق الشمس من مغربها وتغرب من مشرقها.. ويحدث ذلك قبيل انفجار الكون مثل الانفجار الأول Big Bang هكذا يبدئ الله الخلق ثم يعيده.

حينئذ ستطلع الشمس من مغربها قرب قيام الساعة كما أخبرنا رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها**».

وما كان أحد من الناس يعلم التفسير العلمى لذلك الحديث النبوى الشريف قبل سنة ١٩٢٩م.

وقديما قال القاضى عياض إن هذا الحديث النبوى الشريف، يفسر على ظاهره عند أهل الحديث والفقه والمتكلمين. وجاء العلم الحديث يؤكد صحة منهج التفسير لدى السلف الصالح رحمهم الله. فإن الساعة لا تقوم حتى تطلع الشمس من مغربها. وصدق رسول الله ﷺ .

(*) الدكتور منصور حسب النبى (الكون).

٤ ـ كسوف الشمس وخسوف القمر

أخرج البخارى عن ابن وهب، عن عمرو عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يخبر أن النبى ﷺ قال: **«إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله فإذا رأيتموهما فصلوا»**. وسبب الحديث الشريف أنه قد حدث كسوف للشمس فقال رسول الله ﷺ: **«ماذا كنتم تقولون إذا حدث هذا فى الجاهلية؟»**. قالوا: كنا نقول: مات رجل عظيم أو ولد رجل عظيم فنطق رسول الله ﷺ بالحديث الشريف.

وأخرج البخارى عن شيبان بن أبى معاوية، عن زياد بن علاقة، عن المغيرة بن شعبة قال: **«كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات ابنه إبراهيم. فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم (مشاركة للنبى فى حزنه على موت ابنه) فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ جمع الناس وقال لهم: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته. فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا الله»**.

وبنفس ذلك روى قيس عن أبى مسعود، وأخرج مسلم عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير أن الشمس انكسفت فى عهد رسول الله ﷺ فقام قياما شديدا (يعنى أطال الصلاة) ثم نام وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **«إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما من آيات الله يخوف الله بهما عباده. فإذا رأيتم كسوفا. فاذكروا الله حتى ينجليا»**.

— — — — — — — —

الكسوف أو الخسوف هو الاختفاء الجزئى لجرم سماوى إما عن طريق دخوله فى ظل آخر (خسوف القمر) أو حركة جسم آخر بين المشاهد والجرم السماوى بحيث يحجب رؤيته (كسوف الشمس).

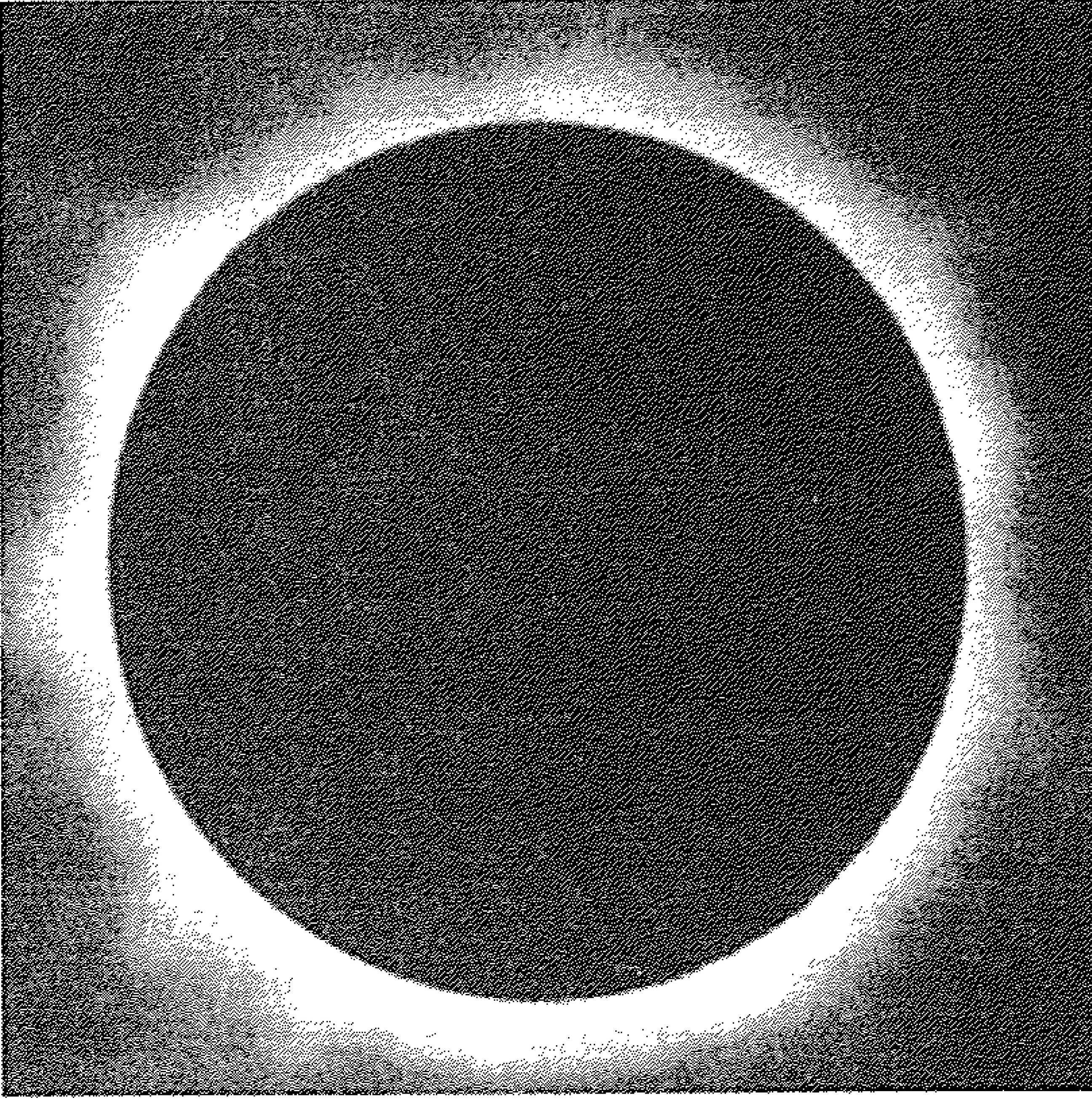
كسوف الشمس:(*)

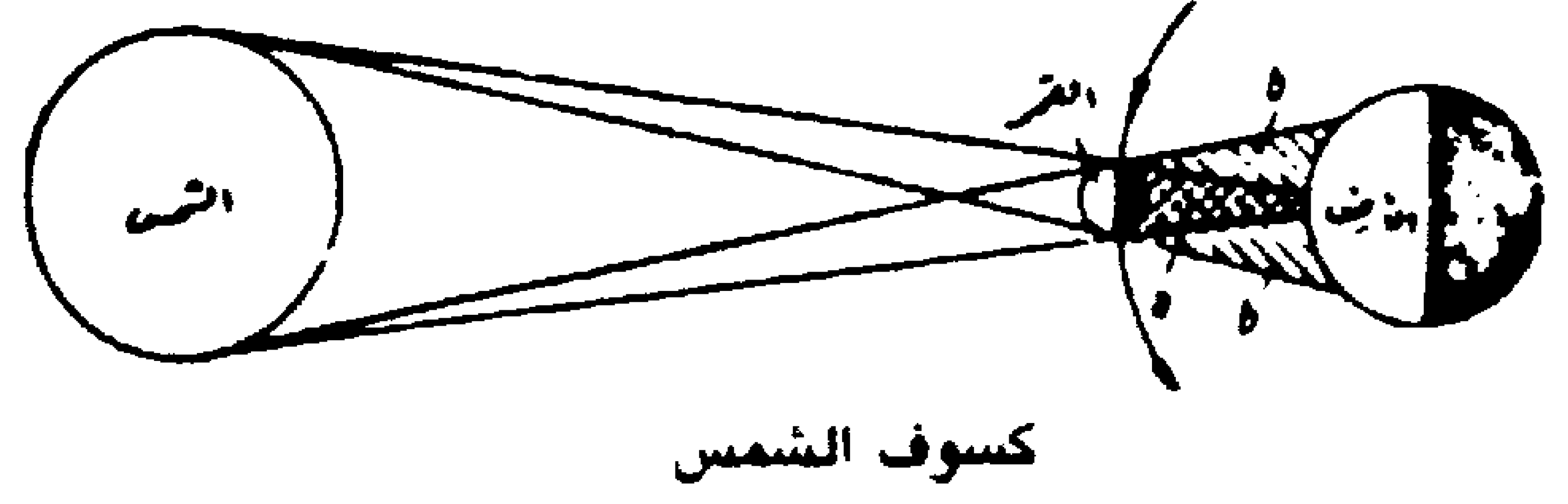
إذا مر القمر بين الأرض والشمس تماما، فإنه يحجب قرص ضوء الشمس عن الأرض وهذا ما نسميه بالكسوف الكلى للشمس فى بعض بقاع الأرض فيظهر قرص الشمس كله، أو بعضه مكسوفا، أى يظهر للإنسان على الأرض وعليه دائرة سوداء. هى ظل القمر على قرص الشمس.

وإذا كان الراصد واقفا فى مخروط ظل القمر على الأرض، فإنه يشاهد الكسوف الكلى. أما إذا كان فى منطقة شبه الظل فإنه يشاهد كسوفا جزئيا للشمس.

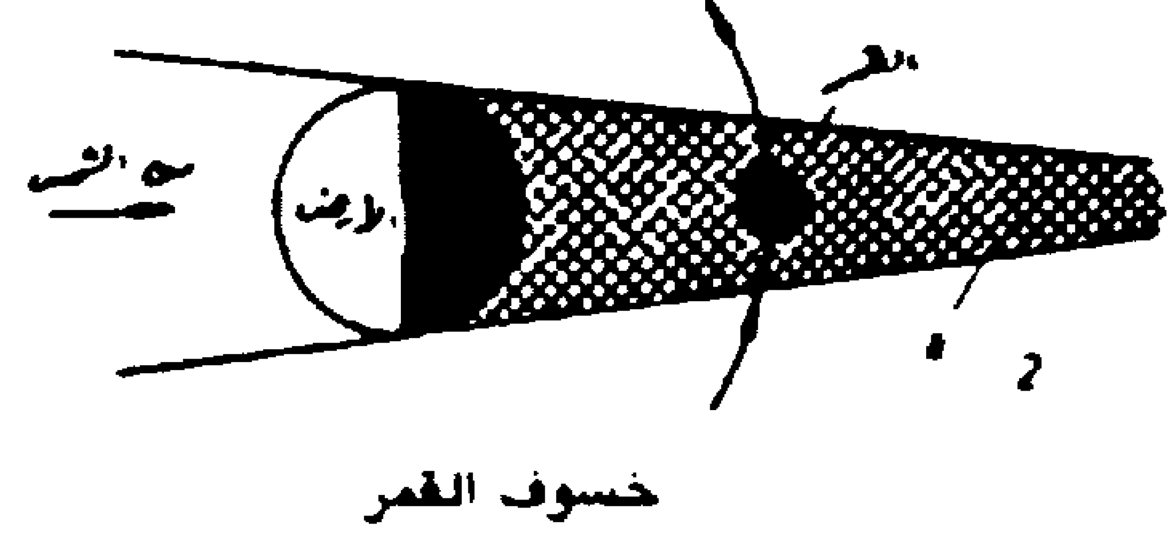
وقبل حدوث الكسوف الكلى للشمس بلحظات يرى الناس فى بداية الظاهرة قرص الشمس نهارا آخذا فى الاختفاء فيخف نور النهار تدريجيا، ثم تظلم السماء تماما أثناء النهار، وعند اكتمال خسوف الشمس، يظهر القمر وبعض النجوم فى السماء نهارا. ويتحول النهار إلى ليل، وكثير من الناس فى بعض الشعوب يصابون بالخوف والرهبة.

(*) المعارف الكونية: الدكتور منصور حسب النبى.





كسوف الشمس



خسوف القمر

ويمكن للفلكيين أن يتنبأوا بحدوث كسوف الشمس بدقة عظيمة، ويمكنهم أن يحسبوا مواعيد وأماكن ظهوره على الأرض لسنوات مقبلة.

وحدث كسوف كلى للشمس، يوم وفاة إبراهيم بن النبى محمد ﷺ كما جاء فى الحديث الشريف الذى أخرجه البخارى عن شيبان بن أبى معاوية، عن زياد بن علاقة، عن المغيرة بن شعبة قال: كسفت الشمس فى عهد رسول الله ﷺ يوم مات ابنه إبراهيم. فقال الناس: كسفت الشمس مشاركة منها للنبى فى حزنه على موت ابنه. فلما بلغ ذلك النبى، جمع الناس وقال لهم: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد، ولا لحياته. فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعو الله**». وكذلك الحديث الشريف الذى أخرجه مسلم عن ابن جريج عن عطاء، عن عبيد بن عمير.. ونشاهد الشمس كما نشاهد القمر بنفس الحجم تقريبا من سطح الأرض، نتيجة حجم كل منهما وبعده عنا (تبلغ الشمس ٤٠٠ مرة أكبر و٣٩٠ مرة أبعد من القمر) وهذا يسبب وصول رأس المخروط إلى الأرض. لهذا فإن المنطقة على سطح الأرض التى يكون فيها الكسوف كليا (أى منطقة الكسوف الكلى) تكون صغيرة دائما، وعرضها لا يزيد على ٣٠٠كم، وبسبب حركة القمر وحركة دوران الأرض، يجرى مخروط الظل بسرعة تبلغ ٣٥كم/دقيقة فوق سطح الأرض. لذلك فإن الكسوف الكلى، فى منتصف منطقة الكسوف، يستغرق فى معظم أحواله ٧,٦ دقيقة.

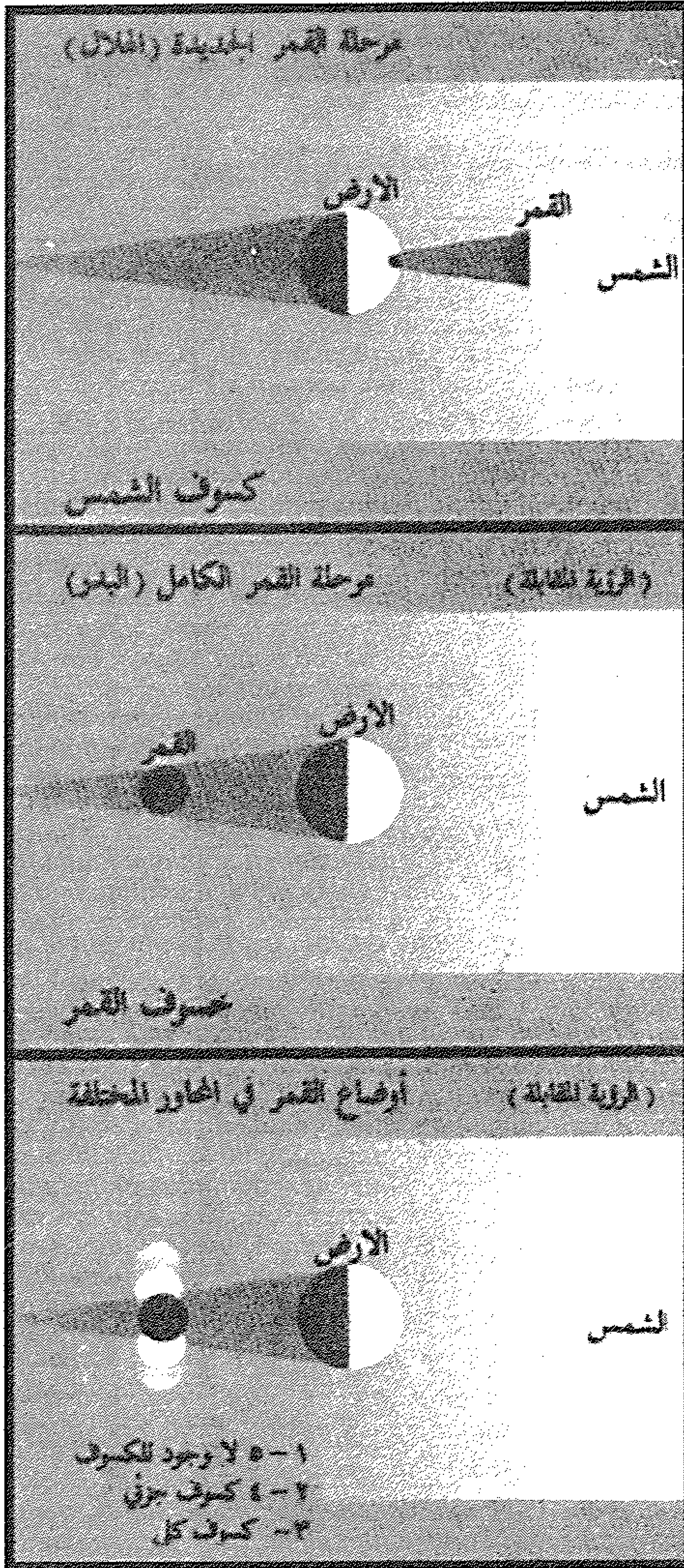
وأثناء كسوف الشمس يحدث هبوط ملحوظ فى درجة حرارة الأرض.. ويمكن أثناء كسوف الشمس تصوير كل من الكورونا، والكروموسفير الخاص بالشمس.

خسوف القمر :

يحدث كسوف الشمس عندما يقع القمر وهو بدر بين الأرض والشمس، بينما يحدث خسوف القمر عند وقوعه فى ظل الأرض التى تكون فى هذه الحالة بين الشمس والقمر.. ونلاحظ أن القمر فى حالة خسوفه، لا يختفى تماما، عندما يقع كله فى ظل الأرض؛ لأن هواء الأرض يشتت ويعكس بعض أشعة الشمس التى تصل إلى القمر، فيبدو لنا بلون أحمر قاتم عند خسوفه الكلى ويستمر على هذه الحالة نحو أربع ساعات، بينما فترة الكسوف الكلى للشمس تستمر بضع دقائق فقط.

الذى حدث فى عهد رسول الله ﷺ يوم موت ابنه إبراهيم هو كسوف للشمس، وليس خسوفا للقمر. والسبب الأصلى لكسوف الشمس كما ذكرنا هو القمر، إذا مر بين الأرض والشمس. فى هذه الحالة يحجب

القمر ضوء الشمس عن الأرض.. يحجبه كله إذا كان كسوفًا كليا ويحجبه جزئيا إذا كان كسوفا جزئيا.



ولم يكتشف العلماء هذه الحقيقة الفلكية إلا حديثا. وما كان أحد من العلماء يعلم أن السبب الأصلى فى كسوف الشمس هو حركة القمر ومروره بين الأرض والشمس.. وأن حادث كسوف الشمس يشترك فيه كل من الشمس والقمر وليس الشمس وحدها.

كذلك لما أخبر الناس رسول الله ﷺ عن كسوف الشمس فى ذلك الوقت لم يذكر الشمس فقط وقال: «إن الشمس آية وآيات الله لا تنكسف لموت أحد أو حياته» ولكنه ذكر ظاهرة كسوف الشمس وذكر سببها وهو القمر فقال: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنكسفان لموت أحد أو حياته**» فى هذا الحديث الشريف إعجاز علمى عجيب، لم ينتبه إليه الباحثون.. لأن علماء الفلك لم يكتشفوا تلك الظاهرة الفلكية وأسبابها إلا حديثا.

إلا أن الحديث النبوى الشريف ذكر ذلك تصريحا.. ذكر الظاهرة فى كسوف الشمس وذكر سببها فى حركة القمر وفى ذلك الدليل الواضح الذى لا يقبل جدلا على إعجاز علمى كبير وأن رسول الله ﷺ ما كان ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى من الله إليه يوحى.. وليس هناك احتمال آخر.

إن حدوث كسوف الشمس ظاهرة فلكية، تحدث فى أوقات محددة، وليس بطريق المصادفة.. فليس فى الكون مصادفة ولا عشوائية، وإنما هو نظام متقن وعجيب لا تفاوت فيه ولا اختلاف، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (الملك ٢ ـ ٤).

فظاهرة كسوف الشمس لها مواعيد ولها زمن ولها حسابات فلكية وأمكن لعلماء الفلك أن يتنبأوا بحدوث تلك الظاهرة الفلكية ـ بدقة زمنية كبيرة ـ بحدوثها مستقبلا، وبحدوثها فى الأزمنة الماضية أيضا وتتكرر دورات كسوف الشمس كل ١٨ عاما، ١١,٣ يوم بالضبط بالنسبة للمكان الواحد ولبعده عن الأرض. وهذه المدة يسميها العلماء (الساروس)، وقالوا إن أقل عدد لمجموع ما يحدث من كسوف للشمس وخسوف للقمر خلال عام واحد هو أربعة (كسوفان للشمس وخسوفان للقمر) وأكبر عدد لمجموعهما سبعة على مستوى الكرة الأرضية كلها.(*)

(*) (المعارف الكونية بين العلم والقرآن) للدكتور منصور حسب النبى.

مواعيد حدوث كسوف الشمس كما حددها علماء الفلك

تاريخ الكسوف	توقيته		نوعه	المنطقة التى يشاهده الناس فيها
	الدقيقة	الساعة		
٢١ يوليو ٢٠٠١	٥٧	١١	كلى	إفريقيا ومنطقة المحيط الهندى
١٤ سبتمبر ٢٠٠١	٤٨	٢٠	حلقى	أمريكا الوسطى ومنطقة المحيط الأطلسى
١٠ يونيو ٢٠٠٢	٤٧	٢٣	حلقى	منطقة المحيط الهادى
٤ ديسمبر ٢٠٠٢	٣٥	٧	كلى	إفريقيا والمحيط الهندى وأستراليا
٣١ يوليو ٢٠٠٣	٢٠	٤	حلقى	منطقة المحيط الأطلسى
٢٣ نوفمبر ٢٠٠٣	٥٩	٢٢	كلى	
١٩ إبريل ٢٠٠٤	٢١	١٣	جزئى	
١٤ أكتوبر ٢٠٠٤	٤٨	٢	جزئى	
٨ إبريل ٢٠٠٥	٣٢	٢٠	كلى	أمريكا الجنوبية والمحيط الهادى
٣ أكتوبر ٢٠٠٥	٢٨	١٠	حلقى	المحيط الهندى وإفريقيا
٢٩ مارس ٢٠٠٦	١٦	١٠	حلقى	شمال إفريقيا والمحيط الأطلسى
٢٢ ديسمبر ٢٠٠٦	٤٥	١٠		المحيط الأطلسى

ويمكن لعلماء الفلك أن يتنبأوا بحدوث ظاهرة كسوف الشمس فى الأزمنة القادمة فى مئات أو آلاف السنين، وفى الأزمنة الماضية أيضا لمئات السنين أو لآلاف السنين.

والأمر نفسه بالنسبة لظاهرة خسوف القمر. ولدى علماء الفلك جداول أعدوها لذلك. مما يدل على أنه لا يوجد مصادفة فى حركات النجوم والكواكب لأنه لا يوجد أى تفاوت أو اختلاف فى خلق الله تعالى.

الخوف من كسوف الشمس

أخرج البخارى عن حماد بن زيد، عن يونس، عن الحسن، عن أبى بكرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد أو حياته ولكن الله يخوف بهما عباده**».
وفى رواية أبى موسى أن النبى ﷺ قال: «**يُخَوِّف الله عباده بالكسوف**».

وذكر شرح فتح البارى عن طاوس، أنه نظر إلى السماء وقد انكسفت، فبكى حتى كاد أن يموت فسألوه لماذا يبكى قال: (هى أخوف لله منا).. والمعنى أنه يخاف من الله تعالى، الذى سخر الشمس والقمر، والذى قدر الكسوف والخسوف. وأن الشمس أخوف لله منا؛ لأن الشمس ساجدة عابدة، طائعة لله عز وجل، وتخافه وتخشاه أكثر مما يخشاه البشر.

وقال كل من الإمام ابن تيمية والإمام ابن القيم: إن الله تعالى قد أجرى العادة بخسوف الشمس والقمر، لأسباب معلومة يعرفها علماء الفلك. والواقع شاهد بذلك، وقد يصيبون فى حساباتهم وقد يخطئون.

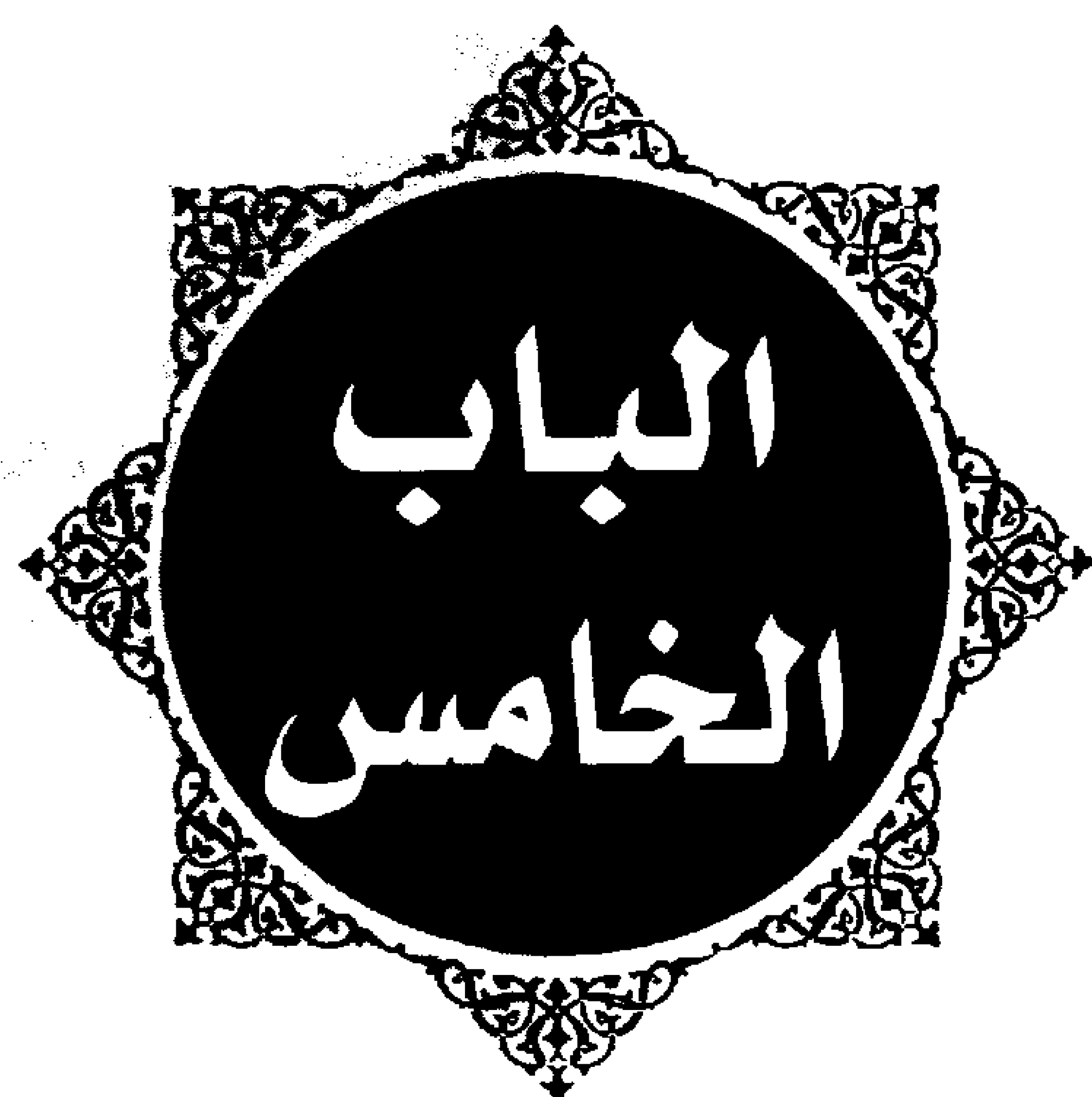
وقال الإمام ابن دقيق العيد: ربما يعتقد أهل الحساب للفلك فى كسوف الشمس ما ينافى قول النبى ﷺ «يخوف الله بها عباده». وقوله ﷺ هو الحق؛ لأن قدرة الله تعالى مطلقة، وله أن يقتطع ما يشاء من الأسباب والمسببات بعضها عن بعض. وإذا وقع شىء غريب، حدث الخوف لدى الناس.

وأثناء الكسوف الكلى للشمس. يحدث تغير على سطح الأرض يثير الرهبة والخوف، ففى وسط النهار والشمس ترسل أشعتها إلى سطح الأرض بالدفء والضوء، يزحف الظلام إلى سطح الأرض شيئا فشيئا، حتى يعيش الناس فى ظلام، وكأنه ظلام الليل، وتهبط درجة الحرارة ويختفى دفء النهار، لتحل محله برودة الليل!

لذلك ارتبطت ظاهرة كسوف الشمس لدى القدماء بكثير من الخرافات والخوف والتشاؤم(*).

ومازالت عادات أهل الريف فى أنحاء العالم؛ يشعرون بالخوف إذا حل كسوف الشمس، فيقرعون الطبول، ويذهبون إلى المعابد يلجأون إلى الله تعالى، يدفعهم الشعور من الخوف من كسوف الشمس والشعور من الخوف من الله تعالى، وقد تجلت قدرته.

(*) (المعارف الكونية) للدكتور حسب النبى ص١٧٢.



القمـــــر

١ - الأهلة مواقيت للناس والحج.

٢- اقتربت الساعة وانشق القمر.

٣- علاقة الزمن بالشمس والقمر.

١ ـ الأهلة مواقيت للناس

■ روى الإمام أحمد فى المسند عن إسحق بن عيسى، عن محمد بن جابر، عن قيس بن طلق، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل جعل هذه الأهلة مواقيت للناس» إلى آخر الحديث الشريف.

■ وروى الإمام أحمد عن محمد بن جابر عن قيس بن طلق عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم فأتموا العدة».

■ روى الإمام أحمد عن حماد بن سلمة، عن محمد بن زيادة عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته. فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين».

■ روى الإمام أحمد عن محمد بن جعفر عن شعبة، عن محمد بن زياد عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « **لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروا الهلال. صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته** ». وفى رواية شعبة: أن النبى ﷺ قال: « **لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروا الهلال** ».

■ أخرج أبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس، أن معاذ بن جبل، وثعلبة بن غنمة قالا: يارسول الله: ما بال الهلال يطلع دقيقا مثل الخيط، ثم يزيد حتى يعظم، ويستوى ويستدير. ثم لا يزال ينقص، حتى يعود كما كان، ولا يكون بحالة واحدة كالشمس فنزل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (البقرة ١٨٩).

— — — — — — — —

الأحاديث النبوية المشرفة تتحدث عن القمر، وكيف أن الأهلة مواقيت للناس فى الصوم والحج.. ويحسن بنا أن نبدأ بتعريف موجز عن القمر(*)

إن حجمه $\frac{١}{٤٩}$ من حجم الأرض، وكثافته ٣,٢٣ بالنسبة إلى كثافة الماء «كثافة الأرض ٥,٦».

ونصف قطره ١٧٤٠ كيلو مترا. سرعة دورانه حول الأرض ٢٢٧٨ ميلا فى الساعة (أى كيلو متر واحد فى الثانية. أى ٦٠ كيلو مترًا فى الدقيقة). ويبعد عن الأرض ٢٤٠ ألف ميل. ويدور القمر حول نفسه مرة واحدة كل ٢٨ يوما.. ويستمد الضوء من الشمس وينعكس عن نورها، إلا أن قدرته العاكسة ضعيفة، فنوره أضعف بمقدار ٤٣٧ ألف مرة من ضوء الشمس.. ولو كان سطحه مصقولا كالمرآة، لكان من المستحيل التحديق فيه. إلا أن النور الذى يصل إلى الأرض من القمر ليلا يكفى احتياجات الناس.

ويشرق القمر متأخرا ويغيب متأخرا بمقدار خمسين دقيقة ونصف الدقيقة، عن إشراقه وغيبته فى اليوم السابق. وأشكال القمر المختلفة التى نراه بها، سببها أن الشمس تضىء نصفه دائما.. والنصف الآخر مظلم..

(*) كتاب الإنسان بين العلم والدين ص١١٣.

وعندما يكون القمر بيننا وبين الشمس. يكون معتما (فى المحاق) فالوجه المنير من القمر هو المقابل للشمس. والوجه المظلم منه نحونا فلا نراه.. ثم يبدأ فى الارتفاع، فنراه هلالا، ثم إذا ارتفع أكثر يصير قمرا ثم بدرا. وعندما يكون بدرا تكون الأرض بين الشمس والقمر.

والقمر ضعيف الجاذبية إذا قيس بقوة جاذبية الأرض.. فإذا استطاع إنسان أن يقفز على سطح الأرض إلى ارتفاع ثلاثة أمتار، فإنه بنفس الجهد يرتفع عن سطح القمر نحو عشرين مترا. وبسبب ضعف جاذبيته، ليس له غلاف جوى، فهو خال من الهواء.. ولا يمكن أن يوجد على سطحه هواء؛ لأن قوة جاذبيته الضعيفة لا يمكنها الاحتفاظ بغلاف جوى.

لذلك إذا تكلم رائد فضاء مع زميل له على سطح القمر، لا يسمع أحدهما الآخر؛ لأن الصوت لا ينتقل إلا بوجود الهواء.. وحرارة سطح القمر ١٤٠° م نهارا، ١٧٠°م تحت الصفر ليلا . والقمر لايزال تحت تأثير جاذبية الأرض.

وتكثر على سطح القمر الجبال والوديان العميقة والفتحات البركانية.

وطول يوم القمر وكذلك طول شهر القمر ليسا ثابتين، فالقمر يبتعد عن الأرض باستمرار(*)

وكان القمر فى أقرب أوضاعه من الأرض منذ ١٠٠٠ مليون سنة. وكان بعد القمر عن الأرض لا يتعدى الـ ١٨٠ ألف كم.

وبذلك كان يغطى ١١٪ من سماء الأرض وهو ما يزيد على اثنين وعشرين ضعفا بالنظر إلى مقدار بعده الحالى. ومنذ نحو ٣٧٥ مليون سنة، كان بعد القمر لا يزيد على نصف بعده الحالى. ويتحرك القمر ويكمل دورة كل ٢٩,٥٣ يوم وهى طول الشهر العربى.

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (البقرة ١٨٩).

سأل معاذ بن جبل وثعلبة، رسول الله ﷺ: ما بال الهلال يطلع دقيقا مثل الخيط، ثم يزيد حتى يعظم ويستوى ويستدير، ثم لايزال ينقص حتى يعود كما كان، ولا يكون كحالة واحدة كالشمس؟ فنزلت الآية.

يسأل المسلمون رسول الله ﷺ عن أمور كثيرة .. وهى الأمور التى تصادفهم فى حياتهم اليومية، فى عهدهم الجديد. يريدون من السؤال كيف يتصرفون وفق الدين القيم، ووفق النظام الجديد. ويسألون عن الظواهر الكونية التى كانت تلفت نظرهم، فهم يسألون عن الأهلة ما سرها، وما فائدتها، ولماذا يتغير شكل القمر، فيكون هلالا ثم قمرا ثم بدرا، فقمرا، فهلالا، ثم يختفى ويعود هلالا مرة أخرى.. وهكذا.

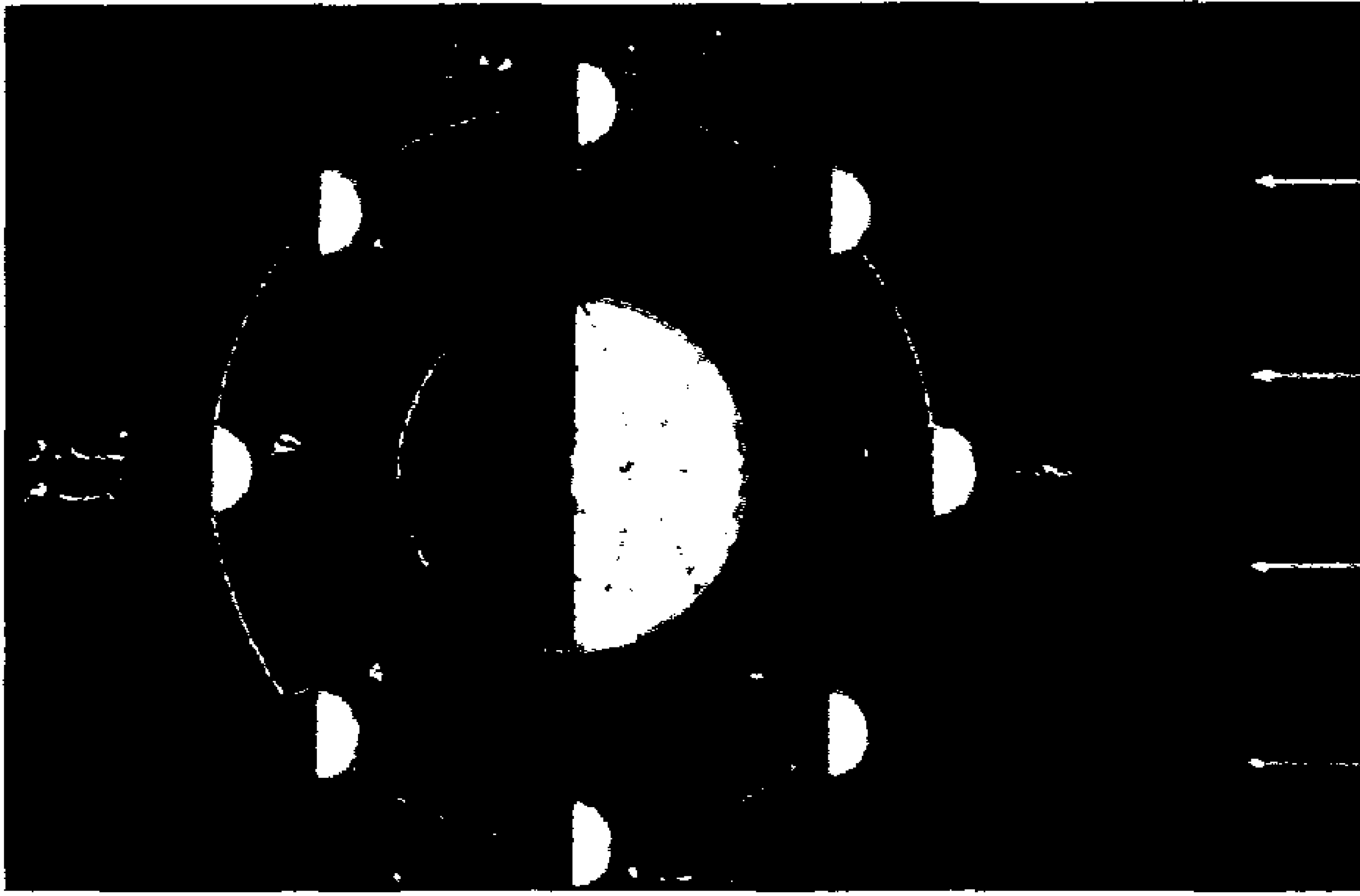
يسألونه ماذا ينفقون وماذا يأكلون وماذا يشربون، ويسألونه عن الخمر والميسر وحكمهما، ويسألونه عن المحيض، ويسألونه ويسألونه، والله تعالى يوحى لرسوله بالإجابة.. ولهذه الأسئلة دلالات كثيرة، منها دلالة بروز شخصية جديدة للمجتمع المسلم، وتعلق أفراده بالدين الجديد، وبوحدتهم فى نظام قوى متين، كما تدل الأسئلة على نمو فكرى ويقظة فكرية وعقلية، تؤكد التحرج من الوقوع فى أى خطأ غير مقصود، فالمسلمون يستوثقون من رسول الله ﷺ فى كل أمر من أمور حياتهم، حتى يواجهوا حياتهم على أساس إسلامى صحيح.. ويسألونه عن الأهلة. ويوحى الله تعالى لرسوله بالجواب ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (البقرة ١٨٩) فجعلها الله تعالى مواقيت للناس فى صوم المسلمين وإفطارهم ومناسكهم، وحجهم، ولعدة نسائهم وغير ذلك، والله تعالى أعلم بما يصلح خلقه.. أما قوله تعالى: (والحج) أى و(للحج) والمعنى: وجعلها أيضا ميقاتا لحجكم، تعرفون بها وقت مناسككم وحجكم.

(*) كتاب علم الفلك العام ص ١٢٨. د. مرفت ود. مصطفى.

حكمة اختلاف أشكال القمر من هلال إلى قمر إلى بدر:

ربما كان ذلك لمصلحة للناس عامة، ولسكان الصحراء خاصة لأن تغير شكل القمر، يسهّل على الناس معرفة أوائل الشهور، وأنصافها وأواخرها. كما أن اختلاف أشكال القمر يدل على حكمة الله فى خلقه وإبداعه فى صنعه، ورحمته بعباده كما يدل على طلاقة قدرته تعالى. قال الله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (الفرقان ٦١).

نلاحظ أنه ذكر السراج (وهو الشمس) والقمر، مفردين والسماء فيها ملايين الشموس وملايين الأقمار.. فدل هذا على أن كلا من السراج والقمر فى الآية «اسما جنس» وتعنيان كل السرج التى فى السماء وهى من جنس الشمس التى نعرفها، وكل الأقمار فى السماء التى من جنس قمر الأرض. وهذا أسلوب من أساليب البلاغة فى اللغة.. وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ قوله تعالى: (والحج)، فيه إضمار وتقديره (وللحج).



والأهلة: جمع «الهلال». وهو أول حال القمر حين يراه الناس. وقال أبو الهيثم: يسمى القمر «هلالا» ليلتين فى أول كل شهر وكذلك ليلتان فى آخر الشهر. ثم يسمى بعد ذلك «قمراً». وقيل لثلاث ليال فى آخر الشهر.

ويراد «بالأهلة» شهورها، فيعبر عن الشهر بالهلال لحلوله فيه كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة ١٨٥).

وكما قال رسول الله ﷺ: « **صوموا لرؤيته** » أى صوموا الشهر عند رؤية الهلال.

وليس معنى الآية الكريمة ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ والحديث النبوى الشريف: « **إن الله عز وجل جعل هذه الأهلة مواقيت للناس** » .. ليس المعنى أن الأهلة هى وحدها مواقيت للناس. لأن الله تعالى جعل من حركات الشمس مواقيت للناس أيضا. كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾(الإسراء ١٢).

من الآية الكريمة نفهم أن المواقيت متعلقة بالشمس، كما هى متعلقة بالقمر.

وكلمة (المواقيت) فى كل من القرآن والحديث النبوى: جمع ميقات. والميقات هو الوقت، وكلمة «مواقيت» لا تنصرف لأنها جمع لا نظير له فى الآحاد. والهلال ميقات الشهر، والشمس مواقيت للسنين والفصول.. ومواقيت للصلاة أيضا.

وقدّر الله تعالى الزمن على أربعة أوجه:

السنة. والشهر. واليوم. والساعة.

السنة: هى الزمن من حركة الشمس من نقطة معينة من الفلك، إلى أن تعود إلى تلك النقطة مرة أخرى. واصطلح العلماء على أن تلك النقطة هى نقطة الاعتدال الربيعى وهى أول برج الحمل.

أما الشهر: فهو الزمن من حركة القمر من نقطة معينة فى فلكه الخاص إلى أن يعود إلى تلك النقطة.

أما اليوم: وهو اليوم وليلته. واتفق على أن اليوم هو من أول طلوع الفجر إلى طلوع الفجر مرة أخرى وهى أربع وعشرون ساعة .

أما الساعة: فهى جزء من أربعة وعشرين جزءًا من اليوم والليلة.

وإذا كانت الصلاة متعلقة بمواقع الشمس، فإن الحج متعلق بمواقع القمر.

.. والأهلة مواقيت لكثير من العبادات:

١ – الصيام والإفطار فى رمضان وصيام التطوع، كما قال رسول الله ﷺ عن الهلال: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته».

٢ – تحديد الأشهر القمرية.

٣ – الحج ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ (البقرة١٩٧).

٤ – عدة المُتوفى عنها زوجها ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (البقرة ٢٣٤)

٥ – النذور التى تتعلق بالأوقات.

٦ – مدة الحمل والرضاع كما قال تعالى : ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف ١٥) وكما قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة ٢٣٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ (التوبة ٣٦).

وفسر الرسول ﷺ الآية الكريمة قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا. فيها أربعةٌ حرم. ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم، ورجب الذى بين جمادى وشعبان». أخرجه البخارى عن ابن أبى بكرة.

والأشهر الإسلامية تبدأ بشهر محرم، وتنتهى بشهر ذى الحجة.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل جعل هذه الأهلة مواقيت للناس» أخرجه الإمام أحمد.

منازل القمر(*):

إن حركات القمر مرتبطة بالمواقيت المتعلقة بها.. ومنها منازل القمر:

ومنازل القمر هى أوجهه، أى مراحل ظهوره لأهل الأرض ابتداء من هلال جديد فتحته إلى اليسار، إلى التربيع الأول، ثم إلى القمر الكامل (البدر)، إلى التربيع الثانى، فالهلال الأخير الذى فتحته إلى اليمين، وأخيرا المحاق. ثم تتكرر الدورة كل شهر قمرى اقترانى ($\frac{١}{٢}$ ٢٩ يوم) وهو الزمن الظاهرى الذى يكمل فيه القمر دورته حول الأرض، مع مراعاة دوران الأرض أيضا حول الشمس فى نفس الوقت (بينما الزمن الحقيقى للشهر القمرى الفلكى ٢٧,٣ يوم).

والإنسان الذى يوجد على الأرض، لا يلاحظ الفرق بين الشهر القمرى الفلكى، والشهر الاقترانى، لأننا نرى حركة القمر الظاهرية، ونحن على كوكب الأرض الذى يتحرك دائما، وللدقة فإن الزمن بين القمر الجديد والقمر التالى ٢٩ يوما، ١٢ ساعة، ٤٤ دقيقة، ٢,٩ ثانية. أى: ٢٩,٥٣٠٥٩ يوم أرضى، وهو

(*) المعارف الكونية: أ.د. منصور حسب النبى ص١١٩.

المستخدم لعدّ السنين فى التقويم القمرى الهجرى الظاهرى. أما الشهر القمرى الفلكى الحقيقى، وليس الظاهرى فهو ٢٧,٣٢١٦٦١ يوم، ويستخدم فقط فى الحسابات العلمية. من أجل ذلك ميز الله تعالى بين العد والحساب عند استخدام منازل القمر. ابتدأ التقويم الهجرى بوصول النبى ﷺ إلى المدينة فى هجرته إليها وحدث هذا فى ١٦ يونيو سنة ٦٢٢ ميلادية.

والتقويم للشهور والسنوات الهجرية لا يعتمد على الحساب فقط، وإنما يشترط التماس رؤية الهلال يوم التاسع والعشرين من الشهر.

فإن ثبتت رؤيته عقب غروب الشمس، كان اليوم التالى هو بداية الشهر الجديد، وإلا فهو المتمم لأيام الشهر ثلاثين يوما كما قال رسول الله ﷺ «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين». غم عليكم : أى لم تروا الهلال.

كما فى قول الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (يونس ٥).

ولفظ (الحساب) معطوف على لفظ (عدد). والعطف يقتضى المغايرة..

وهذا ما اكتشفه علماء الفلك حديثا. فالعد بالأهلة ظاهرى اقترانى $\frac{١}{٢}$٢٩ يوم تقريبا، ولهذا فقد تعودنا أن يكون الشهر القمرى ٢٩ يوما أو ثلاثين يوما بالتبادل، كما قال رسول الله ﷺ فى حديثه الشريف عن الهلال: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين» أخرجه الإمام أحمد.

وما يهمنا هو عد الشهور (وليس الحساب) بالأهلة الواضحة فى أوجه القمر شهريا.

ونحن نعلم أن القمر لا يتغير شكله، فهو دائما كوكب كروى فى سماء الأرض، ولكنه يبدو لنا كما لو كان يغير شكله فى منازله المختلفة، لأنه يدور حول الأرض دورة كاملة كل شهر قمرى، وينتهى إلى المحاق، ويصير القمر هلالا جديدا عندما ينتقل فى حركته حتى تشرق الشمس على جزء صغير من وجهه، فتكون فتحة الهلال الوليد إلى اليسار، ويولد قبل الغروب، ويغرب بعد الغروب بفترة كافية، ويكون هذا أول الشهر العربى، وتتم رؤيتنا له فى الأفق الغربى لسماء الأرض.

ونظرا لدوران القمر حول الأرض (التى تدور حول الشمس) فإنه يتأخر فى الظهور (الشروق) فى سماء الأرض نحو ٥٠ دقيقة كل يوم، كما أن البدر المكتمل يشرق قرب غروب الشمس ويغرب عند شروقها تقريبا.

وقال الله عز وجل عن الهلال: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (يس ٣٩)، والعرجون القديم، هو العذق المقوس، ووصفه بالقديم إشارة إلى أن القمر كوكب ميت لا حياة فيه، كما أن العرجون القديم لا حياة فيه.

وفى كتاب التفسير بالمأثور للسيوطى أن الخطيب أخرج فى كتاب النجوم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال فى شرح الآية: فى ثمانية وعشرين منزلا ينزلها القمر فى كل شهر فإذا سار فيها جميعا عاد كالعرجون القديم كما كان فى أول الشهر. وأخرج ابن جرير عن مجاهد رضى الله عنه فى قوله: ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ قال : عرجون النخل اليابس.

وكان الناس يعتقدون أن بالسماء قمرا واحدا، إلى أن اكتشف جاليليو سنة ١٦١٠م أقمارا أخرى لكوكب المشترى هى: أيو، أيروبا، وجانيميد، وكاليستو، واكتشف علماء الفلك حتى الآن واحدا وستين قمرا لكواكب المجموعة الشمسية.

وكواكب المشترى تظهر وتختفى، ولكل قمر منها توقيت محدد. وأقمار المشترى تلعب دورا لتوقيت دقيق. وللفلكيين قوائم بموعد ظهور أهلة المشترى، تحدد التوقيت تحديدا دقيقا، حتى أن بعض العلماء يسمون أقمار المشترى «ساعة الكون الكبرى».

وهكذا فالأهلة أينما كانت فى السماء – قمر الأرض أو أى قمر آخر يدور حول كوكبه فى مواقيت محددة .. قال الله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (البقرة ١٨٩)، هذه الآية الكريمة تقرر حقيقة كونية عامة..

وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: «إن الله عز وجل جعل هذه الأهلة مواقيت للناس».

السنوات بالتقويم القمرى وما يقابلها من السنوات بالتقويم الشمسى:

قال الله عز وجل عن فتية الكهف: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (الكهف ٢٥)، وفى التفسير بالمأثور للإمام جلال الدين السيوطى: عن ابن أبى شيبة، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبى حاتم عن الضحاك قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَمِائَةٍ﴾ قيل يا رسول أياما أم شهورا أم سنين. فأنزل الله: ﴿... سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾.

وجاء فى الجامع لأحكام القرآن للقرطبى: قال ابن إسحق إن قريشا بعثوا النضر بن الحارث، وعقبة ابن أبى معيط إلى أحبار اليهود، وقالوا لهما: صفا لهم صفة محمد، وأخبراهم بقوله . فهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ليس عندنا، من علم الأنبياء. فخرجا حتى قدما المدينة. فسألا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ، ووصفا لهم أمره، وأخبراهم ببعض قوله. وقالا لهم: إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا. فقالت لهما أحبار يهود: سلوه عن ثلاث، فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل، وإن لم يفعل فليس بنبى. سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول، ما كان أمرهم؟ وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها؟ وسلوه عن الروح.. ما هى؟ فإن أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبى. وإن لم يفعل فهو ليس بنبى. فجاءوا رسول الله ﷺ وأخبروه بالثلاث. فنزلت سورة الكهف وفيها أخبار فتية الكهف وما كان من أمرهم، وفيها أخبار ذى القرنين الذى بلغ مشارق الأرض ومغاربها وأخبرهم عن الروح وما جاء عنها فى سورة الإسراء.

والسنة الهجرية (القمرية) تعادل ٣٥٤ يوما. والسنة الميلادية (الشمسية) تعادل $\frac{١}{٤}$٣٦٥ يوم وإذا حسبناها لتبين لنا أن كل ٣٠٠ سنة ميلادية يعادلها ٣٠٩ سنوات قمرية تماما. كما ذكرت آية سورة الكهف.

١ – ولمعرفة السنة الميلادية المقابلة لسنة هجرية معينة، تستخدم هذه المعادلة الرياضية:(*)

$$\text{م} = \text{هـ} + ٦٢٢ - \frac{\text{هـ}}{٣٣}$$

م (السنة الميلادية) هـ (السنة الهجرية)

فمثلا لمعرفة السنة الميلادية المقابلة لسنة ٣٣٠ هـ فهى:

$$٣٣٠ + ٦٢٢ - \frac{٣٣٠}{٣٣} = ٩٤٢ \text{ ميلادية}$$

(*) الزمن: للدكتور السيد سلامة السقا ص ١٧٤

٢ – ولمعرفة السنة الهجرية تكون المعادلة هـ = م – ٦٢٢ + $\frac{\text{م} - ٦٢٢}{٣٣}$

فمثلا السنة الهجرية المقابلة لسنة ٧٢١ ميلادية=

٧٢١ – ٦٢٢ + $\frac{٧٢١ - ٦٢٢}{٣٣}$ = سنة ١٠٢ هجرية.

اختلاف مطالع الهلال: (•)

إن رؤية مطلع الهلال ليست سهلة، بل هى عسيرة جدا، لأن الهلال يكون قريبا من الأفق، واستضاءته تكون ضعيفة جدا، لا تختلف كثيرا عن استضاءة السماء وقت غروب الشمس، وظاهرة غـروب الشمس أو غروب القمر ظاهرة محلية تختلف باختلاف الأماكن على سطح الأرض .

وإذا أردنا توحيد المطالع للهلال: فلابد من أمرين: نختار أحدهما

إما أن نوحد المكان، وإما أن نرتفع بالظاهرة المحلية إلى مستوى الظاهرة العالمية، باستخدام جميع الآفاق على سطح الأرض، وهذا أمر غير ميسور.

وإذا حددنا مكان التماس رؤية الهلال: الدار البيضاء أو القاهرة أو مكة المكرمة (لتوسطها العالم الإسلامى وتوسطها المعمورة كلها). وقد تكون الدار البيضاء؛ لأنها من أقصى البلاد الإسلامية غربا، ومن ثم يكون التصحيح الناتج عن الرصد أقل قيمة، بمعنى أنه إذا شوهد الهلال فى الشرق، فإنه يشاهد حتما فى الغرب.

وسائر الدول الإسلامية تحدد أوائل الشهور العربية عند أقرب غروب للشمس من مواعيد ميلاد الهلال.

وإذا تم ميلاد الهلال الجديد نهارا، وكان عمره عند الغروب وراء الأفق بنحو ١٤ ساعة، فإن رؤيته تكون ممكنة؛ لأنه سيمكث بعد الغروب بنحو ١٢ دقيقة وبالتالى يمكن رؤيته.

وإذا تم ميلاد الهلال الجديد بعد غروب الشمس، فإن رؤيته تكون ممكنة، فى أقصى الآفاق غربا؛ لأنه قد يبلغ عمره نحو بضع ساعات عند الغروب فى تلك الآفاق.

ولكى نتمكن من توحيد أول شهر رمضان لارتباطه بالصيام وأول شهر ذى الحجة لارتباطه بالحج، فإنه يجدر بالدول الإسلامية أن تصل إلى اتفاق فيما بينها على الطريقة العملية والصحيحة والميسورة فى تحديد مولد الهلال.

(•) الله والكون: جمال الدين الفندى.

٢ ـ اقتربت الساعة وانشق القمر

■ روى الإمام أحمد، قال حدثنا حسين، حدثنا محمد بن مطوف، عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بعثت أنا والساعة هكذا» وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى.

■ وروى الإمام أحمد، عن معمر، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبى ﷺ آية، فانشق القمر بمكة مرتين فقرأ قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾.

■ وروى البخارى، عن عبد الله بن عبد الوهاب، عن بشر بن المفضل، عن سعيد بن أبى عروة، عن قتادة، عن أنس أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقين، حتى رأوا حراء بينهما. وأخرجه الشيخان من طرق أخرى عن طريق قتادة عن أنس.

■ وروى الإمام أحمد عن محمد بن كثير، عن سليمان بن كثير، عن حصين ابن عبد الرحم عن محمد بن جبير أن مطعم عن أبيه قال: انشق القمر فى عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين، فرقة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل. فقالوا: سحرنا محمد. فقالوا: إن كان سحرنا، فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم.

■ وأخرج البيهقى عن العباس بن محمد الدورى، عن وهب ابن جرير، عن شعبة عن الأعمش، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمر قال: انشق القمر فى عهد رسول الله ﷺ فلقة من دون الجبل وفلقة خلف الجبل. فقال النبى ﷺ: «اللهم اشهد».

■ وفى رواية الإمام أحمد عن مجاهد، عن أبى معمر عن ابن مسعود قال: انشق القمر فى عهد رسول الله ﷺ شقين حتى نظروا إليه فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا»

■ أخرج الإمام أحمد عن أبى معاوية عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبى معمر، عن عبد الله، قال: (انشق القمر ونحن مع النبى ﷺ بمنى حتى ذهبت فرقة منه خلف الجبل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشهدوا».

■ أخرج الترمذى وأبو داود، عن شعبة، عن الأعمش، عن مجاهد عن ابن عمر قال: انفلق القمر فى عهد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : «اشهدوا».

■ أخرج البخارى عن أبى حمزة عن الأعمش، عن إبراهيم عن أبى معمر، عن عبد الله بن مسعود، قال: انشق القمر. ونحن بمنى فقال ﷺ: «اشهدوا» وذهبت فرقة نحو الجبل وفى رواية مسلم عن ابن مسعود (انشق القمر فى عهد رسول الله ﷺ فلقتين فستر الجبلُ فلقةً وكانت فلقة فوق الجبل فقال رسول الله ﷺ «اللهم اشهد».

وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله : «انشق بمكة».

وفى بعض الروايات أن ذلك كان ليلة البدر. وروى البيهقى (فى الدلائل) عن أبى عيينة، عن ابن أبى نجيح بلفظ (رأيت القمر منشقا شقين : شقا على أبى قبيس وشقا على السويدا. (وكلاهما جبل) . ويحتمل أن يكون القمر استمر منشقا حتى رجع ابن مسعود من منى إلى مكة فرآه كذلك هناك.

■ وأخرج ابن مردويه من رواية بن جريج عن مجاهد بلفظ آخر وهو قوله: انشق القمر ونحن مع رسول الله ﷺ فقال: «اشهدوا اشهدوا» وليس فيه تعيين مكان وهذا تفسير قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ كأنه يقول: (كما شققت القمر كذلك أقيم الساعة).

* جاء في تفسير الحديث في فتح البارى بشرح صحيح البخارى: إن المراد بقوله تعالى ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ أن بعض أهل العلم من القدماء قال: (انشق القمر) أى سينشق كما قال تعالى (أتى أمر الله) أى سيأتى. إلا أن ما رواه الصحابة من أحاديث متواترة أثبتت أن القمر انشق فى عهد رسول الله ﷺ وأن الناس شاهدوه. ويؤيد ذلك الرأى قول الله عز وجل بعد ذلك: ﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ والكفار لا يقولون ذلك يوم القيامة، فلابد أنه وقع بمكة وشاهده الكفار وقالوا سحر مستمر فرأى يقول المعنى أنه سينشق، وقول جمهور السلف أنه انشق فعلا.

* أخرج البخارى عن سفيان عن ابن أبى عجيج عن مجاهد، عن أبى معمر عبد عمران قال: انشق القمر ونحن مع النبى ﷺ فعاد فلقتين فقال لنا: «اشهدوا. اشهدوا».

* أخرج مسلم عن يونس بن محمد، عن شيبان، عن قتاده عن أنس أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين.

وعن انشقاق القمر يقول الله عز وجل: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (القمر ١).

انشق فعل ماض يدل على مستقبل. وهذا أسلوب بلاغى نلاحظه فى كثير من الآيات القرآنية كما فى قول تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوه﴾ (النحل ١). (أتى): فعل ماض يدل على مستقبل. وهو يوم القيامة. أجمع المفسرون القدامى رحمهم الله على أن انشقاق القمر حدث فى زمن النبى ﷺ بأحاديث كثيرة عن الصحابة رضوان الله عليهم – وقالوا: إن انشقاق القمر حدث فى زمن رسول الله ﷺ ودليل ذلك الآيات التى وردت، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾(القمر ٢، ٣)، ومن الآيات الكريمة نفهم أن اقتران قرب الساعة بانشقاق القمر يدل على أن انشقاق القمر ليس من باب المجاز ولكن يجب أن يفسر على الحقيقة، فهو علامة حسية من علامات اقتراب الساعة، كسائر العلامات التى وردت فى الأحاديث النبوية المشرفة عن قيام الساعة.. ودليل ذلك قوله تعالى: (وإن يروا) ولو لم ينشق القمر نصفين، ورآه الناس جميعا، مسلمين وغير مسلمين رأى العين، ما ذكر الصحابة ذلك فى أحاديث كثيرة، وما اعترض الكفار على ما حدث من انشقاق القمر بأنه من سحر محمد.. وأنه سحر مستمر. فلو لم يروه ما قالوا عنه إنه سحر.. فدل هذا على ثبوت رؤيتهم لانشقاق القمر فى زمن رسول الله ﷺ.

وأخرج البخارى وغيره من حديث ابن مسعود، وابن عمر وأنس، وجبير بن مُطْعِم، وابن عباس (انشق القمر بمكة مرتين) وفى رواية أخرى (انشق فرقتين) وجاء فى الأثر أن بعضهم قال: إن كان بلغ من سحر محمد أن يسحرنا، فما بلغ أن يسحر كل الناس. فاسألوا القادمين من السفر. فسألوهم فقالوا: نعم.. رأينا القمر منشقا. فقال الكفار: إذن فهو سحر مستمر، لم يقتصر علينا. ونزلت الآية فى حقهم ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾ تدل على أن انشقاق القمر آية من الله تعالى، من صنف الآيات الواردة فى نفس السور. وقوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾(القمر ٤٢).. يدل على المقارنة بين المكذبين بآية انشقاق القمر من قريش، والمكذبين من آل فرعون بالآيات التى أجراها

الله تعالى على يد النبى موسى عليه السلام.. من هذا نفهم أن حادث انشقاق القمر كان آية من مثل تلك الآيات التى أجراها الله على يد موسى، مثل آية العصا وتحولها إلى ثعبان يلقف ما يأفكون، وآية ضرب البحر وانفلاقه فلقتين.

وقال الإمام الحافظ ابن كثير فى تفسيره: إن انشقاق القمر ثابت بالتواتر، ومتفق عليه بين العلماء.

وأنكر بعض المبتدعة حادث انشقاق القمر؛ لمخالفته للعقل البشرى.. ولكنهم فى ذلك مخطئون لسببين

الأول: لأنه لو لم يكن مخالفا للعقل ما كان معجزة.

الثانى : هناك أدلة فلكية ثابتة تدل على ذلك (سنتحدث عنها فيما بعد).

وفى موضوع اقتراب الساعة ما رواه الإمام أحمد، عن أبى حزم عن سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بعثت أنا والساعة هكذا». وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى.. من معانى الحديث الشريف (أنه لا نبى بعدى، فإن زمانى يمتد إلى قيام الساعة. فزمانى والساعة متقاربان كهاتين – أصبعيه السبابة والوسطى) ولا شك أن الزمان من يوم بعثة النبى محمد ﷺ وإلى يوم القيامة، هو زمان النبى ﷺ فما دامت أوامره نافذة، ورسالته قائمة ومتبعة بأمر الله عز وجل، فالزمان زمانه.

وإن كان قد التحق بالرفيق الأعلى .. إلا أن له وجودًا ... لا ندرى كنهه.. مادامت رسالته موجودة، ومادام الزمان زمانه(•)

هل سينشق القمر فى المستقبل أيضا؟

إن معنى الآية الكريمة ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ يشير إلى أن القمر انشق فعلا فى زمن النبى محمد ﷺ فى مكة ... كما لا ينفى انشقاق القمر مستقبلا.. ولكن كيف يكون ذلك؟

كان القمر قريبا من الأرض عقب انفصاله عن الأرض فى بدء الخلق.. ثم ابتدأ يبتعد عن الأرض تدريجيا، كلما زادت سرعته المدارية وبالتالى زيادة قوة الطرد المركزى التى تبعد فلك القمر عن الأرض. وثبت علميًا أن الأرض تبطئ بمقدار ٠,٠٠٢ من الثانية من زمن اليوم الواحد كل مائة عام؛ لذلك يسرع القمر فى مداره فيزداد الطرد المركزى لدرجة أن القمر يبتعد عن الأرض بمعدل ٤سم سنويا.. وهذا الابتعاد رغم ضآلته إلا أن الإزاحات الضئيلة الناتجة عنه تراكمت عبر السنين حتى صار القمر فى مداره الحالى(••)

ويعتقد العلماء أن هذه الظاهرة وعوامل أخرى، تؤثر على سرعة دوران الأرض حول نفسها، مما سيؤثر بدوره على اختلال توازن القمر فى مداره فى المستقبل؛ لأن زيادة سرعة دورانه حول نفسه، أو حول الأرض ستؤدى حتما إلى انشقاق القمر، كما يتفتت الشىء عندما يوضع فى خلاط كهربائى يدور بسرعة. أو عندما تختل الجاذبية على نصفيه، حينئذ سينشق القمر كما توقع الفلكيان جون براندت، وستيفى ماران فى كتابهما (آفاق جديدة فى علم الفلك).

وربما يكون هذا الانشقاق للقمر فى المستقبل تفسيرا لآية سورة القمر ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾

(•) راجع (وجود النبى محمد ﷺ) فى هذه الموسوعة الجزء الأول ص ٤٨.

(••) انشقاق القمر فى المستقبل: المعارف الكونية بين العلم والقرآن للدكتور منصور حسب النبى.

فالقمر انشق فى زمن رسول الله ﷺ فى مكة، وسينشق مستقبلا أيضا بالقرب من قيام الساعة.

وجدير بالذكر أن بالقمر حاليا أخاديد وشقوقا يبلغ طولها مئات الأميال، وعرضها نحو الكيلومتر، ولا ندرى مقدار عمقها. وتم تصويرها من المركبات الفضائية.. فهل هذه الشقوق أو الصدوع الموجودة فى القمر الآن ستمتد نحو مركزه لتشقه نصفين؟!.. ربما يحدث هذا مستقبلا وتكون من علامات قيام الساعة.. ولو حدث هذا تصديقا للقرآن العظيم فإن الكفار حينئذ لن يصدقوا ولن يؤمنوا كما لم يصدق ولم يؤمن مشركو قريش عندما انشق القمر فى عهد رسول الله ﷺ فى مكة.

حقائق فلكية تؤكد استعداد القمر للانشقاق.. قديما ومستقبلا:

حول كواكب المجموعة الشمسية الآن يدور واحد وستون قمرا.. وربما تكتشف فى المستقبل أقمار أخرى.. وسنتحدث عن أعجب هذه الأقمار:

من أقمار المشترى السبعة عشر قمران هما: إيروبا Eropa وقمر أيو Io. قمر إيروبا فى حجم وكثافة قمر الأرض، وتغطيه قشرة رقيقة من الجليد وسطحه أملس، قليل الحفر والفجوات. ويدور هذا القمر حول كوكب المشترى مرة واحدة كل ٨٤ ساعة.

أما قمر أيو، فيدور حول كوكب المشترى أسرع من دوران قمر إيروبا. فقمر أيو يدور دورة كاملة حول كوكب المشترى مرة كل ٤٢ ساعة.. لذلك يتلاقى كلٌ من القمرين أيو، وإيروبا أثناء دورانهما حول الكوكب.. وتحدث ظاهرة فلكية عجيبة جدًا أنهما إذا تلاقيا ينجذبان لبعضهما البعض فترة من الوقت ويفترقان ويأخذ كل منهما طريقه فى فلكه حول الكوكب، وكأنهما صديقان يتقابلان ويتعانقان، ثم يفترقان.

وقمر أيو له لون برتقالى عجيب، نظرا لغازات تنطلق من سطحه مكونة من الهيدروجين والكبريت.. وهذا سبب الهالة الخضراء التى تحيط بذلك القمر.

ولاحظ العلماء أن القمرين أيو وإيروبا أثناء انجذابهما إلى بعضهما البعض تحدث شقوق بسطح القمر أيو .. ومن خلال هذه الشقوق تندفع كميات كبيرة من الكبريت السائل إلى سطح القمر.. وتسيل عليه.

ومن أعجب أقمار كواكب المجموعة الشمسية أيضًا قمر يدور حول الكوكب زحل اسمه (القمر ميماس mimas) وهو قمر جليدى، يدور قريبا جدا من كوكب زحل وبه حفرة هائلة على سطحه، أما الوجه الآخر لقمر ميماس، فهو مغطى بآلاف الحفر والفجوات ويقول العلماء إن شقوقًا عميقة تكاد تشقه شقا، إن لم تكن قد شقته مرات عديدة من قبل، يلتئم بعد أن ينشق.. ويوجد قمر آخر لكوكب زحل يسمى قمر ديونى، وبه شقوق عميقة جدا، لا مثيل لها فى الأقمار الأخرى، وتخرج منها غازات مثل غاز الميثين.. ولاحظ العلماء أن ذلك القمر ينشق نصفين، ثم يلتئم ثانية.. كل عدد من الشهور.. ويقول العلماء إنه قد ينشق فى المستقبل، ويتفتت ويصير جزءًا من هالة كوكب زحل، ويزيدها حجما.. وهكذا نجد فى أقمار زحل والمشترى أقمارا تنشق ثم تلتئم.. من المحتمل جدا أن يكون قمر الأرض كذلك.. ينشق نصفين ثم يلتئم.. وينشق ويلتئم وهكذا.. لقد انشق فى عهد رسول الله ﷺ مرتين وشاهدوه فى مكة ثم التأم وسوف ينشق مستقبلا ثم يلتئم.. أو يتفتت وينتهى.. كل ذلك فى علم الله عز وجل إلا أن كل ما شهدناه فى قمر الأرض وأقمار زحل والمشترى هو من بعض المعانى فى قول الله عز وجل: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ إن للآية الكريمة أكثر من وجه من وجوه العلم.. وكلها وجوه صحيحة.

٣ ـ علاقة الزمن بالشمس والقمر

أخرج الإمام مالك فى الموطأ عن يحيى بن سعيد أن رسول الله ﷺ كان يدعو ربه يقول: «**اللهم فالق الإصباح، وجاعل الليل سكنا، والشمس والقمر حسبانا. اقض عنى الدين، وأغننى من الفقر، وأمتعنى بسمعى وبصرى وقوتى فى سبيلك**».

وفى كتاب النسائى والترمذى أضاف «**واجعله الوارث منى**».

— — — — — — — —

يحدث تعاقب الليل والنهار على سطح الأرض بسبب دوران الأرض حول محورها أمام الشمس مرة واحدة كل ٢٤ ساعة. ويحدث تعاقب الفصول، أثناء طواف الأرض حول الشمس مرة واحدة كل عام. وتحدث الشهور القمرية بسبب دوران القمر حول الأرض وتحدث كل هذه الحركات الفلكية فى بالغ الدقة والإحكام مما يدل على طلاقة قدرة الله تعالى وحكمته.

فالق الإصباح: هو صفة لله تعالى. والمعنى الله فالق الصبح كل يوم، أى يشق الضياء عن الظلام، فيختفى ظلام الليل، ويبدأ ضوء النهار. إذن فمعنى الإصباح أن الله تعالى فالق ظلام الليل، بضوء النهار.

وجاعل الليل سكنا: أى جاعل الليل وقتا للراحة والسكن، وجعل النهار وقتا للسعى للحصول على الرزق، والعمل والكسب والنشاط.. ولا غنى للإنسان عن الراحة ليلا بعد الجهد والتعب نهارا. وهذا من رحمة الله بعباده.. وكل المخلوقات الحية، تسكن ليلا وتنشط نهارا، إلا أن بعضها يعمل ليلا ويسكن نهارا.. ونقرأ قول الله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنعام ١٣).

ولماذا ذكر السكن ليلا ولم يذكر الحركة نهارا؟ لأن السكون يدل على الحركة فالسكون فى الليل، يدل على الحركة فى النهار.. ولأن السكون نعمة أجل وأكبر من نعمة الحركة، لأن السكون فيه السكن والراحة والسبات، والحركة ليست كذلك. والسكون أعم من الحركة.. وهو الأصل.. ففى بدء الخلق، قبل أى حركة من الحركات، كان السكون. ولو كانت الحركة هى الأصل لذكرها القرآن والحديث النبوى.

والشمس والقمر حسبانا: فالله تعالى قدر حركة الشمس والقمر بحساب معين. كما قال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ (الرحمن ٥).

وتعلم الإنسان عدد السنين والحساب، ومقاييس الزمن منذ العصور القديمة.

وكان أول ما استخدم من سبل فى ذلك، ظواهر طبيعية تتكرر بانتظام مثل تعاقب الليل والنهار، وأشكال القمر، وتعاقب الفصول.. وبذلك عرف السنة والشهر واليوم.

وظهر الاختلاف فى تعريف السنة، وكان الاختلاف بسبب تعدد طرق قياسها عند الشعوب المختلفة. وعرف الإنسان السنة الشمسية، والسنة القمرية والسنة النجمية التى استخدمها الكهنة فى عصر الفراعنة فى مصر القديمة.. وهناك أكثر من تقويم للسنين.

والسنة القمرية هى المدة التى فيها يكمل القمر دورته الشهرية حول الأرض اثنتى عشرة مرة، وحسبوا مدة السنة القمرية فوجدوها ٣٥٤,٣٦٦ يوم.

ولما أراد المسلمون عمل تقويم إسلامى فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جعله تقويما قمريا يبدأ بالهجرة.. فهو تقويم هجرى من اثنى عشر شهرا تبدأ بشهر محرم وتنتهى بشهر ذى الحجة.. وهذه الأشهر هى المحرم. صفر. ربيع أول. ربيع ثان. جمادى الأولى. جمادى الثانية. رجب. شعبان. رمضان. شوال. ذو القعدة. ذو الحجة

وطلوع الهلال يحدد أول الشهر فى التقويم الهجرى.

أما السنة الشمسية، فهى المدة التى تكمل فيها الأرض طوافها حول الشمس، لكى تعود إلى الوضع الذى كانت عليه فى السنة السابقة.

والسنة الشمسية= ٣٦٥,٢٤٢ يوم بدلا من الاعتقاد قديما وكان ٣٦٥, ٢٥٠ يوم؛ أى بفارق قدره ١١ دقيقة فى السنة.

أما السنة النجمية = ٣٦٥,٢٥٦٣٦ يوم.

والسنة الميلادية تبدأ بميلاد النبى عيسى عليه السلام وهى اثنا عشر شهرا تبدأ بشهر يناير، وتنتهى بشهر ديسمبر.

المناطق الزمنية على سطح الأرض:(*)

تدور الأرض حول محورها أمام الشمس مرة واحدة كل يوم. وبذلك يظل نصف منها يضىء بضوء الشمس، بينما يظل النصف الآخر البعيد عن الشمس مظلما بظلام الليل. وحقيقة أخرى: أن المناطق التى تتعرض لضوء الشمس تتغير، وبالتالى تتغير المناطق المظلمة التى لا تواجه الشمس، بمضى الوقت وباستمرار دوران الأرض حول محورها أمام الشمس. وعندما ينتصف النهار فى مكان ما على خط طول معين، يكون المكان المقابل له تماما على الجانب الآخر، أو على خط الطول المقابل للكرة الأرضية فى منتصف الليل.

والزمن يجرى على سطح الأرض من خط طول إلى خط طول آخر؛ لذلك تسبق الساعات التى فى شرق أى مكان معين مثيلاتها من الساعات التى تقع فى غربه.

من أجل ذلك قسم العلماء سطح الأرض إلى ٢٤ منطقة زمنية، بعدد ساعات اليوم، كما تحددها خطوط الطول. وعندما نقسم سطح الأرض كله على عدد المناطق الزمنية، نجد أن كل منطقة يخصها١٥ درجة من خطوط الطول، هى خارج قسمة ٣٦٠ درجة على ٢٤ ساعة. ومعنى هذا أن هناك إزاحة قدرها ساعة كاملة لكل ١٥ درجة من درجات الطول. وجعلوا خط جرينتش هو نقطة الابتداء أو نقطة الصفر. والمسافر بالطائرة من الشرق إلى الغرب عليه أن يؤخر ساعته من وقت لآخر. أما المسافر بالطائرة من الغرب إلى الشرق فإن عليه أن يقدم ساعته من وقت لآخر .

وعندما تكون أوربا فى منتصف الليل حين انتهى يوم الجمعة مثلا، ويبدأ يوم السبت، تكون أمريكا لا تزال فى يوم الجمعة. بينما شرق آسيا يكون قد بدأ يوم السبت فيها. وعلى ذلك فيوم الجمعة فى نصف الأرض، يقابله يوم السبت فى النصف الآخر.

(*) الله والكون: للدكتور جمال الفندى.

التوقيت الشتوى والتوقيت الصيفى:

يميل محور دوران الأرض بمقدار ٢٣,٥ درجة على مستوى مسار الأرض حول الشمس، الذى تقطعه الأرض فى سنة كاملة أى نحو $\frac{١}{٤}$ ٣٦٥ يوم.

ونظرا لميل محور دوران الأرض حول نفسها بهذا القدر، لا تتعامد أشعة الشمس فعلا على خط الاستواء إلا فى ٢١ مارس، ثم ٢٢ سبتمبر، وعندها يتساوى طول الليل والنهار فى كل الأرض. وبعد ٢١ مارس تبدأ الشمس هجرتها الظاهرية نحو الشمال، فيزداد طول النهار على طول الليل فى نصف الكرة الشمالى، حتى تصل الشمس مدار السرطان - (خط عرض ٥, ٢٣ شمال خط الاستواء)، وهو أقصى مدى لهجرة الشمس الظاهرية نحو الشمال، ويكون ذلك فى ٢١ يونيو، حيث يتعامد الإشعاع الشمسى على مدار السرطان، ومن ثمَّ تنتقل الشمس ظاهريا صوب الجنوب، حتى تتعامد من جديد على خط الاستواء فى ٢٢ سبتمبر .. ثم تستمر فى الحركة جنوبا حتى تبلغ مدار الجدى- أى خط عرض ٢٣,٥ درجة جنوب خط الاستواء، فى ٢١ ديسمبر. من ثم ترجع مرة أخرى.. وهكذا.

وتبعا لهذا يتغير طول كل من الليل والنهار من فصل إلى فصل، فالنهار فى القاهرة نحو ١٤ ساعة فى الصيف، ونحو ١٠ ساعات فقط فى الشتاء، وعند خط ٤٠ درجة يصل طول النهار ١٥ ساعة صيفا، وعند خط عرض ٦٦ يصل طول النهار صيفا نحو ثلاثة شهور، وعند الدائرة القطبية يصل طول النهار صيفا نحو ستة شهور. والعكس صحيح فى طول الليل.

وينعدم الإشعاع الشمسى عند القطب الشمالى خلال الفترة من ٢٢ سبتمبر إلى ٢١ مارس ولا تشرق الشمس هناك خلال تلك الفترة من الزمن، وتظهر أشعة الشمس فى المدة بين ٢١ مارس و ٢٢ سبتمبر، وتكون الشمس منخفضة قرب الأفق، لذلك لا تسبب أى ارتفاع فى درجة الحرارة التى تكون تحت درجة التجمد، وعند منطقة القطب الجنوبى يحدث عكس ما يحدث فى منطقة القطب الشمالى.

فلك الأرض حول الشمس:

لا تتبع الأرض فى طوافها حول الشمس دائرة كاملة، بل إنها تتحرك فى فلك على هيئة دائرة مستطيلة. أو ما يسمى علميا «القطع الناقص». من أجل ذلك فإن المسافة بين الأرض والشمس تتغير بصفة مستمرة، فتكون أثناء شهر يناير (قلب الشتاء عندنا) على بعد ١٤٣ مليون كيلو متر. وتكون أثناء يوليو (قلب الصيف عندنا) نحو ١٥٢ مليون كيلو متر أى بزيادة قدرها نحو خمسة ملايين كيلو متر. أى إن الأرض تكون أبعد عن الشمس فى الصيف، وأقرب منها فى الشتاء، إلا أن درجة الحرارة فى نصف الكرة الشمالى أثناء الشتاء تكون أقل بسبب عظم ميل أشعة الشمس.



الزمــن فى الأرض والسمـــاء

١- السنة اثنا عشر شهرًا.

٢- تقارب الزمان قرب يوم القيامة.

٣- الزمن فى العالم الآخر.

٤- عالم الغيب والشهادة.

١ ـ السنة اثنا عشر شهرًا

■ أخرج البخارى عن أيوب عن محمد بن سيرين عن ابن أبى بكرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض. السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حُرُم ثلاثة متواليات – ذو القعدة وذو الحجة ومحرم – ورجب مضر الذى بين جُمادى وشعبان»**.

وجاء فى تفسير شرح صحيح البخارى أن هذا الحديث النبوى الشريف صدر من النبى ﷺ فى شهر مارس، وهو آذار، وهو برمهات بالقبطية، وفيه يستوى الليل والنهار عند حلول الشمس برج الحمل.

– وأخرج الإمام أحمد عن أبى حرة الرقاشى عن عمه قال: كنت آخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ فى أوسط أيام التشريق إذ ودعته الناس فقال: **«يأيها الناس: أتدرون فى أى شهر أنتم؟ وفى أى يوم أنتم؟ وفى أى بلد أنتم؟. قالوا: فى يوم حرام، وشهر حرام، وبلد حرام». قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا إلى يوم تلقونه». إلى قوله ﷺ: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض» وقرأ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾.**

— — — — — — — —

اكتشف العلماء أن بدء الزمن كان مع بدء خلق السماوات والأرض، فما إن حدث الانفجار الكونى العظيم Big Bang ، حتى بدأت الحركة.. وما إن بدأت الحركة حتى بدأ الزمن؛ لأنه لا حركة بدون زمن، ولا زمن بدون حركة. وأثبت أنشتاين أن الزمن هو البُعد الرابع للكون (وكان هذا الاكتشاف العلمى فى القرن العشرين).

وقدر الله تعالى أن تكون السنة اثنى عشر شهرا، فى أى تقويم للزمن. قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ (التوبة ٣٦).

قوله تعالى: ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ أى فى قضاء الله وعلمه.

وقوله تعالى: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أى فى اللوح المحفوظ.. ولماذا قال الله تعالى ذلك بعد أن قال: ﴿عِندَ اللَّهِ﴾؟

ذلك لأن كثيرا من الحقائق العلمية توصف بأنها عند الله،ولا توصف بأنها «فى كتاب الله»: مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ (لقمان ٣٤).

قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ يوضح أن قضاء الله تعالى فى خلق الزمن وتقسيمه وتقويمه كان قبل ذلك، وأن الله تعالى قضى أن تكون عدة الشهور فى السنة اثنى عشر شهرًا، وسماها بأسمائها وترتيبها، يوم خلق السماوات والأرض، وأنزل ذلك على أنبيائه، فى كتبه المنزلة عليهم. وحكمها باقٍ على ما كانت عليه، بالرغم من تغيير المشركين لأسمائها.

والآية الكريمة: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾

تدل على أن أحكام العبادات، إنما تكون بناءً على الشهور والسنين، التى هى فى قضاء الله وليست الشهور التى وصفتها الأمم الأخرى مثل العجم والروم والقبط والسنة فى التقويم الإسلامى اثنا عشر شهرًا قمريا.. ودليل ذلك قول الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (يونس ٥).

فجعل تقدير القمر بالمنازل علةً للسنين والحساب. وذلك صحيح؛ لأن حساب السنة معلق بحركة القمر. وقال تعالى أيضا: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (البقرة ١٨٩).

والسنة القمرية أقل من السنة الشمسية بأحد عشر يوما. وبذلك تنتقل الشهور القمرية من فصل إلى فصل فى التقويم الشمسى.. فالسنة الشمسية $\frac{١}{٤}$ ٣٦٥ يوم، والسنة القمرية $\frac{١}{٤}$ ٣٥٤ يوم.

وفسر الحديث النبوى الشريف الذى أخرجه البخارى عن ابن أبى بكرة الآية الكريمة، وزاد عليها بوصف هيئة الزمن، وشكله الهندسى، وحركته، فالزمن استدار باستدارة المادة والحركة فى بدء الخلق؛ لأن الزمن مرتبط بالمادة والحركة. فلا زمن بدون مادة وحركة، ولا حركة بدون مادة وزمن. والمادة إذا لم تكن فى حركة، فإنها تكون فى حالة اللازمن، وهذا ما كان حاصلا قبل الانفجار الكونى العظيم فى السماء الدخانية الأولى. وذكر التقويمان القمرى والشمسى فى آية قرآنية واحدة فى قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاَثَمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (الكهف ٢٥)، ففتية الكهف لبثوا فى كهفهم ثلاثمائةٍ من السنين بالتقويم الشمسى، الذى كانوا عليه، والذى يتساوى مع ثلاثمائة وتسع من السنين بالتقويم القمرى الذى كان عليه العرب المخاطبون بالقرآن ولحساب الفرق بين التقويم الهجرى والتقويم الميلادى(*)

فى كل ٣٠ سنة هجرية: (١) تمر ١٩ سنة هجرية بسيطة عدد أيامها ٣٥٤ يوما (بفارق قدره $\frac{١}{٤}$ ١١ يوم عن السنة الميلادية التى = ٣٦٥,٢٤٢ يوم)

(٢) تمر ١١ سنة هجرية كبيسة عدد أيام كل منها ٣٥٥ يوما (بفارق $\frac{١}{٤}$ ١٠ يوم عن السنة الميلادية)

وبذلك يكون مجموع فروق الأيام بين التقويم الهجرى كل ٣٠ سنة =

(١٩ × $\frac{١}{٤}$ ١١) + (١١ × $\frac{١}{٤}$ ١٠) = ٣٢٦,٥ يوم

أى إن فروق الأيام كل ٣٠٠ سنة = ٣٢٦٥ يوما

أى إن كل ٣٠٠ سنة ميلادية تزيد على نظيرتها الهجرية ٣٢٦٥ يوما، أى ما يعادل ٩ سنوات

أى إن كل ٣٠٠ سنة ميلادية يقابلها ٣٠٩ سنوات هجرية ونجد ذلك فى قول الله عز وجل: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاَثَمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (الكهف ٢٥).

والقمر يدور حول الأرض فى ٢٧,٣٢ يوم.. بالنسبة لمن يعيش على سطح الأرض.

الشهر القمرى (من المحاق إلى المحاق) ٢٩,٥٣ يوم.. فما السبب فى هذا الفارق؟ السبب أن القمر يدور حول الأرض فى نفس الوقت الذى تدور فيه الأرض حول الشمس، ولذلك يتأخر وصول المحاق الثانى ٢,٢١ يوم كل شهر.

التقويم الزمنى:(*)

التقويم الزمنى معناه تقسيم الزمن إلى سنوات وإلى أشهر وأسابيع وأيام. وجاء ذكر التقويم الزمنى

(*) الله والكون: الدكتور محمد جمال الدين الفندى.

فى آية (سورة التوبة ٣٦). وفى الحديث النبوى الشريف الذى أخرجه الإمام البخارى عن ابن أبى بكرة.

ويختلف التقويم الزمنى باختلاف العقائد الدينية والحضارات ومرور العصور والأزمان.

وكانت أسماء الأيام عند العرب القدامى مختلفة عما هى فى العصر الإسلامى.

وكانت الأيام: (الأحد) وكان يسمى أوَّل، و(الإثنين) وكان يسمى أهون

و(الثلاثاء) وكان يسمى جُبار. و(الأربعاء) وكان يسمى دُبار

و(الخميس) وكان يسمى مؤنس و(الجمعة) وكان يسمى عروبة

و(السبت) وكان يسمى شبار.

ولما بعث رسول الله ﷺ ونزل القرآن الكريم تغيرت تلك الأسماء بأسمائها الحالية.

وجاء ذكر يوم الجمعة فى القرآن الكريم فى سورة الجمعة. وجاء ذكر يوم الجمعة فى حديث شريف أخرجه الأئمة البخارى ومسلم ومالك وأحمد وأصحاب السنن، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أهبط إلى الأرض، وفيه تاب الله عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة**».

وكان البابليون أول من ابتكر نظام تقسيم الساعة إلى ستين دقيقة.

وكان التقويم الزمنى فى كثير من العصور القديمة تقويما شمسيا، مثل مصر القديمة، وبابل، والإغريق. ففى مصر القديمة: لاحظوا أن وصول الفيضان إلى دلتا النيل، مقترن بشروق نجم الشعرى (يوم ١٩ يوليو) وحسبوا عدد الأيام بين شروقين متتاليين لنجم الشعرى، فوجدوها ٣٦٥ يوما، فقسموها إلى اثنى عشر شهرا. كل يوم ثلاثون يوما، والأيام الخمسة الباقية أضافوها إلى نهاية السنة.

واعتمدوا على الشمس، وكان ذلك طبيعيا؛ لأنهم كانوا يعبدون الشمس وسموها (رع).

التقويم القبطى:

وهو امتداد للتقويم الفرعونى. وكانت أسماء أشهره مشتقة من أسماء أعيادهم وآلهتهم:

١ – شهر توت: مشتق من اسم إلههم (تحوت).

٢ – شهر بابه : نسبة إلى (آبى) أى طيبة.

٣ – شهر هاتور : نسبة إلى إلههم (حاتحور) إله السماء فى عقيدتهم.

٤ – شهر كهيك : نسبة إلى أحد الأعياد عندهم.

٥ – شهر طوبة: كلمة فرعونية تعنى الحنطة.

٦ – شهر أمشير : معناها إله الزوابع.

٧ – شهر برمهات: ربما يكون مشتقا من الفرعون أمينمهات.

٨ – شهر برمودة: تعنى إله الحصاد.

٩ – شهر بشنس: هو اسم أحد آلهتهم.

١٠– شهر بؤونة: نسبة إلى (بى آنت) وهو وادى الملوك.

١١ – شهر أبيب: مشتق من اسم الإله بيبى.

١٢ – شهر مسرى: أى (مِسْ رَعْ) ومعناه: ولادة الإله رع.

التقويم البابلى:

ساهم البابليون القدامى فى وضع الأسس الأولى فى تقسيم الزمن إلى اثنى عشر شهرًا قمريا. وعرفوا الأسبوع. وهم أول من اكتشف البروج، وهى اثنا عشر برجا. واستخدموا الساعات المائية ليلا. والساعات الشمسية نهارًا.

وهم أول من قسم السماء إلى ٣٦٠ درجة. وهو التقسيم الذى مازال معمولا به حتى اليوم.

التقويم الميلادى:

يرجع إلى التقويم الرومانى الذى وضعه بومبليوس، ثانى ملوك روما إلى القرن الثامن قبل الميلاد وجعل فيه شهر فبراير ٢٩ يوما يضاف إليه يوم كل أربع سنوات يكمل ثلاثين يوما. وبعد ٦٠٠ عام أى سنة ٤٦م حينما حكم أوكتافيوس روما، ومنح لقب (أوغسطس إمبراطور روما) أراد أن يجعل له شهرًا كما جعل عمه يوليوس قيصر لنفسه شهرا من قبل، وسماه أوغسطس، وجعله واحدا وثلاثين يوما، كشهر يوليو سواء بسواء وأخذ اليوم الزائد من شهر فبراير، فصار فبراير ٢٨ يوما، يزاد يوما كل أربع سنوات ويصير ٢٩ يوما.

التقويم السريانى:

تتكون السنة من ١٢ شهرًا وهى:

١ – **كانون ثانى**: يناير ٣١ يومًا.

٢ – **شباط**: فبراير ٢٨ – ٢٩ يومًا

٣ – **آذار**: مارس ٣١ يومًا.

٤ – **نيسان**: إبريل ٣٠ يومًا.

٥ – **أيار**: مايو ٣١ يومًا.

٦ – **حزيران**: يونيو ٣٠ يومًا .

٧ – **تموز**: يوليو ٣١ يومًا.

٨ – **آب**: أغسطس ٣١ يومًا.

٩ – **أيلول**: سبتمبر ٣٠ يومًا.

١٠ – **تشرين أول**: أكتوبر ٣١ يومًا.

١١ – **تشرين ثانى**: نوفمبر ٣٠ يومًا.

١٢ – **كانون أول**: ديسمبر ٣١ يومًا.

التقويم اليهودى:

هو بحسب الشهور القمرية، والسنة اثنا عشر شهرًا منها:

تشرى . مرحشوان . كسلا . طابات . شباط . آزار . نيسان . آيار . سيوان . تموز . أيلول.

وتتفق أسماء بعض الشهور فى التقويم اليهودى مع بعض أسماء الشهور فى التقويم السريانى ومع ذلك تختلف فى عدد الأيام وتختلف فى الترتيب.

التقويم الفارسى:

هو بحسب الشهور القمرية. والسنة اثنا عشر شهرًا أيضا منها:

افرودين ماه . أردى مشت ماه . حرر داد ماه . تيرماه . يرماه مهرماه . أبان ماه

أدرماه . دى ماه . بهمن ماه . اسفندار ماه .

التقويم الهجرى:

بدأ التقويم الهجرى فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه. واتخذ من هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة بداية التقويم الإسلامى. وكانت هجرة الرسول ﷺ عام ٦٢٢م.

وتنقسم السنة الهجرية إلى اثنى عشر شهرًا، يبدأ كل شهر بمطلع الهلال. وبعض الأشهر ٢٩ يوما وبعضها الآخر ٣٠ يوما. والشهور الهجرية هى:

المحرم . صفر . ربيع أول . ربيع ثانى . جمادى الأولى . جمادى الآخرة

رجب . شعبان . رمضان . شوال . ذو القعدة . ذو الحجة.

والسنة الهجرية أقصر من السنة الميلادية بأحد عشر يوما تقريبا. وقد تم وضع جدول تفصيلى لمعرفة كل تقويم يقابل التقويم الآخر. وذلك باستخدام المعادلة الرياضية الآتية:

$$\text{السنة الميلادية} = \text{الهجرية} + ٦٢٢ - \frac{\text{الهجرية}}{٣٣}$$

فإذا أردنا أن نعرف السنة الميلادية لسنه ٣٣٠ هـ مثلاً فهى:

$$٣٣٠ + ٦٢٢ - \frac{٣٣٠}{٣٣} = ٩٥٢ - ١٠ = ٩٤٢\text{م}$$

$$\text{السنة الهجرية} = \text{الميلادية} - ٦٢٢ + \frac{\text{الميلادية} - ٦٢٢}{٣٣}$$

فإذا أردنا معرفة السنة الهجرية لسنة ٢٠٠٣م فهى :

$$٢٠٠٣ - ٦٢٢ + \frac{٢٠٠٣ - ٦٢٢}{٣٣} = ١٣٨١ + \frac{٦٣٨١}{٣٣}$$

$$= ١٤٢٣ \text{ تقريبا}$$

الزمن فى القرآن

١ـ اليوم:

■ ذكر القرآن اليوم بمعنى النهار فقط الذى يبدأ من شروق الشمس وينتهى بغروبها، فقال فى عاد قوم هود الذين أهلكوا بالريح: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ (الحاقة ٧) .

■ وذكر القرآن اليوم بمعنى الفترة الزمنية التى تبدأ من شروق الشمس وتنتهى عند بداية الشروق التالى أى فترة ٢٤ ساعة اصطلاحا. وتحدد هذه الفترة فلكيا بزمن دوران الأرض حول محورها مرة

واحدة أمام الشمس. فقال فى ثمود قوم صالح حين ساق لهم نذيره الأخير: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ (هود ٦٥).

هذا بالنسبة لليوم الأرضى، أما اليوم السماوى أو الكونى فله حسابات أخرى.. يقول الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (السجدة ٥) ويقول: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج ٤).

■ وذكر القرآن اليوم بمعنى فترة زمنية طويلة جدًا تمت فيها أحداث عظام، مثل قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (ق ٣٨) بل قد جمعت الأيام الستة فى يوم واحد.. قال عنه الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (التوبة ٣٦).

واليوم هنا توقيت يربط الحدث بالزمان.

هذا وقد ورد ذكر اليوم فى القرآن - مفردًا نكرة أو معرفة - ما مجموعه ٣٦٥ مرة.

٢ - الشهر:

ورد ذكر الشهر فى القرآن - مفردًا نكرة أو معرفة - ما مجموعه ١٢ مرة.

٣ - السنة:

ورد ذكر السنة فى القرآن - مفردا نكرة أو معرفة - ما مجموعه ٧ مرات.

العام:

ورد ذكر العام فى القرآن ٧ مرات.

ملخص تردد وحدات الزمن فى القرآن

الوحدة	اليوم	الشهر	السنة	العام
التردد	٣٦٥	١٢	٧	٧

وبهذا اتفق ذكر وحدات الزمن فى القرآن مع استخدامها عمليا فى حياة الناس. فلقد نص القرآن على أن السنة اثنا عشر شهرًا فى قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.

وتردد ذكر الشهر فى القرآن ١٢ مرة، فتساوى العددان. كما تردد ذكر اليوم فى القرآن ٣٦٥ مرة وهو يقارب طول السنة الشمسية. كما تساوى ذكر السنة والعام -٧ مرات لكل منهما - وهو ما يتفق لغويا حيث السنة هى العام.

٢ ـ تقارب الزمان قرب قيام الساعة

■ أخرج الترمذى عن عبد الله بن عمر العُمَرى، عن سعد بن سعيد الأنصارى عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنةُ كالشهر، والشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضرمة بالنار».**

■ وفى رواية الإمام أحمد عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، أن النبى ﷺ قال: **«... السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كاضطرام السعفة فى النار»..**

أخرج الإمام أحمد فى المسند، والهيثمى فى مجمع الزوائد، وأبو يعلى أن النبى محمدًا ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السعفة».**

وأخرج الشيخان والإمام أحمد عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«يتقارب الزمان، ويقبض العلم، وتظهر الفتن ويكثر الهرج.. قالوا وما الهرج قال: القتل».**

وأخرج الإمام مسلم عن الزهرى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«يتقارب الزمان ويقبض العلم».**

وفى رواية أخرى قال ﷺ: **«يتقارب الزمان وينقص العلم».**



وطلع علينا العلماء حديثا بحقائق علمية كونية مدهشة.. وهى أن الشمس.. شأنها شأن معظم النجوم فى الكون.. ستمر بعد ملايين السنين بحالة التكدس الذرى وبذلك تتحول فى نهاية أمرها إلى شمس قزمية.. وبذلك تقل فى الحجم جدا وتظل كتلتها كما هى .. وبالتالى تزداد كثافتها جدا.. وتشتد جاذبيتها إلى درجة هائلة جدا.. فتقترب الكواكب إليها.. لأنها ستجذبها إليها.. وهكذا النجوم القزمية درجة جذبها شديدة للغاية.. وحدث أن اقترب نجم قزمى صغير فى حجم أرضنا من نجم الشعرى وهو أكبر من شمسنا سبعين ضعفا.. فترنح نجم الشعرى من عنف جاذبية النجم القزمى..

وشمسنا ستكون قرب نهايتها.. نجما عملاقا شديد الجاذبية.. يجذب الأرض نحوه فتقرب الأرض من الشمس.. فيتسارع دورانها حول الشمس.. فكلما قرب الكوكب من الشمس ازدادت سرعة دورانه.. فعطارد أقرب الكواكب إلى الشمس لذلك يدور دورة كاملة حول الشمس كل ثلاثة شهور وبلوتو أبعد الكواكب عن الشمس لذلك يدور دورة كاملة حول الشمس كل ٢٥٠ سنة..

فعندما تنجذب الأرض فى المستقبل، قرب قيام الساعة، فى زمن حدده الله عز وجل. وتقرب من الشمس جدا، فسوف تتسارع فى دورانها حول الشمس، وتصير السنة على الأرض كالشهر، ويصير الشهر كالأسبوع، ويصير الأسبوع كاليوم ويصير اليوم كالدقيقة.. واقتراب الأرض إلى الشمس يحرق كل ما على سطح الأرض.. ويصير كل ما عليها صعيدًا جرزا.. وبعد ذلك تنفجر الشمس وكواكبها جميعا، وتصير فى الفضاء الكونى كالعهن المنفوش..

وتدهشنا هذه الحقائق العلمية.. إلا أننا نؤمن بصحتها لأنها وافقت ما جاء بالوحى الإلهى فى أحاديث رسول الله ﷺ.. فلقد أخبرنا رسول الله ﷺ بهذه الحقائق فى حديث أخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد والإمام أحمد فى مسنده أن النبى ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكونَ السنة كالشهر ويكونَ الشهرُ كالجمعة وتكونَ الجمعةُ كاليوم ويكونَ اليومُ كالساعة وتكونَ الساعة كاحتراق السعفة**» وصدق رسول الله ﷺ.. واحتراق السعفة يستغرق دقيقة ولم يقل الحديث الشريف (وتكون الساعة كالدقيقة، وأن كل ما على الأرض سيحترق حينئذ) ولكنه جاء بحدثٍ يستغرق دقيقة، وفى نفس الوقت يصور ما سيحدث على الأرض حينئذ من احتراق. فقال الحديث النبوى (فتكون الساعة كاحتراق السعفة).. فجاء الحديث الشريف بتشبيه صادق يصور تسارع الزمان، ويصور ما سيحدث على ظهر الأرض فى ذلك الوقت.

.. وهذا أسلوب يعجز أن يأتى بمثله البشر.

وتقارب الزمن كعلامة من علامات الساعة، جاء فى حديث نبوى شريف آخر رواه الشيخان، قال رسول الله ﷺ فيه: «**يتقارب الزمان ويُقبض العلم وتظهر الفتن ويكثر الهرج ......**» (الحديث الشريف)

وهناك أمر آخر.... فإننا نعلم أن الشمس تشرق من الشرق وتغرب من الغرب ولكننا نقرأ حديثا رواه مسلم، فى صحيحه عن حذيفة قال: طلع النبى ﷺ، ونحن نتذاكر فقال: ما تُذاكرون قال: قلنا: نذكر الساعة فقال ﷺ: «**فإنها لا تقوم حتى تكونَ قبلها عَشْرُ آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها..**»... إلخ نقرأ هذا الحديث وندهش كيف تطلع الشمس من مغربها قبيل قيام الساعة؟

نعود إلى المعادلات الرياضية الحديثة التى توصل إليها أنشتاين، فوجد أن الطول أثناء الحركة = الطول الأصلى الثابت مضروبا فى $\sqrt{\frac{\text{١ – مربع السرعة}}{\text{مربع سرعة الضوء}}}$

وتوصل إلى أن سرعة أى جرم لو وصلت فى الفضاء إلى $\frac{٩}{١٠}$ من سرعة الضوء لقل الحجم وقل الطول إلى المربع. وإذا زادت السرعة إلى سرعة الضوء فإن الطول يصير صفرا، ويصبح زمنه صفرًا كذلك. أى يتوقف زمنه. لذلك قال أنشتاين إنه يستحيل على أى جسم فى الكون أن يتحرك بسرعة الضوء.

فالزمن يتباطأ مع السرعة، حتى إذا وصلت السرعة إلى سرعة الضوء صار الزمن صفرًا.

وإذا افترضنا جدلا أن شيئا ما سار بسرعة أسرع من الضوء – وهذا فرض نظرى. ماذا سيكون عليه زمنه؟... تبعا لتلك المعادلات الرياضية نجد أن الزمن حينئذ يعود إلى الوراء.... لذلك تشرق الشمس من مغربها.

ويقولون هذه افتراضات مستحيلة فى عالمنا.. ولكن من أدرانا أن هناك قوانين كونية أخرى لا نعرفها سيقدرها الله عز وجل فى آخر الزمان.. وهذا هو الفهم العلمى لحديث رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعه حتى تطلع الشمس من مغربها...**» إلخ.

وهكذا أحاديث رسول الله ﷺ هى الحق والصدق واليقين.. قالها بوحى من الله تبارك وتعالى لم يدرك الناس معناها العلمى إلا فى عصرنا الحاضر، عندما اكتشف علم الفيزياء الكونية المعادلات الرياضية التى ساعدتنا على أن نفهم بعض حقائق العلم فى أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ عن الزمن، وعما سيحدث عند قيام الساعة.. وتستمر مسيرة العلم.. وتظل كلمات الوحى الإلهى فى القرآن والسنة رسالة متجددة لبنى البشر ونورًا خالدًا وعلمًا فريدًا ونهجًا قويمًا.. فى كل عصر وزمان ومكان.

٣ ـ الزمن فى العالم الآخر

■ أخرج الإمام مسلم عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن الأعراب سألوا رسول الله ﷺ عن الساعة. فنظر إلى أحدث إنسان منهم (أى أصغرهم عمرًا) وقال:

«إن يعش هذا لا يدركه الهرم، قامت عليكم ساعتكم».

■ أخرج الإمام أحمد عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثلى ومثل الساعة كهاتين»** وفرّق بين أصبعيه السبابة والوسطى.

■ أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«بعثت أنا والساعة جميعا. إن كادت لتسبقنى»**

■ أخرج الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال:

لما نزل قول الله عز وجل: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قيل يارسول الله: ما أطول ذلك اليوم. فقال ﷺ **«والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن، حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا».**

■ أخرج الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: لما نزل قوله تعالى ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قيل يارسول الله، يومٌ كان مقداره خمسين ألف سنة؟!.. ما أطول هذا اليوم. فقال النبى ﷺ: **«والذى نفسى بيده، إنه ليخفف على المؤمن، حتى يكون أخفَّ عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا».**

■ أخرج مسلم فى صحيحه عن ثابت، عن أبى رافع، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: **«من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه».**

■ وأخرج مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة أن النبى ﷺ قال (عن أهل الجنة):

«ينادى منادٍ: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا (أى فى الجنة) وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبُوا فلا تهرموا أبدا. وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا».

فذلك قوله عز وجل ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف ٤٣).

– أخرج مسلم فى صحيحه عن عمر بن زيد عن أبيه عبد الله بن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، أُتى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار. ثم يذبح. ثم ينادى منادٍ: ياأهل الجنة لا موت، وياأهل النار لا موت. فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم»**

– أخرج مسلم عن صالح عن نافع عن عبد الله أن النبى ﷺ قال:

«يدخل أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار. ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت. ويا أهل النار لا موت. كل خالد فيما هو فيه».

وفى رواية أبى سعيد: (ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت. ويا أهل النار خلود فلا موت)

— — — — — — — —

الزمن فى العالم الآخر من الغيب، الذى لا نعلم عنه شيئا، إلا ما أخبرنا به القرآن والحديث النبوى.

فلا يوجد أى مرجع للعلم عن الغيبيات إلا القرآن العظيم والحديث النبوى الشريف.

.. ويوم الحشر ستكون المفاجأة الهائلة التى ستأخذ بألباب الناس، فيكتشفون أن حياتهم الدنيا كانت أقصر مما كانوا يظنون.. لقد كانت فى مجموعها ساعة أو بعض الساعة! وأنهم قضوها فى التعارف فيما بينهم. نجد ذلك فى قول الله عز وجل: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (يونس ٤٥) إنه تشبيه، ولكنه حق ويقين.. ولقد شبه رسول الله ﷺ زمن الإنسان وأجله فى الدنيا بساعة كما قال ﷺ:

«ما أنا والدنيا إلا كراكب راحلة في يوم صائف، استظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها» شبه الإنسان، وقد تحيزت ذاته الإنسانية فى جسد مادى، شبهه براكب راحلة.وشبه صعوبة الحياة التى يكابدها الإنسان ويعانى منها، شبهها بيوم صائف.

وشبه الدنيا بشجرة ظليلة.

وشبه أجل الإنسان فى الدنيا بساعة.

إن الناس فى حياتهم الدنيا، يعيشون فيها أجلا يتعارفون بينهم، ثم ينتقلون إلى الحياة الآخرة. ولكن كثيرا من الناس لا يتعارفون كما ينبغى أن يكون التعارف.. فقد تصارعوا فيما بينهم على حطام الدنيا الذى كان إلى زوال، إنه تشبيه ذكره القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف يمثل قصر الحياة الدنيا، وحقيقة العلاقات بين الناس فيها.

ومهما طال عمر الإنسان فى الدنيا أو قصر، فإنه فى حقيقته لم يكن شيئا.. فالأزمان جميعًا فى هذا الوجود إذا رددناها إلى الحق المطلق، كانت أصفارًا أو آحادًا متساوية. فنحن نقول إن أهل بابل وأهل مصر القديمة عاشوا منذ آلاف من السنين مضت، وإن النبى نوحا عاش منذ عشرين ألف سنة مضت، وإن الحرب العالمية الأولى قامت منذ نحو تسعين عاما.. كل هذه الأزمان تختلف فى حسابنا نحن للزمن.. ولكن كل هذه الأزمان أمام الله تعالى متساوية، لأن أمام المطلق يتساوى كل شىء، لا قريب ولا بعيد، ولا قديم ولا حديث ولا صغير ولا كبير.. الكل أمام المطلق سواء.. وكل الأزمان سواء.

ومن هذا المنطلق من الفهم العلمى، نفهم بعض المعانى فى قول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾ (النحل ٧٧).

فى العالم الآخر يتوقف الزمن.. ونكون هناك فى حالة اللازمن فنزل حديث رسول الله ﷺ عندما سألوه عن الساعة أشار إلى أصغرهم عمرًا وقال: **«إن يعش هذا لا يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم»**.. نفهم من الحديث الشريف أنه إذا عاش إنسان ولم يدركه الهرم، فإن هذا يعنى أن الزمن البيولوجى توقف داخل بدنه.. والزمن البيولوجى مرتبط بكل الأزمان الأخرى.. فدل هذا على أن ذلك الإنسان يعيش فى حالة «اللازمن».. وبهذا أوضح الحديث النبوى الشريف أن العالم الآخر لا زمن فيه.. كما نفهم نحن من قوانين الزمن.

وهذه حقيقة منطقية، لأن العالم الآخر عالم الخلود.. والخلود لا زمن فيه.

أما قوله ﷺ: «مَثَلى ومَثَلُ الساعة كهاتين» وفرّق بين أصبعيه السبابة والوسطى، فهو حديث شريف يشير إلى الزمن المتبقى فى الحياة الدنيا حتى تقوم الساعة.. وأن يوم الساعة قريب.. وهو حديث نبوى شريف يفسر قول الله عز وجل: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾(الأحزاب ٦٣)، أى فى غضون زمن قريب.

أما الحديث الشريف الذى أخرجه الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى لما نزل قول الله عز وجل: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج ٤) وقيل: يارسول الله ما أطول هذا اليوم فقال ﷺ: «والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا».

هذا الحديث النبوى الشريف، يدل على أن خمسين ألف سنة، فى حساب الزمن فى الدنيا، تتساوى مع دقائق معدودات فى حساب الزمن فى العالم الآخر.. ولا تتساوى خمسين ألف سنة مع دقائق معدودات إلا فى عالم لا زمن فيه.. ومن العسير علينا أن نتخيل عالما بلا زمن.. إلا أن القرآن العظيم أعطانا أمثلة رأيناها فى الدنيا، يمكن أن نستدل بها على العالم الآخر الذى لا زمن فيه. ومن ذلك ما قاله الله عز وجل:

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ النحل ٣٢؛ الوفاة: إخراج النفس من الجسم، والموت إخراج الروح منها.

فالملائكة الموكلون بقبض النفس الإنسانية وهم ملائكة الموت يقولون للذين يتوفونهم من الصالحين ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة ١١).

ونفهم من (آية النحل ١١) أن الإنسان ما إن تتوفاه الملائكة، حتى يجد نفسه وجها لوجه أمام آخرته، فى الجنة أو فى النار. الملائكة تقول للذين يتوفونهم:﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.. ولا تقول الملائكة: ادخلوا الجنة لأحد .. إلا تنفيذا لأمر الله عز وجل.. وكأن الله عز وجل حاسبهم وقضى أمره فيهم.. وأمر الملائكة بإبلاغهم.. كل ذلك حدث فى لا زمن.. فالملائكة إذ يتوفون الصالحين وهم لايزالون فى بيوتهم ولم يدفنوا فى قبورهم، يقولون لهم: ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون.. فما إن يتوفى الملائكة الذين آمنوا حتى يكون قد تم حسابهم.. فدل هذا على أن الآخرة لا زمن فيها.

ونفس الشيء يحدث للذين كفروا، ولكن على وجه آخر.. قال الله عز وجل عنهم:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ . ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (الأنفال ٥٠ ، ٥١).

إذ: ظرف زمان للماضى.. فالملائكة إذ يتوفون الذين كفروا يضربونهم ويقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق. والملائكة يحملون أمر ربهم.. فقولهم للكفار حال وفاتهم ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ إنما هو أمر الله تعالى كلفهم بتبليغه للمتوفى حال وفاته.. فكأن المتوفى حال قبض الملائكة لنفسه، يكون قد تم حسابه فى لا زمن.. فدل هذا على أن الآخرة لا زمن فيها.

وهذا أيضا من معانى الحديث النبوى الشريف عندما سئل النبى ﷺ عن الساعة فأشار إلى أصغرهم عمرا وقال: «إن يعش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم». والذى لا يدركه الهرم يكون الزمن قد توقف فيه فالحديث الشريف يشير تلميحا إلى أن الدار الآخرة لا زمن فيها..

والحديث الذى أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، أتى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح. ثم ينادى مناد: يا أهل الجنة لاموت.. ويا أهل النار لا موت» إلخ الحديث الشريف.. فالحديث الشريف يشير تلميحا إلى حالة اللازمن فى الجنة. وفى رواية أبى سعيد «ثم يقال: يأهل الجنة خلود فلا موت. ويأهل النار خلود فلا موت» والخلود لازمن فيه.

ونفس الحقيقة أشار إليها الحديث الشريف: «من يدخل الجنة، ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه» ولايكون ذلك إلا إذا كانت الجنة لا زمن فيها.

ومن هذا المنطلق فى فهم الحياة الآخرة التى بلا زمن نفهم ما جاء فى الأثر «من مات قامت قيامته».. فالذى يموت اليوم يجد نفسه وجها لوجه أمام قيامته.. لأنه صار فى اللازمن وأشار القرآن العظيم إلى هذه الحقيقة أيضا فى قول الله عز وجل:

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (١٠٤)﴾ (طه ١٠٢ : ١٠٤).

زرقا: أى عميا وقد ازرقت عيونهم واسودت وجوههم.. وكانت العرب تذمُ هذا المنظر كما قال أحد الشعراء فى ذم إحدى القبائل: (زرق العيون عليها أوجه سود).

إن لبثتم: أى فى الحياة الدنيا وقيل المعنى : إن لبثتم فى قبوركم. عشراً: أى عَشْرَ ليال. إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما: أى يقول أعدلهم قولا وأعقلهم وأكثرهم فهما: إنهم ما لبثوا إلا يوما واحدا. فالحياة الدنيا.. وأجلُ أى إنسان فيها.. ومقدار ما يلبث كلُّ إنسان فى قبره حتى يوم البعث لا يزيد فى حساب الزمن فى الآخرة عن يوم واحد.

ونقرأ عن قصة عزير إذ أماته الله مائه عام ثم بعثه وسأله: كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم ونقرأ عن ذلك فى قول الله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة ٢٥٩).

وصاحبُ القصة عزير. وهو من علماء بنى إسرائيل.. وقيل كان من أنبياء بنى إسرائيل وقال ابنُ عباس رضى الله عنهما: إن بُخْتُنَصَّر غزا بنى إسرائيل فسبى منهم أناسا كثيرة فجاء بهم وفيهم عزير إلى بابل.. فخرج عزير ذات يوم فى حاجة له إلى دير هرقل على شاطئ نهر دِجْلَة.. فنزل تحت ظل شجرةٍ وهو على حمار له. فربط الحمار تحت ظل الشجرة ثم طاف بالقرية فلم ير بها ساكنا واحداً وهى خاوية على عروشها فقال: أنَّى يحيى هذه الله بعد موتها؟ فأماته الله مائة عام.. وقيل إن القرية كانت بيت المقدس لما خربها بختنصر البابلى وجعلها تلالا وجدرانا مهدمة خاوية على عروشها.. فأماته الله مائة عام ثم أحياه قال كم لبثت. والقائل هو الله عز وجل لقوله بعد ذلك: ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾، ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قال ما اعتقده وما أحسه. قال الله له: ﴿بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾، ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ أى ودلالةً على البعث بعد الموت.

وقال عكرمة: موضعُ كونه آيةً هو أنه جاء شاباً ابن أربعين سنة وأماته الله ثم أحياه بعد مائة عام

فوجد حفدته شيوخاً وهو مازال في الأربعين من عمره. ورُوى عن سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن عزيرا خرج من أهله وخلف امرأته حاملاً وله خمسون سنة فأماته الله مائه عام ثم بعثه، فرجع إلى أهله وهو ابنُ خمسين سنة وله ولد بلغ من العمر مائة سنة فكان ابنه أكبر منه بخمسين سنة!.

ونحن فى حديثنا عن الزمن فى الحياة الآخرة نجد فى قصة عزير الدليل على أن المائة عام فى الدنيا هى فى زمن العالم الآخر يومٌ أو بعض يوم.

ونجد دليلا آخر فى أهل الكهف إذ أماتهم الله ثلاثمائة عام ثم بعثهم وسئلوا كم: لبثتم؟ قالوا: لبثنا يوما أو بعض يوم.. نقرأ عن ذلك فى سورة الكهف: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (الكهف ١٠).

قيل إنهم كانوا من الروم وآمنوا برسالة سيدنا عيسى عليه السلام وقال ابن عباس: إن ملكاً يقال له دقيانوس فى طرسوس أمر أهلها بعبادة الأصنام.. وكان بها سبعةٌ من الفتية يعبدون الله سراً وخافوا بطش الملك وهربوا ليلا وأووا إلى الكهف ويقول الله تعالى عنهم إذ أووا إلى الكهف: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ (الكهف ١١ ـ ١٢) ومرت على أولئك الفتية فى الكهف أحداث وأحداث وتعهدهم الله تعالى فى حال موتهم وجعل الشمس تميل عن كهفهم فلا يتعرضوا لأشعتها الحارقة.. وكان يقلب أجسادهم ذات اليمين وذات الشمال.. وحفظ أجسادهم من أن تأكلها الأرض.

ثم يقول الله تعالى عنهم بعد ذلك: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾(الكهف ١٩). وخرجوا بعد ذلك من الكهف فعلموا أن دقيانوس مات منذ قرون مضت..

نفهم من قصة أهل الكهف أن الله تعالى أماتهم ثلاثمائة عام ثم بعثهم وسئلوا: كم لبثتم؟ قالوا: لبثنا يوما أو بعض يوم.. تماما كما سئل عزير وقد أماته الله مائة عام ثم بعثه، قال: كم لبث؟ قال: لبثت يوما أو بعض يوم.

ففى حالة الموت تتساوى المائة سنة مع الثلاثمائة سنة ومع اليوم أو بعضٍ من اليوم.

وفى سورة النازعات يقول الله عز وجل:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾.

أى كأنهم لم يلبثوا فى غفوتهم فى قبورهم إلا عشية أو ضحاها.

فما إن يموت الإنسان حتى تقوم قيامته لأن الإنسان بعد أن يترك الدنيا يدخل فى حياة أخرى بلا زمن.. فالزمن يتوقف بموت الإنسان.

ولقد ذكرنا من قبل حديثا نبويا رواه الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى قال: لما نزل قول الله تعالى ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قيل: يارسول الله يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ ما أطول هذا اليوم؟ فقال النبى ﷺ: «والذى نفسى بيده إنه ليُخفف على المؤمن حتى يكون أخفَّ عليه من صلاةٍ مكتوبة يصليها فى الدنيا» أى إن خمسين ألف سنة فى حسابنا للزمن تتساوى مع دقائق معدودات فى حساب الزمن فى الآخرة.

إن أى إنسان منا عندما يبعث يوم القيامة لن يشعر بكل الآلاف من السنين التى مرت عليه فى قبره.. لأنه دخل فى اللازمن. لذلك عندما يُبعث حيا يقول (إنما غفوت غفوة) ويصعب على الإنسان منا الذى تتركب كلٌ خلايا مخه وجسمه فى الزمن، يصعب عليه أن يتخيل حياة بلا زمن.. ولكنها الحقيقة.

ولقد دخل رسول الله ﷺ الجنة ورآها ووصفها ووصف أهل الجنة فى أحاديث كثيرة ورأى أصحاب النار ووصفهم أيضاً.. فكيف ذلك؟ ويومُ القيامة لم يأت موعدهُ بعد ..؟!

الذى يفكر فى هذا الفهم إنما يفكر والزمن يهيمن على فكره وله العذر فى ذلك ففكر الإنسان لا ينفصل عن الزمن أبدا. أما إذا تخيل الحياة الآخرة بلا زمن فلا يقول إن موعدها أتى أو لم يأت.. فكل ذلك متعلق بالزمن والحياة هناك بلا زمن.. والماضى والحاضر والمستقبل إذا كان فى الحياة الدنيا.. فهو فى الآخرة فى زمن واحد ووجود واحد.

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه حديثا عجيبا. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**بعثت أنا والساعة جميعا. إن كادت لتسبقنى**»

— — — — — — — —

إذن فالله تعالى بعث رسول الله ﷺ وأقام الساعة وقال رسول الله ﷺ: «**إن كادت لتسبقنى**».. ولكن لماذا العجب والإنسان منا وهو نائم وحيٌ فى الدنيا يعيش أحيانا فى اللازمن إذا دخل فى الأحلام والرؤى.. بل إنه يعيش فى المستقبل ويحياه ويتعارف على الناس فيه وكيف ذلك؟.. يحدث كثيرا أن يرى إنسان رؤيا يرى فيها صديقاً له لم يقابله منذ سنوات ويتحدث معه.. ثم يستيقظ. ويتذكر الرؤيا ويتعجب منها.. ويفاجأ بعد أيام بصاحبه هذا يقابله فى الطريق.. فكأن الإنسان فى نومه تنطلق روحه فى الأثير وتعيش فى المستقبل وتحياه.. وقد ترى روحه أثناء نومه حدثا لبعض أقربائه.. ويفاجأ بعد أيام أن ذلك الحدث حصل فعلا..

فالإنسان تعيش روحه أثناء النوم فى اللازمن تعيش فى الماضى أو فى المستقبل حسب سرعة تحرك روحه فى الأثير.. وهكذا فالإنسان يدخل تجربة اللازمن حتى فى حياته الدنيا وقال رسول الله ﷺ : «**كما تنامون فكذلك تموتون.. وكما تستيقظون فكذلك تبعثون**» وجاء فى الأثر: «**الناس نيام حتى إذا ماتوا انتبهوا**».

فالزمن فى العالم الآخر له حسابات أخرى.. غير التى نعرفها فى الزمن الذى نعيشه فى الحياة الدنيا.. فالإنسان عندما يترك الدنيا، يترك جسده فيها، ويترك الدنيا وما فيها، ويترك الزمن الذى يجرى فى الحياة الدنيا أيضا.

٤ ـ عالم الغيب والشهادة

■ عن الإمام أحمد فى المسند، وأصحاب السنن، عن يحيى بن أبى كثير، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت عائشة رضى الله عنها: بما كان يستفتح النبى ﷺ صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان يقول **«اللهم ربَّ جبريل وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اهدنى لما اختُلِفَ فيه من الحق بإذنك، إنك لتهدى إلى صراطٍ مستقيم»**.

■ أخرج الإمام أحمد عن يعلى بن عطاء، قال: سمعت عمرو بن عاصم بن عبد الله، قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال أبو بكر: يا رسول الله، قل لى شيئا أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال ﷺ: **«قل اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السماوات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسى، ومن شر الشيطان وشركه»**.

■ وفى رواية أخرى للإمام أحمد عن ليث، عن مجاهد، قال: قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: أمرنى رسول الله ﷺ أن أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعى من الليل: **«اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمدا عبدك ورسولك، وأعوذ بك من شر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسى سوءًا أو أجره إلى مسلم»**.

■ وفى رواية أخرى للإمام أحمد، عن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: **«من قال اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة إنى أعهد إليك فى هذه الحياة الدنيا، أنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدًا عبدك ورسولك، فإنك إن تكلنى إلى نفسى تقربنى من الشر، وتباعدنى من الخير، وإنى لا أثق إلا برحمتك، فاجعل لى عندك عهدا توفينيه يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد، إلا قال الله لملائكته يوم القيامة: إن عبدى قد عهد إلىَّ عهدًا فأوفوه إياه، فيدخله الله الجنة»**.



ذكر الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ فى القرآن الكريم فى عشر آيات. كما قال تعالى :﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام ٧٣).

وكما قال تعالى: ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة ٩٤).

وكما قال تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (المؤمنون ٩١، ٩٢).

وكما قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥) ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (السجدة ٥، ٦).

حاول المفسرون عبر العصور تفسير هذه الحقيقة الثابتة، إلا أنهم لم يتوصلوا إلى التفسير العلمى فيها.. ولا يمكن أن نفسر معنى علم الغيب والشهادة، إلا إذا وضعنا التقدم العلمى فى خدمة التفسير..

ونحن نعلم وجه الإعجاز فى علم الغيب، فما وجه الإعجاز فى علم الشهادة؟

حتى نفهم ذلك، ينبغى علينا أولا أن نفهم ما المقصود بعلم الشهادة؟.. كثير من العلماء يقولون: إن علم الغيب هو العلم بكل الحقائق التى تغيب عن الإنسان، أما علم الشهادة فهو العلم بالعالم المُشَاهد لنا.. وإذا كان علم الشهادة هو العلم بالعالم المشاهد لنا، فلماذا وصف الله تعالى نفسه بأنه عالم الغيب والشهادة؟.. وما وجه التحدى بعلم الشهادة إذا كان علم الشهادة فى مقدور البشر.. لابد أن يكون علم الشهادة، لا يعلمه إلا الله تعالى، لذلك قرنه بعلم الغيب.

فما علم الشهادة؟

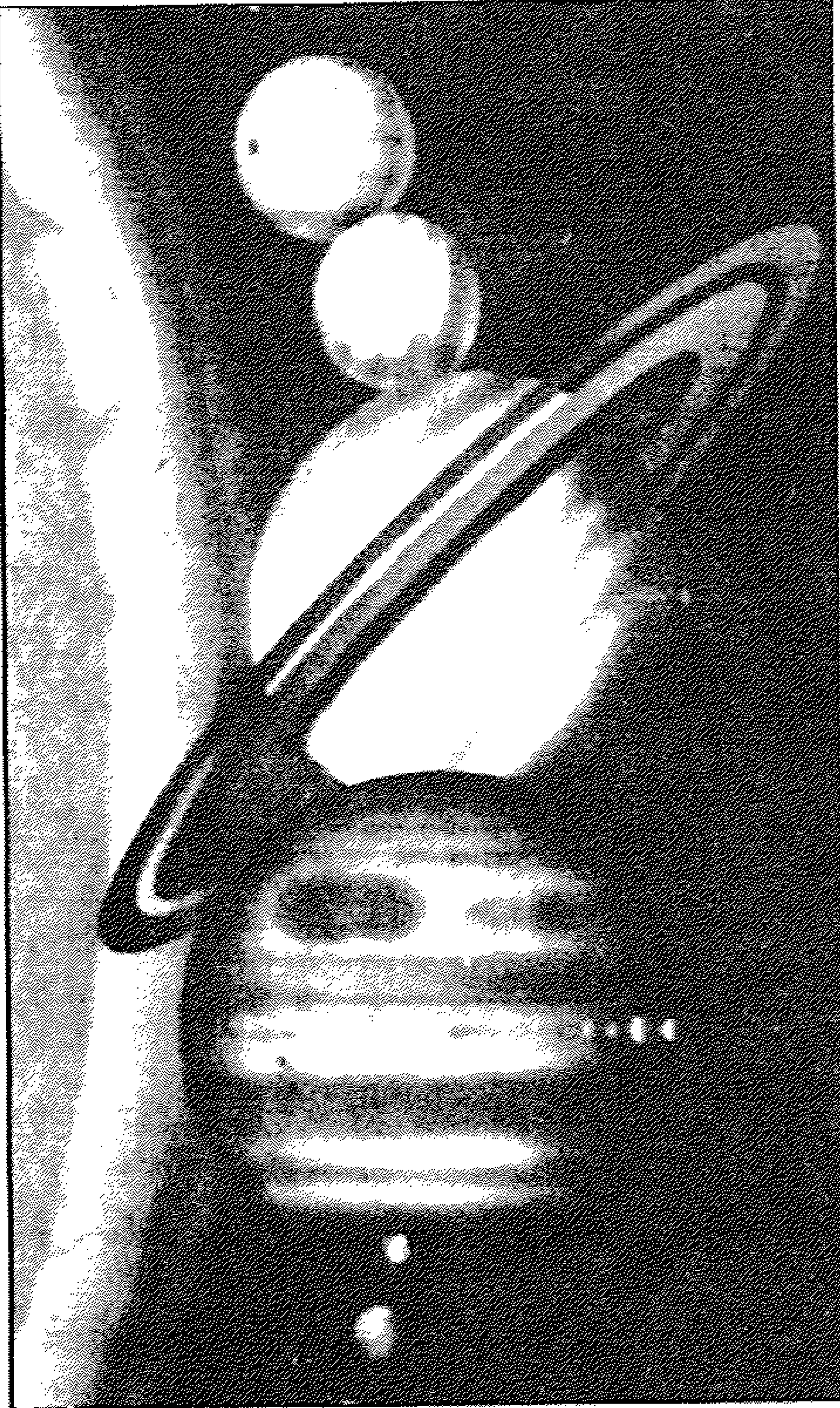
قال المفسرون قديما: المعنى أن الله تعالى شهيد على أعمالنا، وأنه تعالى يشهد جميع خلقه. وهذا قول صحيح، وتفسير صائب.. إلا أنه يحتاج إلى مزيد من الشرح والتفصيل.

والمشاهدة: هى الرؤية والمعاينة لشىء محدد.

والشاهد: هو الذى يشاهد ما يقع من أحداث، وقت وقوعها.. وتستمع المحكمة إلى الشاهد؛ لأن عنده علم الشهادة بما حدث. أما إذا جاء رجل بعد شهر، وقال: لقد عثرت على فيلم التقطه أحد المصورين للحادث، وشاهدت الفيلم، وسأشهد بما رأيته؟ إنه فى هذه الحالة لا يكون عنده علم الشهادة بما حدث.

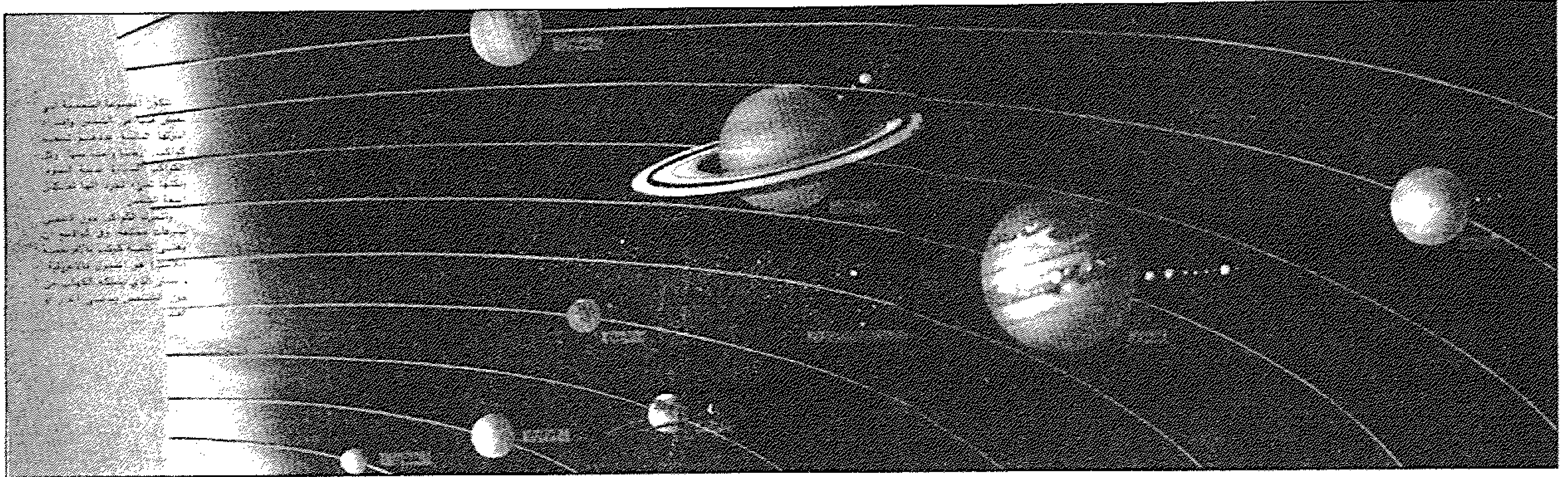
إذن علم الشهادة: هو العلم بالشىء المشاهد، وقت مشاهدته، وحال رؤيته ونحن نعلم وجه الإعجاز فى علم الغيب، وأن الله تعالى وحده هو الذى يعلم الغيب، ولكن ما وجه الإعجاز فى علم الله تعالى بعالم الشهادة.. ولماذا قرن علمه بالغيب بعلمه بالشهادة؟

فأنا عندى علم الشهادة بما أشاهده، وقت حدوثه.. فالسيارات التى أشاهدها الآن فى الشارع أمامى، عندى علم الشهادة لها، لأنى أعلم الحال التى هى عليها وقت مشاهدتى لها، وعندى علم الشهادة بما يحدث أمامى فى المنزل؛ لأنى أعلم حال كل شىء أشاهده وقت مشاهدتى له.. ذلك لأن الأشعة الصادرة من تلك المرئيات القريبة تصل إلى عينى فى التو واللحظة، ولكن ماذا عن المرئيات التى تبعد عنى بعدا كبيرا.. مثل الشمس مثلا.. إننى إذ أشاهدها الآن بالتلسكوب، لا يكون عندى علم الشهادة لها..


صورة توضيحية للشمس وكواكبها السيارة التى تدور حولها فى أفلاك تختلف فى البعد عن الشمس

لماذا؟.. لأنى لا أرى منها إلا صورتها التى كانت عليها منذ نحو ثمانى دقائق، أما صورتها الآن، وأنا أنظر إليها فى المنظار الفلكى، فلن تصل إلى عينى إلا بعد ثمانى دقائق.. إذن فأنا لا أرى أحداث الحاضر فى الشمس الآن، وإنما أرى أحداثها فى الماضى.. إننى إذا نظرت من خلال المنظار الفلكى الآن أرى لسانا هائلا من اللهب يندفع بعنف رهيب من سطح الشمس إلى سماء الشمس. فإذا قلت : «إن لسانا من اللهب يندفع الآن بعنف شديد من سطح الشمس» أكون مخطئا؛ لأن الذى أراه هو ما حدث منذ ثمانى دقائق وليس الآن.

ويزداد الأمر وضوحا إذا نظرت إلى شىء أبعد فى السماء.. فإذا نظرت من خلال التلسكوب الفلكى إلى كوكب المشترى الذى يبعد عنا ٤٠٠ مليون ميل وشاهدت أحد أقماره يسبح فوق البقعة الحمراء فى الكوكب، فينبغى علىَّ أن أدرك تماما أن هذا الذى أشاهده الآن ليس الذى يحدث الآن فى المشترى.. وإنما هذا الذى حدث منذ خمس ساعات مضت وأن الذى يحدث الآن هناك من المستحيل علىَّ أن أشاهده الآن وسوف تحمله أشعة الضوء الصادرة منه إلى عينى بعد خمس ساعات من الآن!



أما إذا نظرت خلال التلسكوب إلى أقرب نجم لشمسنا وهو نجم ألفا سنتورى (الشمس الجارة لشمسنا) فإننا نرى من تلك الشمس الجارة الحالة التى كانت عليها منذ أكثر من أربع سنوات. أما صورتها الآن والحالة التى هى عليها الآن، فلن أشاهدها إلا عندما تصل أشعة الضوء الصادرة منها إلى عينى بعد أكثر من أربع سنوات.. إذن حاجز الزمن يقف حائلا أمامنا دون معرفة أحداث الحاضر فى الكون.. فذلك غيب بالنسبة لنا..

فكل كوكب وكل نجم سجين فى زمنه.. يعزله عن المشاهدة لما فى الكون.. ولا يرى أحد من الكون شيئا إلا أحداث الماضى فقط.

ويزداد الأمر وضوحا إذا افترضنا فرضا علميا – هو من الخيال العلمى – أن هناك مخلوقات عاقلة على ستة كواكب خمسة منها فى مجرتنا: وواحد منها فى مجرة أخرى:

الكوكب الأول: فى مجرة تبعد عنا سبعين مليون سنة ضوئية.

الكوكب الثانى: يبعد عنا ٥٠,٠٠٠ سنة ضوئية.

الكوكب الثالث: يبعد عنا ٤٥٠٠ سنة ضوئية.

الكوكب الرابع: يبعد عنا ١٤٠٠ سنة ضوئية.

الكوكب الخامس: يبعد عنا ٥٠ سنة ضوئية.

ونفترض أنهم ينظرون إلينا الآن من خلال تلسكوبات فلكية هائلة، يشاهدون من خلالها ما يحدث على سطح الأرض.

فماذا يشاهد كل منهم من الأرض؟

من هم على الكوكب الأول (الذى يبعد عنا سبعين مليون سنة ضوئية) سيشاهدون على سطح الأرض عصر الزواحف الضخمة (الديناصورات)؛ لأن صورة الأرض فى تلك العصور قد وصلت إليهم الآن فقط، فشاهدوها.

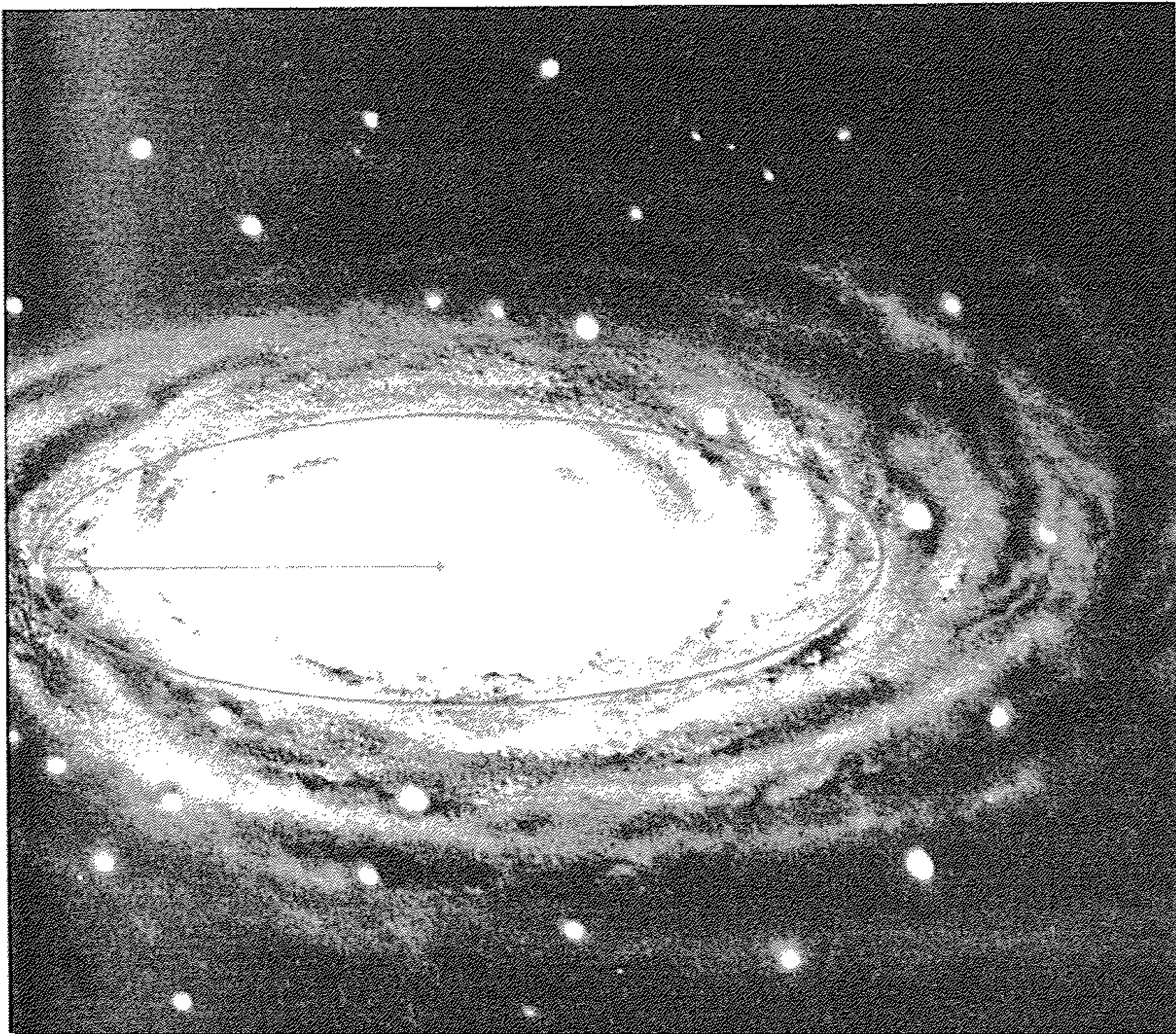
أما الذين هم على الكوكب الثانى (الذى يبعد عنا ٥٠,٠٠٠ سنة ضوئية) فيشاهدون على سطح الأرض القردة والتماسيح أو غيرها من الدواب، والبرمائيات؛ التى كانت تعيش على سطح الأرض منذ ٥٠,٠٠٠ سنة مضت،ولن يشاهدوا إنسانا على الأرض؛ لأن صورة آدم عليه السلام لم تصل إليهم بعد؛ لأنه خُلِق بعد ذلك.

أما الذين هم على الكوكب الثالث: (الذى يبعد عنا ٤٥٠٠ سنة ضوئية) فيشاهدون الآن صورة حية للعمال وهم يبنون الهرم الأكبر فى مصر، وخوفو فرعون مصر يحثهم على العمل.

أما الذين هم على الكوكب الرابع (الذى يبعد عنا ١٤٠٠ سنة ضوئية) فيشاهدون الآن موقعة بدر أو موقعة أحد.. يشاهدون صورا حية لأحداث المعركة ويشاهدون الآن جيش المسلمين.. ويشاهدون الآن صورة حية لسيدنا رسول **الله** ﷺ يقود المعركة!

أما الذين هم على الكوكب الخامس (الذى يبعد ٥٠ سنة ضوئية) فيشاهدون الآن أحداث الحرب العالمية الثانية.

إن أشعة الضوء تجرى فى السماء بسرعة ٣٠٠,٠٠٠ كم فى الثانية الواحدة.. فالضوء يقطع مسافة تقدر بنحو ألف مليون كيلو متر فى الساعة.. وستظل تلك الصور موجودة تجرى فى السماء بسرعة الضوء.



إن النجوم فى السماء مثل عدد حبات الرمال فى الصحراء الكبرى مثلا.. وتجتمع النجوم فى مجموعات تُسَمَّى مجرات. وفى المجرة التى بها شمسنا أكثر من ألف مليون نجم.. ولا يصل الضوء من أقصاها إلى أقصاها إلا بعد مائة ألف سنة ضوئية، مع العلم أن سرعة الضوء ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر فى الثانية الواحدة.

والمجرة الجارة لنا تسمى مجرة «الأندرميدا» وهى أكبر من مجرتنا حجما، وتبعد عنا مليونًا ونصف المليون سنة ضوئية، ويقول العلماء:



إن بالسماء آلاف الملايين من المجرات تبعد عنا بآلاف الملايين من السنوات الضوئية.. وبعض المجرات لا نراها ولا نشاهدها مطلقا؛ لأن الأشعة الضوئية الصادرة منها لم تصل إلينا بعد.. ولنناقش أبعاد النجوم القريبة من شمسنا.. إننا قد نرى نجما يتلألأ فى السماء ويبعد عنا ألف سنة ضوئية فقط.. ونفترض أنه انفجر منذ ٩٠٠ سنة مضت وصار سديما فى الفضاء من قديم.. فإننا لو وجهنا إليه التلسكوب الفلكى فسوف نشاهده فى السماء يتلألأ؛ لأننا إذ نشاهده الآن إنما نشاهد صورته التى كان عليها منذ ألف سنة مضت.. ونشاهده الآن وهو الآن غير موجود؛ لأنه انفجر منذ مئات السنين.. إذن فنحن نشاهد صور الماضى فى الكون.. ولا نشاهد صور الحاضر أبدا؛ لذلك قد نشاهد فى الكون أشياء غير موجودة الآن.. وقد لا نشاهد فى الكون أشياء موجودة الآن.. وإذا افترضنا أن مخلوقات عاقلة تعيش فى كوكب يبعد عنا ستة آلاف سنة ضوئية ونظروا إلينا الآن ونحن نقرأ هذا المقال لشاهدوا الفراعنة يبنون الهرم الأكبر.. أما صورة الأرض التى نعيش عليها نحن الآن فلن يشاهدوها إلا بعد أن تصل أشعة الضوء الصادرة منها إليهم أى بعد ستة آلاف سنة من الآن.. وإذا علمنا أن علم الشهادة هو العلم بما يُشَاهد حال مشاهدتنا له.. لفهمنا أنه يستحيل علينا ذلك.. وكل ما نشاهده الآن فى السماء إنما هو صور الماضى، أما صور الحاضر فهى غير مرئية لنا، لأن أشعة الضوء الصادرة منها لم تصل إلينا بعد.

وعجيب أن نرى كوكبا يتلألأ أمام أعيننا وصورته الحالية لا نراها.

إذن فعلم الشهادة مستحيل على الإنسان ويتساوى مع علم الغيب؛ لأن الزمن يقف حائلا دون مشاهدتنا لما يحدث فى الكون حال مشاهدتنا له.. إلا أن الله عز وجل يعلم الشهادة؛ لأن علم الله عز وجل فوق الزمن.. فهو تعالى الذى خلق الزمن.. فلا تجرى عليه قوانين خلقه. فلا يحول الزمن دون مشاهدة الله تعالى لخلقه.. فالله تعالى كما يعلم الغيب، فإنه تعالى يعلم علم الشهادة أيضا، **ومن هذا نفهم أننا معزولون فى كوكب الأرض عن الكون بحاجز الزمن.. وكل جرم فى السماء معزول عن الأجرام الأخرى بحاجز زمنه..** ولا يعلم علم الشهادة أحد من الخلق مطلقا، من هذا نفهم معنى قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾.. ونفهم لماذا لم يُذْكَر علم الشهادة لله عز وجل فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف إلا مقترنا بعلم الغيب؛ لأن علم الشهادة غيب أيضا.

وجاء ذكر علم الشهادة لله عز وجل مقترنا بعلم الغيب فى الحديث النبوى أيضا.



الزمن وحياة الإنسان

١- ما معنى حياة الإنسان فى هذه الحياة الدنيا؟

٢- نسبية الزمن.

٣- بداية الحياة الإنسانية (فى الجنين).

١ ـ ما معنى حياة الإنسان فى هذه الحياة الدنيا؟

■ أخرج مسلم ومالك، عن عبد الله بن مَعْمَر، عن أبى الحباب سعيد بن يسار، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون فى جلالى؟ اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى»**.

■ وأخرج البخارى، ومسلم، ومالك، عن سهيل بن صالح، عن أبيه، عن أبى هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«إذا أحب الله العبد قال لجبريل: قد أحببت فلانا فأَحِبَّه. فيحبه جبريل. ثم ينادى فى أهل السماء: إن الله قد أحب فلانا فأحبوه. فيحبه أهل السماء. ثم يُوضع له القبول فى الأرض»**.

■ وأخرج مسلم عن الأعمش عن أبى صالح، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا. ولا تؤمنوا حتى تحابُوا. أولا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»**

ومن معانى الحديث الشريف أن إيمان الإنسان لا يصلح إلا بالتحاب، وفى الحديث الشريف الحث على إفشاء السلام بين المؤمنين.

وأن الإنسان إذا كان شريرا لا يكون مؤمنا، ولا يكون محبوبا من الخالق عز وجل.

— — — — — — — — —

الإنسان هو المخلوق الوحيد فى العالم المحسوس، الذى يؤمن بالعقائد الدينية. وقد تعهده الله تعالى بالعلم والتوجيه، فأرسل له رسلا منه، وكتبا فيها المنهج الصحيح، الذى يجب على الإنسان أن يسير على هداه، وكذلك فيها كل الحقائق العلمية الكلية، وترك للإنسان العنان للبحث فى الجزئيات، إلا أن الله تعالى استقل بالعلم بالكليات. والجزئيات جملة وتفصيلا.

فالإنسان العالم يستطيع أن يفحص ورقة نبات، أو جزءًا منها بحثا دقيقا، ويصل إلى شىء من العلم فيها، إلا أنه لا يستطيع أن يفحص كل أوراق النبات فى العالم، ويعلم ما يجرى فيها جميعا؛ لأن ذلك من علم الله تعالى، الذى يعلم كل ما فى الكون، فى التو واللحظة، جملة وتفصيلا، وكذلك الأمر فى علم الأجنة، العالم يفحص رحما من الأرحام، وقد يعلم بعض ما فيه من أسرار، إلا أنه لا يستطيع أن يعلم كل ما فى الأرحام فى العالم فى التو واللحظة علما شاملاً فذلك هو علم الله عز وجل الذى قال: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ ولم يقل: (ويعلم ما فى الرحم).

ونجد ذلك فى الحديث النبوى الشريف الذى أخرجه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال النبى ﷺ: **«مفاتيح الغيب خمس: إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما فى الأرحام، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا، وما تدرى نفس بأى أرض تموت. إن الله عليم خبير»** .

وحاول بعض الفلاسفة البحث عن معنى حياة الإنسان فى هذا العالم(*) فأنشأوا عقائد دينية من صنعهم، تختلف عن الرسالات الدينية المنزلة من الله عز وجل، هى نتيجة تجارب شخصية لأولئك

(*) د. محمد عبد الهادى أبو ريدة، (أستاذ قسم الفلسفة الإسلامية. جامعة الكويت).

الفلاسفة واتجاهاتهم الفكرية، ومن ذلك: الفلسفة البوذية التى ترى أن وجود الإنسان وحياته فى هذه الأرض شر يجب أن يتخلص منه الإنسان، لذلك إذا اعترض أحد من كهنة البوذية على شىء لا قِبَل له بمنعه، فإنه يحرق جسده حتى الموت. أما فلاسفة الإغريق، فكان منهم من يحتقر الإنسان. مثل الفيلسوف «ديوجينيس»، دون أن يتعمق فى فهم الهدف من وجود الإنسان، فكان يمشى نهارًا وفى يده مصباح مضاء، وسألوه لماذا يفعل ذلك؟ فقال: إننى أبحث عن إنسان.

وفى العصور الوسطى ظهر الفيلسوف «هوبز **Hobbes**» فى القرن السابع عشر، واعتقد أن الإنسان مثل حيوان مفترس، يود افتراس أخيه الإنسان، فى ماله ونفسه وعرضه، كلما سنحت له الفرصة لذلك. وأنه مخلوق شديد الأنانية، لا يردعه إلا الخوف على مصلحته، ولا يرده إلا الخشية من العقاب.

وحتى بعض الفلاسفة المسلمين وصفوا الإنسان بالجهل والظلم كما قال أبو العلاء المعرى:

أفضل من أفضلهم صخرة ... لا تظلمُ الناس ولا تكذبُ

ومثله كان الفيلسوف العربى «أبو بكر الطرطرشى» الذى قال: إن البشر جُبلوا على الظلم والاعتداء، كالحيتان فى البحر، يأكل الكبير الصغير. وأمثال أبى العلاء وأبى بكر من الفلاسفة كثيرون، ولهم آراء متشابهة(*). وكان خطأ أولئك الفلاسفة أنهم نظروا إلى الإنسان من جانب، وأهملوا النظر إلى الجوانب الأخرى فيه. ولو فهموا الإنسان من كل جوانبه؛ لعلموا أن الإنسان الظالم الأنانى الكفور الجهول، هو الإنسان الذى بَعُد عن منهج الله تعالى. أما الإنسان المؤمن الصادق، فلا يكون كفورًا ولا جهولا، ولا يكون أنانيا، وظالما(**).

كما قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ (الأحزاب ٧٢)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(إبراهيم ٣٤)، أما الإنسان المؤمن، فلا يكون ظلوما ولا يكون كفارا.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ (يونس ٩).

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (٢٧) الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ (الرعد ٢٧ – ٢٩).

(*) ومن الفلاسفة المتشائمين الرازى (فى القرن الرابع الهجرى) الذى كان يرى أن وجود الإنسان فى هذه الحياة نقمة عليه وأى لذة يصيبها فى حياته ليست إلا انقطاعا مؤقتا عن الألم.

(**) وفى القرن الخامس الهجرى ذكر الفيلسوف الإسلامى (ابن مسكويه) فى كتابه «تهذيب الأخلاق» قال: فى الإنسان جانب روحى، وجانب مادى فيه الشهوات الحيوانية. وعليه مجاهدة النفس مستعينا بالهداية الدينية، حتى يشعر بلذة الجانب الروحى فيه.

ماهية الإنسان

الله تعالى خلق الإنسان فى هذه الأرض.. هذه حقيقة لا شك فيها، إلا أن العلمانيين والمشركين أنكروا هذه الحقيقة، بل وأنكروا وجود الخالق عز وجل.. وهذا من أعظم الخطايا والضلالات.

■ أخرج البخارى ومسلم وأصحاب السنن عن أبى وائل، عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله، قال: سألت رسول الله ﷺ: أى ذنب أعظم عند الله؟ قال: **«أن تجعل لله ندا وهو خلَقَك...»** إلخ الحديث الشريف.

■ الحديث الشريف يقرر حقيقة خلق الله تعالى للإنسان، ولا خالق للإنسان غيره.

■ أخرج مسلم عن زيد بن سلاّم، عن أبى سلاّم، قال: قال حذيفة بن اليمان

قلت يارسول الله : إنا كنا بِشَرٍّ فجاء الله بخير ونحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: نعم. قلت: **ومن وراء ذلك الشر خير؟ قال: نعم. قلت: ومن وراء ذلك الخير شر؟ قال: نعم. قلت: كيف؟ قال: يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهداى، ولا يستنون بسنتى. وسيقوم منهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان إنس (أى فى جسم إنسان).**

* أخرج مسلم عن أبى بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: سُئِل رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين فقال : **«الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم»**.

فى هذا الحديث الشريف بيان لمذهب أهل الحق أن الله علم ما كان، وما يكون، وما لا يكون، ولو كان كيف يكون.

■ وأخرج أحمد فى مسنده عن شعبة عن الجلاّس، عن عثمان بن شماس، عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يصلى على جنازة يقول: **«اللهم أنت خلقتها، وأنت رزقتها، وأنت هديتها للإسلام، وأنت قبضت روحها. تعلم سرها وعلانيتها. جئنا شفعاء فاغفر لها»**.

الرسول ﷺ يتحدث عن النفس البشرية فى الميت؛ لأنها هى التى تُحاسَب عما عملت فى الدنيا.

■ لا يمكن لأى عالم أن يفهم حقيقة الإنسان إلا بعد أن يؤمن بما جاء فى كتاب الخالق عز وجل وهو القرآن الكريم ووحيه لرسوله ﷺ.



بحث الفلاسفة والعلماء فى ماهية الإنسان، بدون علم، وبدون هداية وفهم، وبدون إيمان بالله ورسوله فضلوا؛ لأن العلم الصحيح عن كل خلق، هو فى كتاب الخالق، ووحيه لرسوله.

إن أى باحث غير مؤمن، يبحث فى ماهية الإنسان، يجد نفسه أمام مشكلة المشاكل، وأنه يبحث عن عالم مجهول لا يعلم عنه شيئا. وقال د. «ألكسيس كاريل»: (إن الإنسان مجهول حتى لنفسه)(*) ولقد بحث الفلاسفة فى ماهية الإنسان منذ العصور القديمة. فأفلاطون المتوفى فى القرن الرابع ق . م قال: إن النفس هى حقيقة الإنسان. وجاءت من عالم غير عالمنا، واندمجت فى مادة الجسم وشهواته. ويجب على الإنسان أن يقاوم شهوات بدنه ويتحلى بالفضيلة حتى تعود نفسه إلى العالم الذى جاءت منه.

أما أرسطو الذى تتلمذ على يد أفلاطون، فاهتم بالإنسان من ناحيتى الفكر والحس، وقال: إنه يجب على الإنسان أن يُشغل فكره فى توجيه رغباته إلى القيم السامية، وحث الإنسان على معرفة حقيقة الأشياء..

(*) (الإنسان ذلك المجهول) للدكتور ألكسيس كاريل المتوفى سنة ١٩٤٤.

أما الفيلسوف «كانت» الذى توفى عام ١٨٠٤م، فقال: إن الإنسان يعيش فى عالمين مختلفين. فهو بفكره وعقله، يعيش فى عالم لا مادى حر، وببدنه يعيش فى عالم المادة والشهوات. وإن على الإنسان أن يعيش فى عالم الحس حسب توجيهات عقله.

وإذا كان الفلاسفة قد نظروا إلى سلبيات الإنسان وسيئاته، فإن الشعراء نظروا إلى إيجابيات الإنسان وحسناته. فالشاعر الألمانى «شيلر» المتوفى فى أوائل القرن التاسع عشر اعتقد أن الإنسان مَلِكُ هذا العالم، وأن الإنسان السعيد هو الذى يلتزم بالأخلاق الفاضلة، وأن الإنسان الشقى هو الذى لا يلتزم بها.. وذكر مثل ذلك الشاعر «جوته».

فالإنسان لا يعرف من هو الإنسان. إلا أن هناك اتجاهات رئيسية حول ماهية الإنسان منها ما يأتى:

أولاً: فى عصر العلم الحالى تنظر العلوم الطبيعية إلى الإنسان، على أنه ذروة التطور فى الكائنات الحية بعد عشرات الملايين من السنين. ولم يلتفت علماء التطور إلى علاقة الإنسان بالعالم الذى يعيش فيه، وكيف أن الله تعالى سخره للإنسان. ولم يهتموا بتفسير معنى الحياة، وإنما اتبعوا وَهْمًا فلسفيا قديما وهو أن المادة انبعثت منها الحياة.

ثانيا: اتبع فريق من الفلاسفة منهجا فلسفيا غامضا فى تفكيرهم فى ماهية الإنسان.

ففكروا فيه من ناحية العقل والروح، وأهملوا النواحى الأخرى فيه، واعتبروا الجسم والمادة أغلالا وقيودًا للإنسان. وأن حياة الإنسان عارضة فى هذه الدنيا.

ثالثا: نظرة الرسالات الدينية الثلاث المُنَزَّلة: اليهودية والمسيحية والإسلام.

كلها تدعو إلى أن خالق هذا الكون إله واحد، وأن الانسان مخلوق مكلف بالإيمان بالله تعالى، وبالقيام بالأعمال الصالحة، وتجنب الشرور والآثام، وأنه سيُسأل عن أعماله فى العالم الآخر. ونزلت الرسالة الإلهية الأخيرة على النبى محمد ﷺ. وأوضحت - فيما أوضحت من حق - المنهج الإسلامى الصحيح الذى هو طريق النجاة للإنسان فى الدنيا والآخرة، وأظهرت حقيقة الإنسان، وبينت الحكمة فى وجوده فى الحياة.

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(التين ٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر ٢٨، ٢٩).

ويوضح الإسلام أن الإنسان ليس ملاكا لا قدرة له على الاختيار، ولا يعصى الله ما أمره، وأنه أيضا ليس حيوانا لا عقل فيه ولا روح، تجمع به الشهوات والغرائز بغير ضابط، وإنما الإنسان مخلوق كرمه الله تعالى ﴿ولقد كرمنا بنى آدم﴾ ومنحه العقل، ونفخ فيه الروح، وجعل له القدرة على الاختيار، ومنحه العلم حتى يتعرف به على خالقه فيعبده. وبث فيه الغرائز والشهوات: محكا للإرادة والعقل، تصدق الإيمان أو تكذبه.

ولقد قدر الله تعالى خلق الإنسان فى هذه الأرض أزلا، بعلمه وحكمته. فالإنسان لم يظهر على هذه الأرض عن طريق مصادفة طارئة، أو عشوائية عارضة، وقد أخرج آدم وزوجه من الجنة وعاشا فى هذه الأرض، وقد تاب، وقبل الله تعالى توبته.

نقرأ عن ذلك في قول الله عز وجل: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة ٣٧)، وقوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى (١٢٠) فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾(طه ١٢٠: ١٢٢) وقدر الله تعالى أن يعيش بنو آدم في الأرض ليعمروها ويخلف بعضهم بعضًا.. أما أتباع اليهودية والمسيحية فيعتبرون أن آدم قد ترك الجنة إلى الأرض آثما، وأنه يعيش في الأرض هو وذريته ليكفِّر عن خطيئته الأولى.

آراء بعض المفكرين المسيحيين:

نأخذ الفيلسوف «باسكال» مثلا، وقد عاش في القرن السابع عشر، واعتقد أن الإنسان مخلوق أناني، لا يطيق العيش وحده، لذلك يبحث عن جماعة يعيش معهم، ولكنه لا يعيش مفيدا لهم، بل قد يكون لهم مؤذيا. وما نزل إلى الحياة في الأرض إلا لأنه أخطأ، ويجب أن يعيش حياته كلها محاولا أن يكفِّر عن خطيئته. وتتولى الكنيسة أمر المسيحيين، ومن هنا كانت سلطة رجالها فوق سلطة الدولة. وقالوا: إن ذلك ليس لأجل السلطة والهيمنة على الناس والدولة، ولكن لأجل الخير والسعادة للإنسان.

آراء بعض المفكرين المسلمين:

الإنسان في الإسلام مخلوق محترم، خلقه الله تعالى في هذه الأرض لا ليكفِّر عن خطيئة ارتكبها آدم في الجنة، فهو قد تاب وقبل الله توبته وعفا عنه، وإنما خلق الله تعالى الإنسان في الأرض لمهمة جليلة هي الخلافة في الأرض، وعمارتها بمنهج الله تعالى. والإنسان هو المخلوق العاقل الذي يستطيع أن يميز بين الخير والشر. وهو مكلف بجلائل الأعمال في الدنيا مهتديا بالمنهج الإسلامي. فلا توجد خطيئة موروثة، بل هو مخلوق مكرم عند ربه، محترم بين مخلوقاته جميعا. وأنزل الله تعالى له رسالات تخاطب عقله، وتعطيه الدليل على وجود الله تعالى ووحدانيته وقدرته ورحمته.

وتوضح له طريق الخلق الكريم، والقيم الإنسانية السامية؛ لذلك أرسل له رسوله محمدًا ﷺ بأعلى درجات السمو الخلقي. وقال تعالى عنه: ﴿وإنك لعلى خُلق عظيم﴾.

ما الأهداف التي يسعى إليها الإنسان؟ وما الوسائل الصحيحة التي يحقق بها مقاصده؟ وما المبادئ القويمة التي ينبغي أن يوجه حياته على أساسها؟

لا توجد إجابات عن هذه الأسئلة في العلوم الحديثة، ولا الفلسفات عبر العصور؛ لأن ذلك ليس من شأنها. ولا توجد إجابات على كل ذلك إلا في الرسالة الإلهية في القرآن والسنة النبوية. وتقرأ عن ذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾(طه ١٢٣، ١٢٤). والإسلام يواجه الحضارة الحديثة بكل مشكلاتها، وفيه الحلول الصحيحة لكل منها والحلول الصحيحة لمشكلات كل عصر من العصور عبر الزمان وإلى يوم القيامة فالقرآن صالح لكل زمان ومكان. ونقرأ في الحديث النبوي الشريف الذي يتحدث عن النفس البشرية:- «اللهم أنت خلقتها، وأنت رزقتها وأنت هديتها للإسلام».

حقيقة الإنسان

ليس من الإنسان فى مجال العلوم التجريبية إلا الجسد المادى، أما الذات الإنسانية، فهى ليست فى مجال تلك العلوم، وكذلك لا يجرى فيها زمن. ولقد بيّن الإسلام أن الإنسان، جسد مادى يحيز النفس والعقل والروح. أما الروح وما هو، فقد تحير العلماء والفلاسفة فيه. إلا أن العلماء ذوى النزعة المادية أنكروا وجود الروح كجوهر غير محسوس، له ملكاته الخاصة، وزعموا أن حقيقة الإنسان هى حقيقة المخ، بحيث إذا تعطل المخ، وتوقفت وظائفه تمامًا، يكون الإنسان قد مات.

ولكن الحقيقة أن وراء كل ما هو محسوس فى الإنسان، ملكات أخرى غير محسوسة، بل إن القوى الفاعلة العاقلة الواعية المدركة فى الإنسان ملكات غير محسوسة، ويُستدل على وجودها بآثارها الظاهرة، والمخ والقلب وأعضاء الجسم الأخرى أدوات للنفس والروح. أما مكان الروح ومكان النفس، فقد حيّر العلماء، والظاهر أن النفس تسرى فى كل خلية من خلايا الجسم، أو يسرى أثرها فيها، أما الروح فهو مرتبط بالإنسان ارتباطا لا ندرى كنهه.. أما العقل فهو طاقة هائلة من الفهم والإدراك تتصل بالإنسان دائما وليست موجودة فى المخ، إلا أن لها بالمخ صلة..(*)

(*) انظر الجزء الثانى من هذه الموسوعة من ص ١١٣ إلى ص ١٣١.

٢ ـ نسـبية الـزمـن

■ أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**أجلكم فى أجل من كان قبلكم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس**».

■ أخرج الإمام أحمد عن أيوب عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقوم الناس لرب العالمين فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**».

■ أخرج الإمام أحمد عن دراج، عن ابن الهيثم، عن أبى سعيد الخدرى قال : قيل لرسول الله ﷺ: يوما كان مقداره خمسين ألف سنة؟ ما أطول هذا اليوم! فقال رسول الله ﷺ: «**والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا**».

■ أخرج الترمذى وابن ماجه عن عمرو بن مرة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود قال: نام رسول الله ﷺ على حصير، فنام وقد أثر فى جنبه. فقلنا: يا رسول الله، لو اتخذت لنفسك وطاء. فقال: «**مالى وللدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب راحلة، فى يوم صائف استظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها**».

■ روى أحمد فى مسنده عن أبى الحسين المكى المقرى، عن أنس بن مالك، أن النبى ﷺ قال: «**من سرّه أن يعظّم الله رزقه، وأن يمد فى أجله، فليصل رحمه**».

■ روى مسلم وأحمد وأصحاب السنن عن أبى صالح عن أبى سعيد أن النبى ﷺ قال: «**يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار. فيقال: يأهل الجنة. هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم. هذا الموت. قال ويقال يأهل النار. هل تعرفون هذا؟ قال فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم. هذا الموت. قال فيؤمر به فيُذبح، ثم يقال: يأهل الجنة خلود لا موت ويأهل النار خلود لا موت. كلٌ خالد فيما هو فيه**».

■ وأخرج مسلم فى صحيحه وأحمد فى مسنده عن عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا صار أهل الجنة إلى الجنة. وصار أهل النار إلى النار، أُتى بالموت حتى يُجْعَل بين الجنة والنار. ثم يُذبح. ثم ينادى منادٍ: يأهل الجنة: لا موت. ويأهل النار: لا موت. فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم. ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم**».

— — — — — — — —

اكتشف ألبرت أنشتاين قانونا عاما للزمن. وهو أن الزمن نسبى، ويخضع لعوامل متغيرة، كما يتغير تبعا للمكان والحركة والكتلة والسرعة.

زمن أى شىء = ساعة × عامل متغير

ويطول الزمن أو يقصر بناء على العامل المتغير المرتبط بالزمن.. وهذا الاكتشاف حديث فى نظرية النسبية لأنشتاين. إلا أننا نجد ذلك فى الحديث النبوى الشريف:

«**ما لى وللدنيا. وما أنا والدنيا إلا كراكب راحلة فى يوم صائف، استظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها**».

الإنسان مكون من ذات إنسانية (نفس وعقل وروح) غير مادية، إذا أراد لها الحياة فى الدنيا جعل لها إطارا ماديا هو الجسم المادى، فتدخل الذات الإنسانية فيه.. وعبَّر الحديث النبوى الشريف عن الإنسان وجسده المادى براكب الراحلة. الراكب هو الذات الإنسانية، والراحلة هى الجسد المادى. وعبر عن الحياة الدنيا بالشجرة وهى حياة فيها المتاعب والمصاعب، والإنسان يكابدها.. فهو يعيش فى الحياة الدنيا فى كبد، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ وعبّر الحديث النبوى عن ذلك بقوله: «فى يوم صائف».. والحياة الدنيا فيها راحة للإنسان.. فقد وفر الله تعالى للإنسان فيها كل سبل الراحة والرزق والنعيم. وعبّر الحديث النبوى عن مدة الحياة الدنيا للإنسان وأجله فيها بقوله: «استظل تحت شجرة ساعة».

الساعة هى أجل الإنسان فى الدنيا. وهو نسبى = ساعة × عامل متغير.

(ثم راح وتركها) عندما يموت الإنسان.. ترك فى الدنيا ماذا؟ هل ترك جسده فيها وهو الراحلة؟ أم ترك الدنيا؟ أم تركهما معا؟ إنه تركهما معا.. ترك الدنيا. وترك جسده فيها. وانطلقت الذات الإنسانية غير المادية (النفس والعقل والروح) إلى لقاء ربها فى الحياة الأخرى.

وماذا عن أجله فى الحياة الآخرة؟ إننا إذا عدنا إلى معادلة الزمن لأنشتاين؛ لعلمنا أن الزمن = ساعة × عامل متغير.. والعامل المتغير فى الآخرة ليس متغيرا، فهو «لا نهائية». إذن فحياة الإنسان فى العالم الآخر = ساعة × اللانهائية = الخلود

لذلك لا يكون فى الحياة الآخرة موت. وسُئِل رسول الله ﷺ: هل ينام أهل الجنة يا رسول الله؟

قال: «النوم أخو الموت. والجنة لا موت فيها».

وفى الآخرة لا موت.. وإنما خلود.. وهناك يتوقف الزمن كما أخبرنا الحديث النبوى الشريف.

وتوقف الزمن فى العالم الآخر أخبرنا به الحديث النبوى الشريف الذى رواه البخارى ومسلم عن السيدة عائشة، أن الأعراب سألوا رسول الله ﷺ عن الساعة. فنظر إلى أحدث إنسان منهم وقال : «إن يعش هذا لا يدركه الهرَم. قامت عليكم ساعتكم».

لم يدركه الهرم: أى توقف الزمن فيه. فدل هذا الحديث الشريف على أن العالم الآخر لا زمن فيه. والعالم الذى لا زمن فيه يتساوى فيه اليوم مع السنة، مع الألف سنة مع المليون من السنين، ونجد ذلك فى قول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج ٤٧) وفى سورة المعارج يقول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قيل: يا رسول الله ما أطول هذا اليوم! قال: «والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا».

أى إن خمسين ألف سنة فى الآخرة تساوى دقائق معدودات فى الدنيا وفى هذا الدليل على نسبية الزمن.

نسبية الزمن تبعا لعامل السرعة والحركة:

الزمن مرتبط بالحركة.. والحركة مرتبطة بالزمن.. فلا توجد حركة بدون زمن.. ولا تتم حركة إلا فى زمن معين.. وكل حركة تتم فى سرعة معينة، وبذلك تتعلق الحركة والسرعة بالزمن، ونضرب مثلا: المسافة بين القاهرة والإسكندرية نحو مائتى كيلو متر، إذا أراد رجل أن يقطعها سيرًا على الأقدام فإنه سيقطعها فى نحو أربعين ساعة، إذا سار دون أن يستريح.. أما إذا ركب قطارا سريعا، فسيقطع المسافة فى نحو ثلاث ساعات أو أكثر أو أقل.. أما إذا ركب طائرة فسيقطعها فى نصف ساعة فقط.

وهذا مثل على أن أى مادة، ما إن تتحرك؛ حتى يكون الزمن قد ارتبط بها.

وسرعة الحركة تحدد المدة الزمنية.. فالزمن نسبى، تحدد نسبيته مقدار القوة المحركة، والمسافة، والسرعة.

ولقد قص علينا القرآن الكريم حادثين أحدهما: حدث بسرعة تقترب من سرعة الضوء، وثانيهما حادث توقف فيه الزمن.

الحادث الأول: هو فى قصة النبى سليمان مع مملكته وجنوده. قال الله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (النمل ٢٠ – ٢٣).

وملكة سبأ كانت بلقيس.. وكانت تعبد وقومها الشمس من دون الله.. وتقع مملكة سبأ فى اليمن.. وكان النبى سليمان فى الشام على بعد ثلاثة آلاف كيلو متر من سبأ.. يقول الله عز وجل يحكى عما قاله الهدهد للنبى سليمان: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ﴾ (النمل ٢٤).

وفكر النبى سليمان وأراد أن يستوثق مما بلغه من الهدهد.. فأرسله برسالة إلى ملكة سبأ يدعوها إلى الإيمان بالله تعالى. وفى ذلك يقول الله عز وجل: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ (النمل ٢٨)، فذهب الهدهد إلى ملكة سبأ.. وأرسل الخطاب إليها فقرأته.. وفى ذلك يقول الله عز وجل: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾(النمل ٢٩ – ٣١).

فأرسلت هدية للنبى سليمان، فلم يقبلها. وسأل أعوانه أيهم يأتيه بعرشها؟.. قال الله عز وجل: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ (النمل ٣٩).

الآية الكريمة تدل على أن للجن طاقات هائلة فوق طاقة الإنس.. فهذا الجنى فى استطاعته أن يأتى النبى سليمان بعرش بلقيس من على بعد ثلاثة آلاف كيلو متر قبل أن يقوم من مقامه – يعنى بعد ساعة أو ساعتين – فنسبية الزمن هنا تتجلى فى القوة المحركة وسرعة الحركة.. والعاملان فى شدة القوة؛ لذلك قل الزمن الذى ينقل فيه عرش بلقيس من شهور عديدة على ظهر الدواب، ومن عدة ساعات لو كان بواسطة الطائرة إلى ساعة أو ساعتين فقط بواسطة ذلك العفريت من الجن.

فنسبية الزمن تحددها القوة المحركة والمسافة والسرعة.

ويدهش الجميع.. وينصت النبى سليمان.. وتكون المفاجأة أن إنسانا بشرا من أعوان النبى سليمان يعلن عن استطاعته أن يأتى بعرشها قبل أن يرتد إليه طرفه أى بعد جزء من الثانية!

قال الله عز وجل يحكى عن ذلك: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ (النمل ٤٠).

فمن هو ذلك الإنسان الذى عنده علم من الكتاب؟ جاء فى الأثر أنه كان من عباد الله الصالحين، وكان عنده اسم الله الأعظم، الذى إذا سأل به أعطاه الله، وإذا دعا به أجابه الله تعالى، والكتاب هو التوراة التى أنزلها الله تعالى على النبى موسى. وهؤلاء الناس قلوبهم مهيأة بفضل الله عليهم للاتصال بقوى كونية عالية، فصاروا ربانيين.. وفى الحديث «رُبَّ أشعث أغبر، لو أقسم على الله، لأبرَّه الله».

.. لقد أحضر عرش بلقيس من على بعد ثلاثة آلاف كيلو متر فى جزء من الثانية، بين طرفة عين وانتباهتها !..

الحادث الثانى: حدث فى لا زمن – إنه حادث عظيم وصل فيه رسول الله ﷺ فى رحلة المعراج إلى ما بعد أقطار السماوات والأرض وعاد بعد ذلك فى لا زمن.. ودليل ذلك أن رسول الله ﷺ عاد إلى مكة، وكان فراشه لايزال دافئا، وإبريق الماء الذى أريق بفعل ردائه عند مغادرته مكة، عاد وكان لايزال الماء فيه جاريا.. أى إن الحادث كله وقع فى لا زمن.. وهذه حقيقة إيمانية وحقيقة علمية أيضا. فمعادلة الزمن كما قال أنشتاين: الزمن = ساعة × معامل نسبى.

فإذا كان ذلك المعامل لا نهائى؛ فإن الزمن يكون صفرًا «أى لا زمن»، وهذا ما حدث فى رحلة الإسراء والمعراج(*)

نسبية الزمن فى القرآن والحديث النبوى:

قال تعالى فى سورة الحج (آية ٤٧): ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ وأخرج الإمام أحمد عن دراج عن ابن الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال: قيل يا رسول الله يوما كان مقداره خمسين ألف سنة؟! ما أطول هذا اليوم! فقال رسول الله ﷺ: «**والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا**». وهو حديث نبوى شريف يبين نسبية الزمن بكل وضوح.

ولم يكتشف العلماء نسبية المكان والزمان إلا بعد نزول القرآن بثلاثة عشر قرنا من الزمان.

فقد توصل أنشتاين إلى نظرية النسبية الخاصة عام ١٩٠٥، وأوجزها فى هذه الكلمات: «**لا يجب أن نتحدث عن الزمان دون المكان، ولا عن المكان دون الزمان. ومادام كل شىء يتحرك فلابد أن يحمل زمنه معه. وكلما تحرك الشىء أسرع، كلما زاد انكماش زمنه بالنسبة لما حوله من أزمنة**».

ونظرية النسبية نظرية فى غاية الدقة والتعقيد، إلا أنه ثبت أنها صحيحة.. وقانون هذه النظرية هو:

$$\frac{\text{الفترة الزمنية بالنسبة للراصد الساكن}}{\text{الفترة الزمنية بالنسبة للراصد المتحرك}} = \frac{١}{\sqrt{١ - \left(\frac{\text{سرعة التحرك}}{\text{سرعة الضوء}}\right)^{٢}}}$$

وثبت عمليا فى معامل الطبيعة أن الجسيمات الذرية يطول زمنها فى نظر راصدها إذا ما تحركت بسرعة قريبة من سرعة الضوء. ويقول أنشتاين: إنه طبقا لهذه المعادلة فإن الساعة تتأخر $\frac{١}{٢}$ ثانية كل ساعة، إذا بلغت السرعة ثلاثة آلاف كيلو متر فى الثانية.

وتتأخر الساعة ١٨ ثانية كل ساعة، إذا بلغت السرعة ثلاثين ألفا من الكيلومترات فى الثانية

.. أما إذا بلغت السرعة سرعة الضوء، فإن الزمن يتوقف تماما.

وقال أنشتاين إننا لو تخيلنا أننا ركبنا صاروخا يتحرك بسرعة ٨٠٪ من سرعة الضوء (٢٤٠,٠٠٠ كيلو متر فى الثانية) وقد توجهنا إلى نجم يبعد عنا خمسين سنة ضوئية، فإن الصاروخ سيصله بعد نحو ٦٠ عاما بحساب الزمن الذى يجرى على الأرض، بينما نحن المسافرين داخل الصاروخ فإنه يستغرق ٣٠ سنة فقط.. وهذا يعنى أننا إذا قطعنا الرحلة أياما إلى الأرض بنفس السرعة، سنجد أن أولادنا أو أحفادنا أكبر منا سنًا!.. هكذا تقول نظرية النسبية لأنشتاين.

(*) ما حدث فى رحلتى الإسراء والمعراج: الجزء الأول من هذه الموسوعة ص ٣٩.

وتقول أيضا: إنه لو تخيلنا أن سرعة الصاروخ اقتربت جدا من سرعة الضوء؛ فإن الرحلة التى تستغرق خمسين ألف سنة مثلا (حسب زمن الأرض) يمكن أن تدوم يوما واحدا فقط بالنسبة لمن فى الصاروخ..

وقد يفسر هذا القانون الآية الكريمة تفسيرا علميا: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج ٤)، وقد نجد فيه تفسيرا علميا للحديث النبوى الشريف. قال رسول الله ﷺ: «**يقوم الناس لرب العالمين فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. قيل يا رسول الله ما أطول هذا اليوم! قال: والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يؤديها فى الدنيا**» أى دقائق معدودات!

ويقول الله عز وجل: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (السجدة ٥)

ويقول تعالى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج ٤)، والحديث النبوى الشريف يتحدث عن يوم مقداره خمسون ألف سنة أيضا.

فهَل هناك تناقض علمى بين الحديث والآية، وبين الآية والآية؟

نقول لا .. بل هو إعجاز علمى عظيم. فإنه طبقا للنظرية النسبية، فإن الانكماش الزمنى يزداد كلما ازدادت السرعة فى الكون.. وعروج الملائكة والروح - وهو جبريل عليه السلام - يكون بسرعة أعظم وبالتالى يعطى انكماشا زمنيا أعظم، فيكون اليوم مثل خمسين ألف سنة من الزمن المعروف للناس، أما سرعة عروج غير الملائكة والروح فتكون أقل، ولذلك يكون انكماش الزمن أقل، ويكون فى يوم كان مقداره ألف سنة من الزمن المعروف للناس فى الأرض.

ويمكن أن يفسر الحديث النبوى الشريف بمعادلات النسبية أيضًا.

إلا أننا نبادر على الفور ونقول: إن أمر الله عز وجل لا يخضع لزمن وتقدير الله تعالى فى خلقه، لا تجرى عليه قوانين الزمن، ولا قوانين النسبية، ولا نواميس الخلق.. لأن كل ذلك مخلوق، ولا تجرى قوانين المخلوق على إرادة الخالق، وإنما أراد الله عز وجل أن يرينا فى الدنيا، ما نستدل به على الحقائق الغيبية، ويسهل علينا فهمها عن طريق العقل.

٣ ـ بداية الحياة الإنسانية فى الجنين

■ أخرج البخارى عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق - قال: «يجمع أحدكم فى بطن أمه أربعين يوما. ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك. ثم يبعث إليه ملكا فيؤمر بأربع: برزقه وأجله، وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح»... إلخ الحديث الشريف.

■ أخرج مسلم عن أبى الطفيل، عن حذيفة بن أسيد، أن النبى ﷺ قال: «يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر فى الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة، فيقول يا رب أشقى أو سعيد؟ فيُكتبان. فيقول: أى رب أذكر أو أنثى؟ فيُكتبان. ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه، ثم تطوى الصحف. فلا يزاد فيها ولا ينقص».

■ أخرج مسلم عن أبى الزبير المكى، عن عامر بن واثلة، عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكا. فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها، ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضى ربك ما شاء. ويكتب الملك. ثم يقول: يا رب: أجله، فيقول ربك ما شاء. ويكتب الملك. ثم يقول: يا رب: رزقه. فيقضى ربك ما شاء. ويكتب الملك. ثم يخرج الملك بالصحيفة فى يده. فلا يزيد على ما أُمر ولا ينْقص».

■ وأخرج أحمد فى مسنده عن على بن زيد عن أبى عبيدة بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «إن النطفة تكون فى الرحم أربعين يوما على حالها لا تُغيَّر فإذا مضت الأربعون صارت علقة ثم مضغة كذلك. ثم عظاما كذلك. فإذا أراد الله أن يسوِّى خلقه، بعث إليها ملكا. فيقول الملك الذى يليه: أى رب أذكر أم أنثى؟ أشقى أم سعيد، أقصير أم طويل؟ أناقص أم زائد؟ قوته، أجله. أصحيح أم سقيم؟ فيكتب ذلك. فقال رجل من القوم: ففيم العمل وقد فُرغ من كل هذا. قال ﷺ: «اعملوا. فكل سيوجه لما خُلق له».

— — — — — — — —

تبدأ الحياة بالخلية الأولى فى الجنين (البويضة الملقحة) . وهذه الخلية بها كل صفات الحياة وكل آثارها كالنمو والتكاثر. ثم تحدث أطوار الخلق فى الجنين بعد ذلك، ثم تنفخ فيه الروح، فمن الطبيعى أن الروح لا تنفخ فى جنين ميت، من هنا نفهم أن الحياة فى الجنين سابقة على نفخ الروح فيه. وهذا يدل أيضا على أن بداية الحياة لا تعتمد على نفخ الروح. ومادام الأمر كذلك فإن نهاية الحياة لا تعتمد على خروج الروح من الجسم.

ونفخ الروح فى الجنين حقيقة غيبية لا ندرى كنهها ولا نعرف آثارها، أما الذى يحاول أن ينسب تغيرات حسية فى الجنين بعد نفخ الروح فيه فإنه بذلك يجنح إلى الخيال والحيوان المنوى حى، والبويضة حية، ولكن الحياة بهما حياة خلوية. وباتحادهما تصير خلية بشرية كاملة، وفيها حياة لها صفات أخرى، تختلف عن صفات الحياة الخلوية، إنها حياة جنينية إنسانية لها أسرارها ولكنها قطعا لا تحقق بشريتها إلا بنفخ الروح فى الجنين.

ولا نتصور أن الحياة فى الجنين قبل نفخ الروح حياة نباتية؛ لأن الحياة النباتية لها سماتها وخصائصها، ولا توجد فى حياة الجنين فى أيامه الأولى أشباه لها.

ويعد خلق الخلية الأولى فى الجنين تتكاثر إلى خلايا كثيرة، ويبدأ تكون النطفة الأولى. والملكات غير المحسوسة فى الجنين ملكات عديدة ومتتابعة، ولا يعرف سرها إلا الله عز وجل، وهى الحياة والنفس والعقل والروح. فهى ليست شيئا واحدًا.. ومن البديهى أن الجنين ليس فى حاجة إلى طاقة العقل. وإنما تبث فيه بعد الولادة.. ومما لاشك فيه أن خلق الجنين منذ اللحظة الأولى فى الخلق، فيه الكثير من أسرار الخلق التى لا نعلم عنها شيئا مذكورا، إلا أنه كائن حى بكل مقاييس الحياة التى نعرفها. وهى حياة لها كرامتها عند الله ولها حرمتها- حتى قبل نفخ الروح فيها - ودليل ذلك أن السنة النبوية المشرفة قضت بتأجيل عقوبة الإعدام إذا كانت المحكوم عليها حاملا ولو كان الحمل عمره أيام. فحياة الجنين حتى قبل نفخ الروح فيه حياة محترمة، ولها حرمتها وكرامتها ولا يجوز إعدامها. ويمكن القياس على هذه الحقيقة فى أمور كثيرة مثل الإجهاض قبل نفخ الروح فى الجنين.

ومن الناس من استنتج من هذا أن الحياة الإنسانية تبدأ منذ بداية الحمل. وهذا تفكير مادى بحت لا يعطى اهتماما بالروح ولا يؤمن بأن الروح تحقق بشرية الجنين. والواقع عكس ما يفكرون(*) وليس معنى حرمة الجنين قبل نفخ الروح فيه أنه مخلوق بشرى، ولكنه بشر باعتبار ما سيكون، تماما كحرمة نزع فسيلة مغروسة فى الأرض - مع أنها لم تصبح نخلة بعد - ولكن حرمة نزعها لأنها نخلة باعتبار ما سيكون.

ولا شك أن هناك فرقا جوهريا بين الحياة فى الجنين قبل نفخ الروح فيه، والحياة فى الجنين بعد نفخ الروح فيه. ودليل ذلك أن الجنين إذا نزل سقطا قبل نفخ الروح فيه لا حق له فى إرث ولا يطلق عليه اسم. كما أن الحياة فى الطفل تختلف عن الحياة فى الجنين؛ ربما لأن الحياة فى الطفل مُنحت ملكة خاصة جديدة هى ملكة العقل. وبذلك صار الطفل بشرا كاملا وسويا ودليل ذلك أن العدوان على الجنين فيه دية. أما العدوان على الطفل ففيه قصاص.

إذن فالحياة فى الجنين قبل نفخ الروح لها مكانة وحرمة. وبعد نفخ الروح تصير حياة بشرية لها حقوق شرعية لم تكن لها من قبل نفخ الروح. وبعد الولادة تصير حياة الطفل أكثر كمالا وأكثر احتراما.

.. ومتى تنفخ الروح فى الجنين؟

جاء فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «يجمع خلق أحدكم فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك. ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بكتابة أربع: رزقه ، وأجله، وعمله، وشقى أو سعيد».

والحديث الشريف تفسير لقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ

(*) ويرى الدكتور عبد الله باسلامه الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز بالرياض أن حياة الخلية الأولى فى الجنين ليست حياة إنسانية، والحمل العنقودى فيه الدليل على ذلك، فهو حمل يؤدى إلى كتلة من الخلايا الحية vesiwlan male فيها القدرة على الانقسام السريع والانتشار داخل الرحم والبطن. ولكنها ليست حياة إنسانية فمثلها مثل ورم سرطانى خطر قد يدمر حياة الأم، ويجب التخلص منه بأسرع وقت ممكن. كما أن الورم السرطانى فى خلاياه حياة، ولكنها ليست حياة إنسانية.. إذن فليس كل حياة فى الجسم يجب أن نحافظ عليها، وليس كل تخلص من الحياة محرما؛ من أجل ذلك كان التخلص؛ من جنين حى بالإجهاض مشروعا إذا كان استمراره يهدد حياة الأم.

مَكِينٍ(١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون ١٢ -١٤).

القرآن الكريم ذكر مراحل خلق الإنسان فى رحم أمه من الناحية التشريحية، وذكر الحديث النبوى مراحل خلق الإنسان فى رحم أمه من الناحية الزمنية، وأوضح ما يحدث فى هذه المراحل من بث الروح فى الجنين، وبداية الحياة البشرية فيه، وما يكتب له الملك بإذن ربه من رزق، وأجل وعمل، وشقى أو سعيد.

والجنين حى فى بطن أمه قبل نفخ الروح فيه وهى حياة حيوانية ولابد للحياة من نفس، والنفس فى جنين الإنسان نفس بشرية. أما نفخ الروح فهو بعد أربعينات ثلاثة.

وقد ذهب معظم الناس إلى الاعتقاد بأن نفخ الروح يصير بعد تمام أربعة أشهر. إلا أن حديثا نبويا شريفا وصحيحا رواه مسلم عن ابن مسعود قال النبى ﷺ فيه: «**إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه نطفة أربعين يوما ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك. ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك. ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد**».

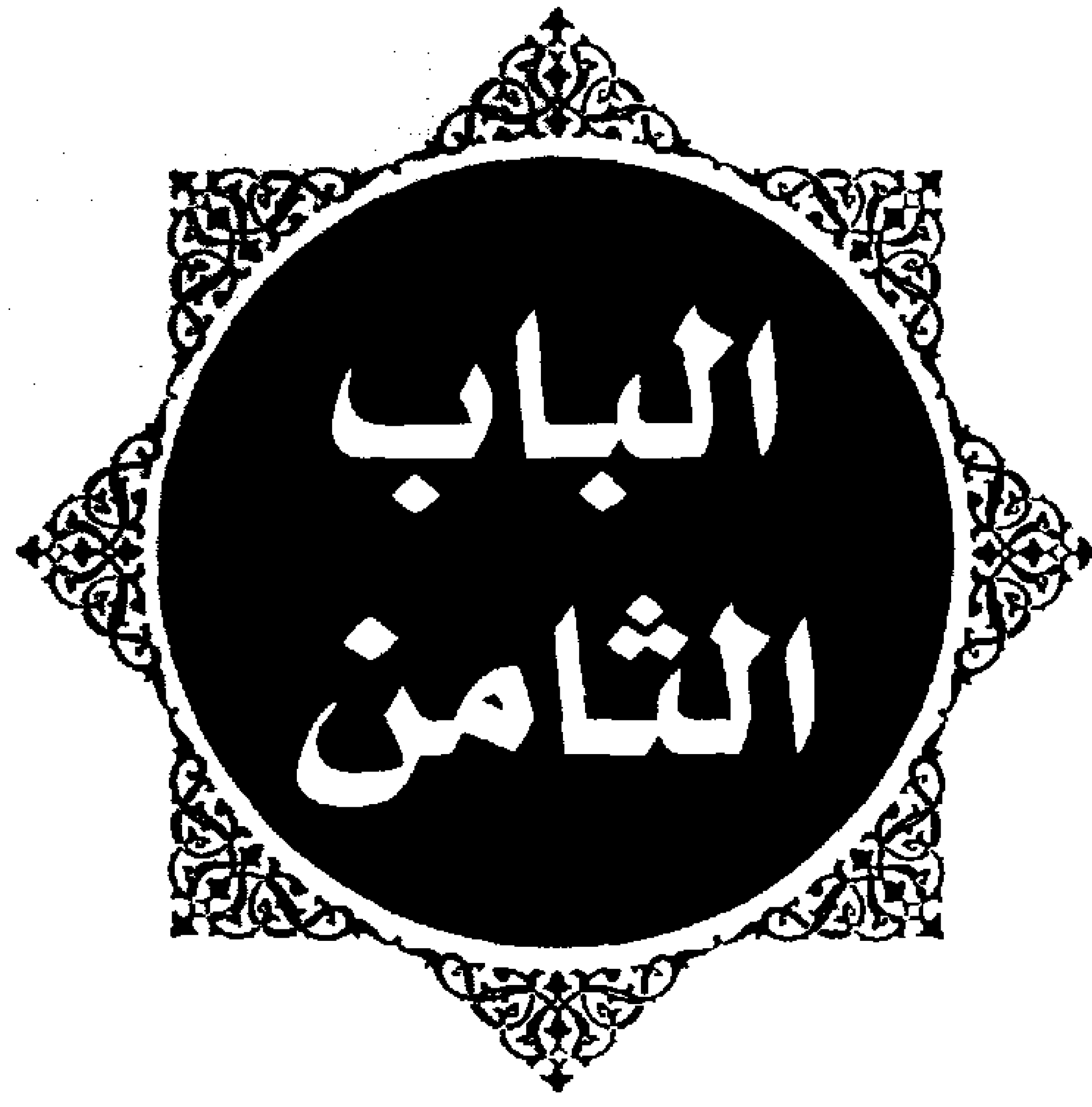
وليس هناك تعارض بين الحديثين الشريفين نلاحظ قوله ﷺ: «**ثم تكون فى ذلك علقة مثل ذلك ثم تكون فى ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح**» من هذا نفهم أن الأربعينات الثلاثة قد تكون متتالية وقد تكون متداخلة فى بعضها البعض أى إن الروح قد تنفخ قبل مائة وعشرين يوما وقد تكون بعد ثمانين أو تسعين أو مائة يوم مثلا: حسب قدر تداخل تلك الأربعينات فى بعضها البعض.

وتتكون أول خلية إنسانية حية من التقاء الحيوان المنوى بالبويضة. وقد يسميها بعض العلماء (الحياة الخلوية) وسرعان ما تنقسم أزواجا أزواجا. ثم تنغرس فى جدار الرحم. ويستمر نموها كما يستمر نمو أى ورم بالجسم والحياة فى هذا الطور من خلق الجنين يمكن أن تسمى (الحياة النسيجية) ويبدأ القلب فى النبض فى الأسبوع السادس الرحمى. ويكون طول الجنين نحو ٢٢ ملليمترًا.

وبعد ذلك تظهر أعضاء الجسم الأخرى ثم العظام ثم العضلات. وبداية عمل القلب لا تدل على بداية الحياة البشرية، فهى تحدث فى جنين كل الثدييات والفقاريات. ويمكننا أن نطلق على الحياة فى هذا الطور من نمو الجنين (الحياة العضوية) نسبة إلى بدء تكوين أعضاء الجسم فى الجنين وإن كانت الروح لم تنفخ فيه بعد.

ويبدأ المخ فى التكوين فى الأسبوع الثانى عشر من عمر الجنين، ومنذ ذلك التاريخ تبدأ اختلاجات عضلية تشنجية، ثم تبدأ حركات متوافقة مثل الحركة بالأصابع والحركة بالعنق. ثم تبدأ عضلات التنفس فى التحرك (وهى عضلات الحجاب الحاجز والعضلات بين الأضلاع. وعضلات الصدر) والجنين لا يتنفس هواء فى رحم أمه، ولكن تلك الحركات العضلية تدفع بعض السوائل صعودا وهبوطًا فى البلعوم. وهذه الانقباضات العضلية لعضلات التنفس تدل على بدء عمل جذع المخ فى الجنين، ففيه المراكز العصبية التى تغذى حركات عضلات التنفس. وتستمر حركة عضلات التنفس بعد الولادة وطوال الحياة، ولا تتوقف عن العمل إلا عند وفاة الجسم.

وذكر الدكتور مختار المهدى أستاذ جراحة المخ والأعصاب فى مؤتمر عقد ١٩٨٥ بالكويت أنه ابتداء من الأسبوع الثانى عشر من عمر الجنين يكون المخ قد تم تكوينه. وهنا يمكننا أن نقول عن هذه المرحلة (بداية الحياة الإنسانية). وبذلك اعتبر بداية الحياة الإنسانية عند تمام تكون جذع المخ. واستنتج من ذلك أن نهاية الحياة الإنسانية هى عندما يموت جذع المخ - هذا رأيه.



أجل الإنسان من البداية إلى النهاية

١- بداية الحياة الإنسانية.

٢- الوفاة نهاية الحياة البشرية.

أجـل الإنسـان من البدايـة إلى النهايـة

■ أخرج البخارى عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق – قال: «إن أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك. ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع: برزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح»... إلخ الحديث الشريف.

أى إن الروح تنفخ فى الجنين وهو حى. ونستدل من هذا على أن الروح ليست سر حياة الإنسان.. فحياة الإنسان فى بطن أمه، سابقة على نفخ الروح فيه.

ونفهم من الحديث الشريف أن قدر الإنسان فى الدنيا، قد تم قبل نفخ الروح فيه. وأن الروح تنفخ بعد مرور أربعينات ثلاث. (١٢٠ يوما). وهذه هى بداية حياة الإنسان.

■ أخرج مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عمر، أنه أمر رجلا إذا أخذ مضجعه قال: «اللهم خلقت نفسى وأنت توفّاها. لك مماتها ومحياها. إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها. اللهم إنى أسألك العافية» فقال ابن الحارث لعبد الله بن عمر: أسمعت هذا من عمر؟ فقال: بل من خير من عمر، من رسول الله ﷺ.

■ أخرج مسلم فى صحيحه عن أبى عبد الرحمن السُلَمِىّ عن على قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من نفس إلا وقد عُلم منزلها من الجنة والنار» قالوا: يا رسول الله: فلم العمل؟ أفلا نتكل؟ قال «لا. اعملوا فكل مُيَسر لما خلق له» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾.

أى إن كل إنسان عندما يموت يرى مقعده من الجنة أو دركه من النار.

■ أخرج مسلم فى صحيحه عن جابر، عن سراقة بن مالك بن جُعْشم قال: «يا رسول الله. بيّن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن. فيم العملُ اليوم؟ أفيم جفت به الأقلام، وجرت به المقادير. أم فيم يُستقبلُ؟ قال: لا. بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير».

قال: ففيم العمل؟ قال ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خُلق له».

■ (جفت به الأقلام) أى مضت به المقادير، وسبق فى علم الله تعالى. وتمت كتابته فى اللوح المحفوظ، وجف القلم الذى كتب به، وامتنعت فيه الزيادة والنقصان.

■ أخرج البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى موسى، عن البراء أن النبى ﷺ كان إذا أخذ مضجعه قال: «اللهم باسمك أحيا، وباسمك أموت» وإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذى أحيانا بعد أن أماتنا وإليه النشور».

«باسمك أحيا وباسمك أموت» أى أنت تحيينى وأنت تميتنى والاسم هنا هو المسمى.

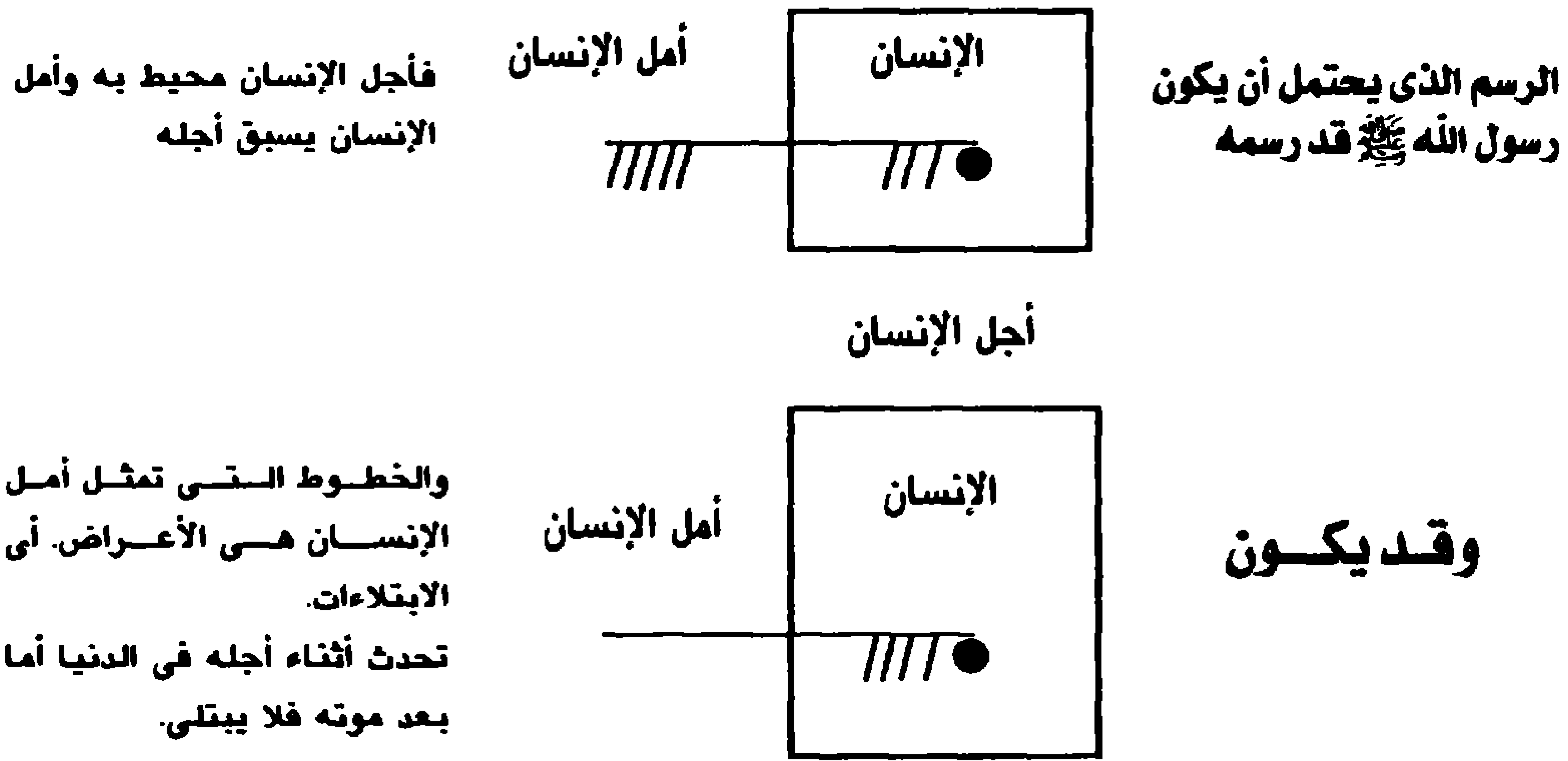
«بعد أن أماتنا وإليه النشور» أماتنا أى أدخلنا فى النوم. والنشور هو الإحياء بعد الموت فى الآخرة.

■ أخرج مسلم فى صحيحه وأحمد فى مسنده عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، تُفيئها الرياح، تصرعها مرة وتعدلها، حتى يأتيه أجله. ومثل المنافق مَثَلَ الأرزة المُجذية، التى لا يصيبها شىء، حتى يكون انجعافها مرة واحدة».

ـ انجعافها: انقلاعها.

■ أخرج البخارى وأحمد عن منذر عن ربيع بن خثيم عن عبد الله بن مسعود قال:

خط النبى ﷺ خطا مربعا. وخط خطا فى الوسط خارجا منه. وخط خطوطًا صغارًا إلى هذا الذى فى الوسط من جانبه الذى فى الوسط، وقال: «هذا الإنسان. وهذا أجله محيطٌ به - أو قد أحاط به - وهذا الذى هو خارج أمله. وهذه الخطوط الصغار الأعراض. فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا».



■ أخرج مسلم وأحمد وابن ماجه عن قتادة. عن أنس أن النبى ﷺ قال:

«يهرم ابن آدم. ويشب من اثنين: الحرص على المال والحرص على العمر».

– أى إن جسم الإنسان يهرم ويجرى فيه الزمن. أما الذات الإنسانية فلا تهرم ولا يجرى فيها الزمن. وتظل فى شباب دائم.

■ أخرج البخارى عن يونس، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال قلب الكبير شابا فى اثنين: فى حب الدنيا، وطول الأمل».

وفى رواية أنس أن النبى ﷺ قال: «يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنتان حب الدنيا وطول العمر».

١ - بداية الحياة الإنسانية

بداية الحياة الإنسانية كانت فى آدم، كما قال الله عزوجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾(الحجر ٢٨، ٢٩). فالحياة بدأت من آدم. ثم تسلسلت من أصلها سلالة من سلالة بلقاء ذكر بأنثى. فالحيوان المنوى من الأب والبويضة من الأم بهما نوع من الحياة مستمرة ومستمدة من الحياة التى بثها الله تعالى فى آدم. ثم فى ذريته من بعده.

فالحياة سر عام فى كل الجنس البشرى أما نفخ الروح فهو سر خاص لكل فرد من أفراد البشر، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (السجدة ٧)، أى بدأ (خلق آدم) من طين. ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ أى من أمشاج من الذكر والأنثى ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ أى سوى خلق الجنين ثم نفخ فيه من روحه ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ هو الخلق بعد الولادة.

إذن فمن النصوص الشرعية، ومن الاجتهادات التى تكونت حولها، نستطيع أن نقول إن حياة الإنسان تبدأ فى الشهر الرابع الرحمى. وما يسبق ذلك من حياة فى الجنين لا توصف بحياة بشرية. وحديث الأربعينات الذى أخرجه الشيخان أساس البناء لهذا التصور(*) ولو كانت الحياة البشرية تبدأ بالخلية الأولى ما تأخر إرسال الله تعالى للملك يأمره بنفخ الروح. ونفخ الروح سبب خلق الحياة البشرية (الحياة الإنسانية) فى الجنين(**). ونفخ الروح معناه أن الله تعالى يقول للجنين كن بشرًا فيكون(***) ويرى الإمام ابن القيم نفس الرأى قال إن للجنين حياتين. الأولى كحياة النبات قبل نفخ الروح فيه. ومن آثارها النمو والاغتذاء. والثانية: حياة إنسانية تحدث بنفخ الروح فيه ومن آثارها الحس والحركة.(****)

أين تقع النفس والروح فى الجسم؟

فى الجسد الحى جميع الأعضاء تعمل معًا فى توافق تام. وتتم داخل الخلية الحية الواحدة مئات التفاعلات الكيميائية والخلايا لا تعمل بمعزل عن بعضها. ولكنها جميعًا تعمل فى تعاون تام، وهذا التعاون التام يتم بناءً على نظام الوراثة الموجود فى نواة كل خلية حية. وبذلك يعمل الجسم كله فى توافق تام، وتعاون كامل. وكل خلية لها عمر وينتهى وتحل محلها خلية جديدة صورة طبق الأصل من الخلية التى ماتت. وحتى خلايا العظام تتغير كل عدة شهور وتحل محلها خلايا جديدة لها نفس الصفات ونفس الخصائص. ماعدا الخلايا العصبية فإذا ماتت واحدة منها لا تحل محلها خلية جديدة.

(*) فتح البارى لشرح صحيح البخارى ص١١ ص ٢٠٥.

(**) الجامع لأحكام القرآن ص١٢ ص٨.

(***) فتح البارى ص١١ ص٤١١.

(****) التبيان فى أقسام القرآن للإمام ابن قيم الجوزية.

معنى هذا أن موت الجسم لا يعنى موت الإنسان. وأن حياة الجسم لا تعنى حياة الإنسان. وبمعنى آخر: خلايا الجسم لا تشارك الإنسان روحه.. ومن المحتمل جدًا أن تكون للروح صلة بالمخ وخلاياه لأنها لا تتبدل بخلايا جديدة.

أما أعضاء الجسم الأخرى فلا تشارك الإنسان حياته، ودليل ذلك أننا إذا أخذنا بعض خلايا الجسم لزراعتها فى المعمل، أو دراستها، فإن تلك الخلايا لا تموت بخروجها من الجسم. وعند استئصال كلية حية من جسم إنسان لزراعتها فى جسم آخر، نجد أن تلك الكلية لا تفقد حياتها باستئصالها من جسم صاحبها، ولا تكتسب نفسًا ولا روحًا جديدة فى الجسم الذى نقلت إليه. ولو حدث وتوفى صاحبها الأول، فهى لا تموت بموته ولكنها تستمر فى حياتها الذاتية فى الجسد الذى نقلت إليه، وتؤدى نفس العمل الذى خلقت من أجله مادامت توافرت لها أسباب الحياة.

ونفترض فرضًا آخر: إنسان نقل إليه عضو من أعضاء جسمى. ثم ارتكب ذلك الإنسان ذنوبًا ومعاصى اشترك فى ارتكابها معه ذلك العضو من أعضاء جسمى. أأحاسب أنا على ذنب ارتكبه إنسان غيرى استخدم فيه أحد أعضاء جسمي؟ الجواب على ذلك أن أعضاء الجسم لا تحاسب على المعاصى التى يرتكبها الإنسان سواء أكانت فى جسمه هو أو فى جسم إنسان آخر. أما الذى يحاسب فهو النفس البشرية التى أمرت أعضاء الجسم بارتكاب تلك المعاصى.

ولكن أين تقع النفس وأين تقع الروح فى الجسم؟

من المحتمل أن تكون النفس ويكون الروح كامنين فى المخ. أو لهما علاقة وثيقة به؛ لأن بالمخ كل مراكز استقبال الحواس وكذلك المراكز التى يحس الإنسان بواسطتها بكل الأحاسيس كما أن المخ مستودع الذاكرة والعلم. فضلاً عن أنه العضو الوحيد الذى لا يتغير قط أثناء الحياة. كما تفعل أعضاء الجسم الأخرى التى تتغير دائمًا وتتبدل بأعضاء أخرى صورة طبق الأصل منها.

ومن المعروف أن تلف جزء من المخ ينتج عنه فقد قدرات معينة اختص بها ذلك الجزء التالف. والمخ يتكون من بلايين عديدة من الخلايا العصبية التى يشبه كل منها «كمبيوتر» هائلاً إلا أنه دقيق الحجم جدًا، يترجم كل الأحاسيس إلى ومضات كهربائية تحملها أعصاب خاصة معزولة عما حولها تنتهى إلى أطراف دقيقة تترجم تلك الومضات التى تحملها إلى طاقة كيميائية، تقوم بدورها بتنبيه أعصاب أخرى. وهكذا يستقبل المخ الأحاسيس جميعًا وينفذ رد الأفعال لذلك.

وهناك مكان معين فى المخ هو على علم تام بكل ما يصل إلى المخ ويخرج منه، إنه جذع المخ وما به من مراكز حيوية، وما به نسيج شبكى، الذى له تأثير كبير على أجزاء أخرى فى المخ، فضلاً عن أنه هو المسئول عن الوعى والإدراك واليقظة. وإذا تعرض ذلك النسيج الشبكى لضرر ما، فقد الإنسان وعيه. ويبدو أن جذع المخ بكل محتوياته هو مكان اتصال الروح بالجسم.

وأين مكان اتصال العقل بالإنسان؟

العقل ليس سر الحياة فى الإنسان. وغياب العقل وذهابه لا يؤدى إلى وفاة الإنسان أو موته، فالعقل هو الأمانة التى أعطاها الله تعالى للإنسان دون سائر خلقه وبواسطتها يفهم كل ما يدور حوله ولديه طاقة الاختيار.

وربما يكون العقل متصلاً بقشرة المخ؛ لأن العقل خارج عن المخ. إلا أن بينه وبين قشرة المخ اتصالا مستمرا. وإذا تلفت قشرة المخ فقد الإنسان اتصاله بالعقل. وفى حالات نادرة يتوقف القلب والرئتان عن العمل فى إنسان عدة دقائق. وقد ينجح الأطباء فى إعطاء صدمات كهربائية للقلب فيعود إلى العمل وتعود الرئتان إلى العمل أيضًا. ولكن قشرة المخ تكون قد تلفت تمامًا وبلا عودة. فى الوقت الذى فيه تكون أجزاء المخ الأخرى وجذع المخ فى عملها المعتاد وحياتها ونشاطها. ويعيش الإنسان جسدًا حيا به كل صفات الحياة، ولكن بلا عقل ويعبر عنه الأطباء بأنه حياة نباتية، إلا أن التعبير الصحيح (حياة جسدية إنسانية) فهو إنسان لأن روحه ونفسه لم يغادراه وإنما الذى حجب عنه هو العقل بسبب موت قشرة المخ، وقد يعيش ذلك «الإنسان» أعوامًا فى مستشفى تحت عناية تمريضية خاصة.

ومـــا الـــروح؟

الروح ليست مادية. ولا تخضع لأى علم تجريبى والروح خالدة ولا يجرى فيها زمن. ولكن الروح تعرف بآثارها وآثار مغادرتها للجسد. ومذهب الصحابة رضوان الله عليهم أن الروح ليست جزءًا من أجزاء البدن ولا صفة من صفاته (رسالة العقل والروح لابن تيمية).

والروح من أمر الله ولا نعلم عنها شيئًا إلا ما أخبرنا به القرآن والحديث النبوى ووصف القرآن الكريم حالة الموت بنزع الروح أو النفس من الجسم أو هما معًا. كما قال تعالى:﴿فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ (الواقعة ٨٣)، أى فلولا إذا بلغت النفس أو الروح الحلقوم. وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على خروج النفس من الجسم عند الوفاة.

وقد تسمى الروح فى اللغة نفسًا. وقد تسمى النفس روحًا. كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ (الزمر ٤٢)، وثبت فى الصحيحين أن النبى ﷺ كان يقول إذا نام: «**باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه. إن أمسكت نفسى فاغفر لها وارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**». وثبت فى الصحيح أن رسول الله - ﷺ - قال: «**إن الإنسان إذا قبضت روحه تقول الملائكة اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب راضية مرضية عنك**»... إلخ.. وقال ابن تيمية: سمى المقبوض وقت النوم روحًا ونفسًا. وسمى المعروج به إلى السماء روحًا ونفسًا. لكن الروح تسمى نفسا باعتبار تدبيرها للبدن، وتسمى روحًا باعتبار لطفها. «رسالة العقل والروح لابن تيمية». والنفس قد تكون نفسًا أمارة بالسوء، ولا يكون ذلك للروح قط. فدل ذلك على أن النفس والروح مختلفان.

عـلاقـة النفـس بالـــروح

ذهب جمهور العلماء إلى أن النفس والروح شىء واحد. وقالوا إن الروح عندما تنفخ فى الجنين تنشأ النفس. ومن هؤلاء الإمام ابن القيم (كتاب الروح لابن القيم ص٣٥١)؛ لأن القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ذكرا فى بعض الآيات والأحاديث النفس بمعنى الروح - وقد ذكرنا ذلك من قبل -

إلا أن أهل الحديث والفقه والتصوف - ونحن نوافقهم على هذا - قالوا إن النفس غير الروح. إلا أن قوام النفس يكون بالروح. فالنفس قد تميل إلى الهوى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾.

والنفس قد تأمر بالسوء ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ أما الروح فهى خير مطلق. فهى من أمر الله تعالى ونفحة منه. والنفس هى التى يقع عليها الموت وهى التى تزهق بالقتل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أما الروح فلا يقع عليها الموت ولا تزهق بالقتل.

وقال فريق ثالث: إن الروح والنفس شىء واحد إلا أن بينهما فرقًا فى الصفات وليس فرقًا فى الذات.

إنها كلها ظنون وافتراضات ويبقى سر النفس وسر الروح عند الله عز وجل لا يعلمه علمًا كاملاً شاملاً ومحيطًا سواه. ولا نعلم نحن عن الروح إلا علمًا قليلاً. كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء ٨٥).

هل الحياة متعلقة بالروح أم متعلقة بالنفس؟

فى رأينا أنها متعلقة بالنفس وليست متعلقة بالروح. هى متعلقة بالنفس لقوله تعالى: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ ولقوله تعالى أيضًا: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ والموت نقيض الحياة. فمادام الموت متعلقًا بالنفس، فإن الحياة متعلقة بالنفس أيضًا. والحياة غير متعلقة بالروح للأسباب التالية:

١ ـ الجسم حى قبل نفخ الروح فيه.

٢ ـ الدواب حية ولا أرواح فيها.

٣ ـ النبات حى ولا روح فيه.

ومادامت الحياة غير متعلقة بالروح فإن الموت لا يكون متعلقًا بالروح.. وفى هذا دليل جديد على أن الموت هو خروج النفس من الجسم، وليس خروج الروح منه. وفى هذا دليل آخر على أن النفس شىء والروح شىء آخر، إلا أن بينهما تعلقًا وثيقًا.(*)

ومتى تبدأ الحياة فى الجنين؟

هل تبدأ لحظة الإخصاب؟ نعم. لأن الخلية الأولى خلية حية. وهل للخلية الأولى حرمة شرعية؟ نقول: لا. لأن حرمة النطفة تبدأ لحظة التعلق بالرحم. هنا تبدأ حياة الجنين الحقة.(**).

وما حكم اللولب الرحمى؟

إن اللولب لا يمنع التقاء البويضة بالحيوان المنوى. ولا يمنع تكون البويضة الملقحة (أول خلية بشرية)، ولكنه يمنع تعلق تلك الخلية الأولى من أن تتعلق بجدار الرحم.

والبويضة الملقحة قبل تعلقها ليس لها احترام أو حرمة. فإذا أطاح بها اللولب فلا حرمة فى ذلك.

(*) انظر الجزء الثانى من موسوعة الجزء العلمى فى الحديث النبوى ص١٤٣ من ماهية الموت.

(**) من توصيات مؤتمر الطب الإسلامى عن (بداية الحياة الإنسانية ونهايتها) الذى انعقد بالكويت فى يناير ١٩٨٣.

٢ ـ الوفاة نهاية الحياة البشرية

■ أخرج الإمام أحمد فى المسند عن عبدالله عن أبيه عن أنس أن النبى ﷺ قال: **«لم يلق ابن آدم شيئا قط أشد عليه من الموت. ثم إن الموت لأهون مما بعده»**.

■ أخرج الإمام أحمد فى المسند عن يحيى بن أبى كثير، عن عبيد الله بن مقسم، عن جابر بن عبدالله قال: كنا عند رسول الله ﷺ فمرت بنا جنازة. فقام رسول الله ﷺ وقمنا معه. فذهبنا لنحملها، فإذا هى جنازة يهودية، فقلنا يا رسول الله إنها جنازة يهودية، فقال: **«إن للموت فزعًا، فإذا رأيتم الجنازة فقوموا»**.

■ أخرج الإمام أحمد عن أبى أيوب الأنصارى عن أبى اليسر أن رسول الله ﷺ كان يدعو ربه يقول: **«اللهم إنى أعوذ بك من الهرم وأعوذ بك من التردى»** إلى قوله ﷺ: **«وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت»** إلى آخر الحديث الشريف.

■ أخرج الأئمة البخارى ومسلم وأحمد عن عاصم الأحول، عن أبى عثمان النهدى، عن أسامة بن زيد قال: كنا عند رسول الله ﷺ فأرسلت له إحدى بناته تدعوه وتخبره أن ابنًا لها فى الموت. فقال لمن أرسله: **«ارجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شىء بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب»**. فعاد الرجل فقال: إنها أقسمت لتأتينها. فقام رسول الله ﷺ وقام معه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل وانطلقت معهم. فرفع إليه الصبى ونفسه تقعقع (أى صوت حشرجة الموت). ففاضت عينا رسول الله ﷺ فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟! فقال **«هذه رحمة. جعلها الله فى قلوب عباده. وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»**.

— — — — — — — —

متى تنتهى حياة الإنسان ونقول إنه توفى؟
وهل الوفاة تتحقق بتوقف القلب أم بتوقف المخ؟

إن توقف القلب يؤدى إلى وفاة المخ. وإذا مات المخ موتا تاما، يكون الإنسان قد مات.

وفـــاة المــــخ:

فى أغلب الأحوال تنتهى الحياة الإنسانية بتوقف القلب الذى يعقبه فورًا توقف المخ عن العمل وتلفه السريع ثم توقف باقى أعضاء الجسم عن العمل. وفى أحوال أخرى يموت المخ أولاً. إلا أنه فى أحوال أخرى يموت الجسم بسبب تلف أحد أعضائه كالكبد أو الكلى أو الرئتين أو غير ذلك من أعضاء الجسم؛ لأن ذلك يؤدى إلى اختلال بالوظائف الحيوية بأعضاء الجسم جميعًا، وذلك بالتالى يؤدى إلى هبوط بالدورة الدموية وتوقف القلب بعد ذلك، وإذا توقف القلب لأكثر من أربع دقائق حدث تلف ووفاة بالمخ. أما الأحوال التى يموت فيها المخ أولاً، فإن ذلك يؤدى إلى وفاة الإنسان حتى ولو كان القلب سليمًا وباقى أعضاء الجسم سليمة. كما يحدث فى بعض إصابات الرأس الشديدة أو حالات نزيف شديد بالمخ، وبعد

أن يموت المخ يكون الإنسان قد مات. وتبدأ سلسلة من تدهور وظائف أعضاء الجسم الأخرى إلى أن تنتهي بتوقف القلب والنفس. وتحدث الوفاة(*).

ومن أمثلة وفاة المخ فجأة حالات الإعدام شنقًا. وتنفصل الفقرات العنقية العليا عن الجمجمة حيث يوجد المخ وجذع المخ. وتحدث وفاة المخ وجذع المخ فى لحظات، وإن ظل القلب ينبض لعدة دقائق. ولو افترضنا أن إنسانًا أعدم شنقًا ثم أجريت له إسعافات فورية بجهاز تنفس صناعى فإنه يمكن المحافظة على حياة أعضاء الجسم فيما عدا المخ. وذلك لمدة أسبوع أو حتى أسبوعين. ولكن لا يعنى استمرار الحياة فى أعضاء جسمه أنه لم يمت بعد. إنه مات فور وفاة المخ. وأن النفس والروح غادرا الجسم بلا عودة. ويمكن أن نصف فترة حياة أعضاء الجسم بالوسائل الصناعية بعد وفاة المخ «بالحياة العضوية».

ومما سبق نفهم أن استمرار نبض القلب بعد وفاة المخ لا يعنى الحياة. كما أن توقف القلب عن العمل لا يعنى بالضرورة الوفاة. ولكن كيف؟

ليس القلب الذى ينبض فى صدر الإنسان هو الذى جاء ذكره خاصة فى القرآن والسنة، والقلب يطلق على معنيين(**).

الأول: العضو الذى يضخ الدم بالجسم ويتعلق به غرض الأطباء ولا تتعلق به الأغراض الدينية. وهذا القلب موجود فى البهائم. وهو قطعة من اللحم لا قدر فيه.

الثانى: القلب لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب المادى تعلق. وتلك اللطيفة هى الذات الإنسانية «حقيقة الإنسان» وهذا القلب هو المدرك العالم العارف فى الإنسان وهو المخاطب والمطالب. وقد تحيرت عقول أكثر الخلق فى إدراك وجه علاقته بالقلب المادى فى جسم الإنسان. وقال: إن تعلقه به يضاهى تعلق الأعراض بالأجسام، والأوصاف بالموصوفات. وإننا إذا أطلقنا اسم القلب فنعنى به تلك اللطيفة الربانية التى هى الذات البشرية وهى الوعى والعقل والإدراك.

ويمكننا أن نذكر أوصافها وأحوالها. ولكننا لا نستطيع أن نذكر حقيقتها فى ذاتها. وذكر فى الصحاح أن كلمة قلب تعنى العقل كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق ٣٧) وجاء فى تفسير القرطبى: أى لمن كان له عقل.

وفى سورة (الشعراء ١٩٣، ١٩٤) ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ أى على فكرك وعقلك وإدراكك. وفى سورة (الكهف ٢٨) ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾. وما ذكر (القلب) فى القرآن إلا بمعنى العقل.

وروى أبو داوود عن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله ﷺ فى سرية الحرمات فنذروا بنا فهربوا فأدركنا رجلاً فلما غشيناه قال: (لا إله إلا الله) فضربناه حتى قتلناه. فذكرته للنبى ﷺ فغضب فقال: «من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة» قال: قلت: يا رسول الله إنما قالها مخافة السلاح، فقال: «**أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها أم لا.. من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة ومازال يقولها حتى وددت أنى لم أسلم إلا يومئذ**».

(*) الموت: خروج الروح من الجسم.

الوفاة: خروج النفس من الجسم.

(**) إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى ص٣ ص٤.

نفهم من ذلك أن القلب الذى ذكر بالقرآن والسنة، هو الوعى والإدراك والفكر والعقل. وأن القلب إذا توقف عن النبض لا يعنى انتهاء العقل أو الإدراك أو انتهاء الحياة. فقد يتوقف القلب عن النبض فترة، والإنسان حى يرزق، ثم يعود إلى النبض مرة أخرى. كما يحدث أحيانًا فى بعض عمليات الجراحة فى القلب. وكما يحدث فى بعض الحالات المرضية. أما إذا مات المخ فهذا يعنى موت الإنسان.

وعندما تنتهى الحياة البشرية تقبض الروح وترجع النفس إلى بارئها. ولقد علمنا أن النفس والروح هما سر الوعى والإدراك والعقل والفكر. وكل ذلك متصل بالمخ. ومن هنا ندرك أن موت المخ يعنى نهاية حياة الإنسان.

إن رجوع النفس إلى بارئها وقبض الروح، من الغيبيات، التى لا تدرك بواسطة أى علم تجريبى. وإنما مصدرها الوحيد هو الوحى الإلهى فى القرآن والسنة. أما الذى يمكن معرفته عن الموت بواسطة علوم البشر فهو موت المخ. فإذا ثبت موت المخ ثبتت نهاية الحياة البشرية، ولو كان الصدر يتنفس ولو كان القلب ينبض تحت الأجهزة الطبية. فالجسم حى تحت الجهاز. ولكنها حياة حيوانية وليست حياة بشرية. فقد انتهت الحياة البشرية بموت المخ.

وليس لدينا من العلم لإثبات وفاة المخ وجذع المخ إلا رسم المخ الكهربائى. وهو قطعى فى معظم الحالات - وليس كل الحالات - أما بخصوص جذع المخ فإنه من الممكن عمل رسم كهربائى له أيضًا يبين هل جذع المخ قد مات أو مازال يعمل. ويبين الفرق بين الغيبوبة الشديدة وموت جذع المخ.. ويهمنا هنا تعيين وقت وفاة الإنسان لأهمية ذلك فى شئون كثيرة من المعاملات مثل الإرث وغيره. ويمكننا الجزم بموت الإنسان عندما يموت مخه كله؛ قشرة المخ وجذع المخ، ولو كان القلب ينبض ولو كانت الرئتان فى شهيق وزفير تحت جهاز التنفس الصناعى. فعندما يتأكد الأطباء تمامًا أن جذع المخ قد مات ولو كان القلب ينبض وكانت الرئتان تتنفسان، فلا حرج عليهم من رفع الجهاز عنه «ليتوقف القلب» وتتوقف الرئتان بعد ذلك. وتنتهى الحياة العضوية بالجسم التى لا طائل من ورائها.

الفهرس

أحدث إصدارات

الأستاذ الدكتور

أحمد شوقى إبراهيم

- موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى . الجزء الأول: «النبى ﷺ».
- موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى . الجزء الثانى: «خلق الإنسان».
- موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى . الجزء الثالث: «الزمن».
- موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى . الجزء الرابع: «الطبيعة وما وراء الطبيعة».
- موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى . الجزء الخامس: «النبات».
- تسبيح الكون.
- الإنسان وعالم الجن.
- الأحداث الثلاثة العظمى فى الدعوة الإسلامية (البعثة - الإسراء والمعراج - الهجرة).
- الروح والنفس والعقل والقرين.



موسوعة
الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى



أ.د. أحمد شوقى إبراهيم
زميل كلية الأطباء الملكية بلندن
رئيس المجمع العلمى لبحوث القرآن والسنة ج.م.ع
عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قال الله عز وجل :

﴿ما فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ﴾ . (الأنعام:٣٨)

الحديث النبوى الشريف تفسير للقرآن العظيم وامتداد له.. وبذلك ندرك أن الحديث النبوى الشريف يجمع كل المعارف والقضايا العلمية فى كل فروع العلم والمعرفة، فى حضور دائم، وعطاء متجدد، فى تكامل وشمول؛ بحيث يجد أى باحث أن أى حقيقة علمية يكتشفها العلماء فى أى عصر من العصور، لابد أن يكون لها فى القرآن الكريم أصل ثابت، وأن يكون لها فى الحديث النبوى الشريف أساس متين.

ولقد اتخذنا منهجًا محددًا فى تأليف هذه الموسوعة، وهو أن نناقش فى كل جزء من أجزائها موضوعًا واحدًا.

ففى الجزء الأول كان الحديث عن صفات المصطفى ﷺ وعظمته وعصمته فى كل قول أو فعل أو تقرير. وذكرنا جانبًا من بداية خلق الإنسان.

وفى الجزء الثانى كان الحديث عن خلق الإنسان وتاريخه الطويل، ومراحل خلقه المختلفة.

وفى هذا الجزء الثالث كان البحث فيما جاء فى الحديث النبوى الشريف عن أسرار الزمن.. لقد اختلف العلماء والفلاسفة عبر العصور، فى فهمهم للزمن، ودخلوا فى حلقة مفرغة لم يخرجوا منها بشىء صحيح. وكان السبب فى ذلك أنهم اعتبروا أن الزمن واحد، وماعلموا أن الزمن أزمان مختلفة، تتصل ببعضها حينًا، وتنفصل عن بعضها حينًا آخر، وأن الزمن يجرى فى كل شىء فى الوجود، وأنه هو البعد الرابع فى الكون.

ولو تدبر العلماء والفلاسفة القرآن والحديث النبوى، لوجدوا فيهما ضالتهم من أس
الزمن، ولوفروا على أنفسهم قرونًا كثيرة قضوها فى ضلال فكرى، وفى ظن لا يغنى
الحق شيئًا.

الناشـ





